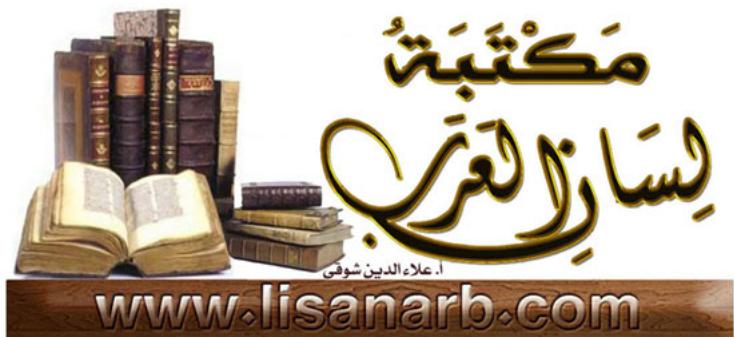


أبو العلاء المعري

دراسة في معتقداته الدينية



دار طاتر
بيروت



أبو العلاء المعرّي
دراسة في معتقداته الدينية

أولو الفضل في أوطانهم غرباء

تشد وتأني عنهم القرباء

أبو العلاء المعربي

أبو العلاء المعري

دراسة في معتقداته الدينية

تأليف
نرجس توحيدى فر
ماجستير في الأدب العربي

دار صادر

بيروت

جَمِيعُ الْحُقُوقِ مَحْفوظَةٌ
الطبعة الأولى

1432 هـ - 2011 م

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو توزيعه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية، أو أشرطة مغnetة، أو وسائل ميكانيكية، أو الاستئناف الفوتوفرافي، أو التسجيل وغيره دون إذن خطى من الناشر.



تأسست سنة 1863

ص. ب ١٠ بيروت ، لبنان
© DAR SADER Publishers
P.O.B. 10 Beirut, Lebanon
Fax: (961) 4.910270 Tel: 910340
e-mail: dsp@darsader.com
<http://www.darsader.com>



مكتبة لسان العرب

تقديم

أبوالعلاء المعرّي من ألمع الشخصيات في العصور الأدبية التي شهدتها الأدب العربي، فليس من المبالغة أن نقرّ أنّ شخصية أديب المعرفة ورهين المحبسين، أبي العلاء المعرّي، هي من أكثر الشخصيات الأدبية في تاريخ الأدب العربي إثارة وثراً وعمقاً. ولقد أتاحت له سعة إطلاعه وحدة ذكائه وصفاء ذهنه ورحلاته العلمية أن ينفرد بصور أدبية وتصورات فكرية لم تكن معروفة بين أدباء زمانه. فيلسوف ما استخدم قدرته الشعرية في التكسب بامتياز، بل استخدمها لبيان تساؤلاته العقلية والفلسفية، وليس هذه التساؤلات إلّا بيان لمشاكل ومقاصد مجتمع عاشه المعرّي.

إنّ نظرةً عابرةً إلى مجتمع أبي العلاء تظهر لنا أنّ هذا المجتمع يعني من مصاعب كثيرة: الوضع السياسي ، الوضع الاقتصادي والإجتماعي في أسوء حالاته، وتدني القيم الدينية وتعدد المذاهب والفرق التي تجلب الناس لمنافعها، لكنّ الشعراء المجيدين في ساحة الأدب، ومن أكبابهم أبوالعلاء المعرّي نشأوا ونبغوا في هذه الاجواء.

إنّ من الممكن أن نعتبر المعرّي مؤسساً للشعر الفلسفي في الأدب العربي، مع أنّ الفلسفة في شعر المعرّي فلسفة يومية وهي نوع من التفاسف والتحسّن في الشؤون اليومية والمكررة في حياة البشر، هذه الأمور التي أفقد قيمتها التكرار ، ولا يتعمق في أسبابها وكيفيتها الا القليل، إن هذا التفاسف في أمور الحياة، حاجة البشر في عصرنا هذا مع أنّهم ما اهتموا بدور العقل ووضعوه في جانب كمدّه الوجودية، لكنّ أبو العلاء يفيدنا بالإجابات الممتازة عن هذه الأسئلة. وهذا الكتاب يبحث عن بعض هذه الإجابات في القضايا الدينية، و هي

من أهم القضايا التي شغلت باله، فمن صفات أبي العلاء التي لم يتصف بها إلا القليل، هي اتحاد عمله بعلمه، وقد سبب هذا التطابق أن قدّم لنا نموذجاً من الحياة التي كان يفگر بها ويتكلم عنها.

لقد قدّمنا مقارنة بين فيلسوف المعرفة وأبيقور الذي أشتهر بزهده ، وشوبنهاور الوجودي، فهذا الفيلسوف وفكرته القيمة جديرة بالبحث الطويل وأرجو أن أوصل ذلك في اعمالي الآتية بعون الله تعالى.

وأقدم شكري الجزيل للسيد سليم صادر الذى تشرفت بمعرفته بالمعرض الدولى للكتاب في إيران وتفضّل عليّ بنشر هذا الكتاب.

نرجس توحيدی فر

الفصل الأول

أبو العلاء المعري
دراسة في عصره وحياته

المبحث الأول

عصر المعرفي وبيئته

الأدب مرآة المجتمع، والأديب يعكس المجتمع في هذه المرأة؛ إذا نحن بصدّ معالجة حياة أديبٍ ما، أو أثر من آثاره، فمن الضروري أن نبدأ من معالجة أوضاع مجتمعه، وبيئته السياسية والإجتماعية والاقتصادية.

بالنظر إلى مولد أبي العلاء في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، في سنة ثلاثمائة وثلاثة وستين، ومماته في سنة أربعين وسبعين، لا بد من دراسة الأوضاع في هذه الفترة الزمنية، والتمهيد لدراسة بضع سنوات سابقة قبل هذه الفترة لأثرها في حياة أبي العلاء. وبالبداية مع الحالة السياسية، لتأثيرها الكبير على المجتمع والثقافة.

أ- الحياة السياسية :

يصف الدكتور «طه حسين» حالتين للسياسة العباسية؛ إحداهما: قبل أبي العلاء، والثانية: في عصره وما بعده، ويقول إن الشكل الأول هو شكل السلطة الفعلية للخلفاء، والثاني شكل السلطة الإسمية.

وأيضاً يشير إلى تقسيم سياسي آخر لهذا العصر؛ الأول: عصر الخلفاء، والثاني: عصر الملوك، فينقسم عصر الخلفاء إلى عصر القوة، وعصر الضعف، وعصر الملوك إلى عصر الدليل، وعصر السلاجقة^١.

يبداً عصر قوة الخلفاء بقيام الدولة العباسية، عندما أخمدت نيران الفتن والثورات المحيطة بها، وتمت الكلمة لبني العباس، في المشرق والمغرب، وعندما انفصلت عنهم الأندلس، استتب الأمر لهم. فالدولة كانت ذات ثروة موفورة، وقوة كاملة لكنَّ هذا العصر لم يستمر طويلاً^٢، إذا انتهى بقتل المتوكِّل بأيدي جنوده الأتراك الذين إصطنعهم

^١) حسين ، طه ، تجديد ذكرى أبي العلاء ، ص ٤٣ .

^٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ، ص ١٧٣ .

المعتصم بن الرشيد، للإعتماد عليهم بدلاً من الفرس ومن العرب^٣.

وبسبب ذلك أن العباسين، كانوا قد اصطنعوا الفرس في أول حكمهم، ورکنوا إليهم، وحاولوا إقصاء العرب عن مراكزهم، وحاربوا بهم لثلا يفسدوا عليهم أمرهم، وكانت هذه الفكرة عندهم، ونجدتها في قول «إبراهيم بن محمد صاحب الأمر» في الدعوة العباسية في وصيته لأبي مسلم الخراساني، عندما قال: «وإن استطعت ألا تدع بخراسان لساناً عربياً، فافعل^٤».

لقد كانت أعلى المناصب، وأكثراها في أيدي الفرس، وكان أكثر الوزراء والقواد، منهم، وكان منهم المستشارون الذين كانوا يديرون حكم الخلافة الإسلامية، إلا أنهم لم يكتفوا بذلك، بل طمعوا أن يستأثروا بالحكم أيضاً، وظهرت بوادر ذلك عند البرامكة، فنكبهم العباسيون نكبات متالية، وبدأ عداء شديد بين الفرس والعرب^٥.

اجتهد الفرس في الإستئثار بكل شيء، وظهرت آثار ذلك في الخلاف الذي حدث بين الأخوين المأمون والأمين. قامت الفتنة بين الأخوين، وهي في الواقع نزاع حزبي بين الفرس أنصار المأمون، من ناحية، وبين العرب أنصار الأمين، من ناحية أخرى، وقد قاد هذا النزاع «الفضل بن سهل» وزير المأمون وكان فارسياً، و«الفضل بن الريبع» وزير الأمين وكان عربياً^٦.

في هذه الأثناء، كان الخليفة لا يثق بأعوانه، من الفرس والعرب، إذ إن ميل الفرس إلى الإستئثار بالحكم قد ظهر، وكانوا شيعة للعلويين، وأنصاراً لهم.

أما العرب، فكانوا يطمعون في الحكم أيضاً، كما أنهم كانوا متهمين بحبّبني أمية، كان المعتصم بن الرشيد أول الخلفاء العباسيين الذين استعنوا بالأتراب، وأسندوا إليهم مناصب الدولة، وأقطعوهم الولايات الإسلامية.

لقد كثُر تواجد الأتراب على العراق، وأخذ المعتصم يستكثر من شرائهم، وطلبهم من

^٣) إبراهيم حسن، حسن . تاريخ الإسلام السياسي والديني والاجتماعي ، ج ٣ ، ص ٦ .

^٤) محمود ، مصطفى . الأدب العربي وتاريخه ، ج ٢ ، ص ٨ .

^٥) ضيف ، شوقي . تاريخ الأدب العربي ، ج ٤ ، ص ٩ .

^٦) انظر : ضيف ، شوقي . م . ن ، ج ٢ ، ص ١٨٠ .

سمرقند وفرغانة^٧ وأشروسنة^٨، إلى أن بلغت عدتهم، ثمانية عشر ألفاً.
استخدم المعتصم هؤلاء الجنود الأتراك، ولم يلبثوا أن استولوا على أمر الخلفاء، واستبدوا بالخلفاء
استبداداً شديداً، فصاروا يولون، ويعزلون، ويقتلون، ومما يحكي عن استبدادهم، أنه لما تولى
«المعتز»، قعد خواصه، وأحضر المنجمين، وقال لهم: «أنظروا كم يعيش الخليفة، وكم يبقى في الخلافة؟
وكان في الجالسين ظريف، فقال لهم: أنا أعرف من هؤلاء بمقدار عمره وخلافته، فقالوا له: فكم تقول

إنه يعيش، وكم يملك؟ قال: يعيش ما أراد الأتراك^٩. فكان قوله ينطوي بالحق، وهيئ الواقع.

يعتبر الإعتماد على الأتراك، تحولاً خطيراً في تاريخ الدولة العباسية. لقد كان العباسيون، يعتمدون
كل الإعتماد، على الفرس، وكان الفرس، أصحاب الحضارة والمدنية، فبئوهما في الحياة العربية، أمّا
الترك فلم يكونوا أصحاب ثقافة، ولا مدينة، ولا حضارة، وكانوا بدأوا لا يعرفون الفتنون، والأداب، ولا
قواعد الملك والسياسة^{١٠}.

كان هذا الإنقلاب من الحكم العربي إلى الحكم التركي، مظهراً من مظاهر الثورة التي أحسّ بها
معظم أجزاء الخلافة، أدت إلى إضعاف سلطة الخليفة، وزوالها في النهاية^{١١}.

شهد العصر العباسي الأول، أو كما أسلفنا عصر الخلفاء، تسعة أشخاص تولوا الخلافة، إلا أن
العصر العباسي الثاني، شهد ثمانية عشر خليفة تتبعوا على الحكم الإسلامي، مما يدلّ على عدم
الإستقرار في العصر العباسي الثاني^{١٢}.

لقد أدرك المعتصم، خطر الأتراك الذين توافدوا على بغداد، وآذوا أهلها، ففكر في

(٧) وادٍ على نهر سردريا في جمهوريات ازبكستان وتاجيكستان وقرغيز يشتهر بزراعة القطن والكرم. فيه
مدينة فتحها العرب بقيادة قيتبة بن مسلم وأرسى السامانيون دعائم الإسلام فيها. خدم الفرغانيون في هرس
البلاط العباسي في عهد المعتصم.

(٨) أشروسنة اسم إقليم، وليس بها مكان ولا مدينة بهذا الاسم، من أقاليم ما وراء النهر من شرقها فرغانة،
ومن غربها حدود سمرقند، وشمالها الشاش وبعض فرغانة، وجنوبها بعض حدود كش والصخانيان
وشومان وواشجرد وراشت، ومن مدنها: بُنجيكت وسَاباط وزَامِن وَدِيزِك وَخَرْقَانَة، ومدينتها التي يسكنها
الولاة بُنجيكت.

(٩) ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٢، ص ٢٣٢.

(١٠) ضيف، شوقي. م. س، ج ٢، ص ٩.

(١١) م. ن، ج ٤، ص ١٠.

(١٢) ابراهيم حسن، حسن. م. س، ج ٣، ص ٢.

(١٣) م. ن، ج ٢، ص ٢٠.

نقلهم، إلى سامراء التي اتخذها قاعدة لخلافته، وسامراء، كما يقول ياقوت: مدينة كانت بين بغداد وتكريت، على شرق دجلة، وقال: قال أبو سعد: سامراء بلد على دجلة، فوق بغداد ثلاثة فرسخاً،
يقال لها «سر من رأى»، فخففها الناس، فقالوا: سامراء^{١٤}.

لقد إزداد نفوذ الأتراك، وأثار ذلك حفيظة العرب والفرس، فتأمروا على المعتصم، وكبار رجال دولته من الأتراك، بعد أن أصبح الأتراك خطراً على الخلفاء العباسيين، وعلى الدولة العباسية، ويقال أن المعتصم نفسه شكا منهم في أواخر أيامه، وعبر عن أسفه لأحد أعيان أخيه المأمون لاعتماده عليهم^{١٥}.

كان العصر العباسي الثاني، عصر الملوك، وينقسم إلى قسمين: عصر الديلم، وعصر السلاجقة. إن إضافة هذا العصر إلى الديلم لا تخلو من بعض المجاز إذ إن سلطان الديلم لم ينبعط على الأمة الإسلامية، ولم يكيد يتجاوز العراق، وفارس، إلا قليلاً، ولكن قيامهم ببغداد واستئثارهم بأمر الخلفاء، قد جعل دولتهم أبعد الدول الإسلامية في ذلك العصر، وإنما هو عصر الدول المتفرقة، والممالك المتباينة؛ من أشهر هذه الدول، يمكن أن نذكر دولة الديلم هذه ببغداد، ودولة العلوين بطبرستان، والدولة السامانية فيما وراء النهر، ودولة آل سبكتكين في الهند وأفغانستان، والدولة الحمدانية في الجزيرة، ودولة آل الإخشيد في مصر، ثم الدولة الفاطمية بأفريقية التي ملكت مصر، والشام، وببلاد العرب فيما بعد^{١٦}.

عاش أبو العلاء المعري، في عصر دولة الديلم أي في العصر العباسي الثاني، وقد حكمت معرّة النعمان أثناء حياة المعري، ثالث من الدول التي ذكرناها؛ وهي الحمدانية، ثم الفاطمية، وكذلك المرداسية، فإن حياة المعري اتصلت بدولة الديلم ببغداد، سنة وسبعة أشهر عندما رحل إلى العراق.

ب - الحياة الاجتماعية

لا تثمر السياسة الفاسدة، مجتمعاً سليماً. المجتمع الذي لا يقدر الحصول على قوته اليومية، ماذا يفعل؟ يسرق بالضبط، حتى لا يموت من الجوع؛ يقال، الناس على دين ملوكهم؛ الفساد الذي كان منتشرًا في بلاط الحكام، شاع في ساحة المجتمع، وأنتج بثماره الهالكة.

^{١٤} الحموي، ياقوت. معجم البلدان، ج ٣، ص ١٧٣.

^{١٥} الطبرى، أبو جعفر محمد بن جرير. تاريخ الرسل والملوك، ج ٩، ص ٢٧.

^{١٦} انظر: حسين، طه. م. س، ص ٤٦.

الجندى يلخص أسباب فساد الحياة الإجتماعية، في:

- ١ - تولي الأعاجم على العرب، فقد كان المسيطر منهم لا يبالي، أفسدت أخلاق الأمة أم صلحت، وإنما همّه مال ينبهه، وعرض يستبيحه، وسلطان يبسطه، من أي طريق كان، وبأية وسيلة كانت، ومنهم من كان يسعى لإفساد الحياة الإجتماعية، حتى يسهل عليه التوصل إلى ما يريد، ولا يجد من ينكر عليه، وأعوان الضلال أكثر من أعوان الهدى.
 - ٢ - توسيد الأمور إلى الغرباء، فان العبيدَين كانوا يتذدون ولاة على دمشق، وحلب، وغيرهما من المغاربة^{١٧}، أو الترك، أو الروم، ويتحذون القواد، والأمراء، وذوي الكلمة النافذة من هولاء الذين يؤثرون مصالحهم الخاصة على مصلحة الدولة، أو من أمثالهم ممن لا يهمهم خراب البلاد، وموت أهلها من الجوع، أو الحرب، إذا أعمرت خزانتهم بالأموال، وامتلأت بطونهم بالطعام الطيب، والشراب اللذيد، وقضوا أوطارهم من الملاد، والشهوات، وكان أحدهم يتصرف بالناس تصرف التاجر بسلعته، وينذر في سبيل الوصول إلى غايات الخسيسة ما عز وهاهان، ويتجبر عن كل خلق إنساني لأجل ذلك، وربما راه غيره، فاستهان بها استهان به صاحبه، ليصل إلى ما وصل إليه، وهذا شأن من تولي العراق من الأعاجم (غير العرب وكثيراً ما من المغاربة).
 - ٣ - كثرة الجواري الحسان، ورخص أثمانهن، فكان العربي يجمع الكثير منهن لقضاء شهوته، ويدع أمر كل واحد من بنيه إلى أمه، فهي تنشئه كما تشاء، وتغذيه من طباعها، وأهواها، وزعناتها، كما تهوى. فيكون هذا فارسي النزعة كأنه، وذاك تركياً، والثالث هندياً، والرابع رومياً، والخامس عربياً، وهكذا.
- و ربما كان الولد لا يجد من العطف، على أخيه من أبيه، ما يجده من العطف على شقيقه، والخلاصة أن البيت الواحد كان يضم أهواء مختلفة، ونزعات متباعدة، ويفقد كل آصرة من أواصر المحبة التي يجب أن تكون بين الإخوة، وكثيراً ما تحقد المرأة على زوجها، ملبله إلى ضرتها، فتشيء أولادها على كره أبيهم وأولاده وزوجاته، فيكون أعدى عدوًّا لأبيه، وإخوته منه، وكثيراً ما هان على الأخ قتل أخيه في سبب تافه.

^{١٧}) المغاربة : أسرة من الوزراء الأدباء في العهد الفاطمي. أشهرهم : علي بن الحسين ، صديق سيف الدولة الحمداني وزير ابنه سعد الدولة . هرب إلى الرقة وحاول التجوء إلى الفاطميين . رحل إلى مصر ونال حظوة لدى الخليفة الحاكم . قتل مع أخيه ولديه .

- كثرة الغلمان، فقد كان ولاه^{١٨} الأعاجم المختلفة تهدي إلى الخلفاء، والأمراء، الوصائف والوصفاء، تخيرهم من ذوي الجمال الرائع، وتبعث بهم وبهن زرافات ووحداناً، والخلفاء، والأمراء يصطوفون لأنفسهم خيرة الخيرة منهم، ثم يهبون مازاد عن حاجتهم إلى غيرهم، وكانت هؤلاء الجواري والغلمان، أقتل من السم، لأنهم كانوا ينقلون إلى الأمة العربية، ماعند أمهما من الأخلاق الفاسدة، والأعمال المنكراة، ففشت في الأمة العربية بسببهم، الدعاية، والخلاعة، والمجانة، والعهر، واللواط، وما أشبه ذلك من الأخلاق السيئة؛ فازداد العرب بذلك ضغثاً على إبالة. وكان أكثر العمال يقلدون هؤلاء الغلمان، أعمالهم العظيمة، وينحونهم من السلطة أعظم ما لديهم، فكانوا لا يحجمون على منكر، ولا يتوزعون عن قبيح، ويستخفون بالأعراض، ويستبيحون الأموال، وفيهم من دُرْبٍ وعلَّم في بلاده ليكون أداة شرًّا في البلاد العربية، ومن كان على مشاكلة هؤلاء، وارتقى إلى الولاية بمثل ما ارتقا، لا ينتظر منه أن يصلح المجتمع، وبهذيه، لأن ذلك مخالف نشأته، وجلالته، ولا ينكر عليه أن ينزع الملك، والنعمة من سيده، ولا أن يقتله ويسجنه، أو يشرّه.^{٥٥}

ثم بعد حين يعدّ في رجالات العرب، وتسجل أعماله الفظيعة في حساب العرب.

- تعدد الزوجات لا سيما غير العربيات، فقد دلت العوادث التاريخية أن الرجل قد تكون نزعته إلى أخواله، أشد من نزعته إلى أعمامه، بسبب تعليم أمه، وإهمال أبيه تربيته، حتى لا يشقّ عليه معاداة عمه طواله خاله. على أن الرجل لا يستطيع أن يعدل بين النساء، وأن يجمع بين رضاهن جميعاً، ومتى فسد رأيه في واحدة، أو أثر عليها تنكرت له، واستفرغت ما عندها من كيد وأذى، وغيّرت قلب ولده عليه، حتى تصبح الأسرة الواحدة في البيت الواحد، منقسمة على نفسها، مضطغناً بعضها على بعض، وفي قلب كل ولد من الحقد والبغض، ملن تبغضه أمه ما لا يحد، ورئما خانته في أعزّ شيءٍ عليه، نكایة له، أو جرياً مع شهواتها الالتي لم يوفها حقّها منها، ونحو ذلك من الأعمال التي أشار إليها أبو العلاء في كلامه.

- جور الحكم والخوف من ظلمهم، فإن ذلك يحمل الناس على الخنوع، والكذب، والنفاق، ومجاوزة الحدّ والدين والمروة والأدب، إتقاء لشرهم، أو للتخلص منه، أو إبتغاء مرضاتهم. وهناك كثير من الأسباب والعلل، فإذا أضفنا هذا إلى ما تقدم من

^{١٨}) ج الوالي : الحكم أو الأمير . من مصدر تولى الأمر ، أي قام به .

فساد السياسة، وضعف الدين، هان علينا أن نرى الأخلاق في هذا العهد، بلغت من الفساد والإنهضاط إلى أسفل الدرجات^{١٩}.

ج- الحياة الاقتصادية:

من الواضح أن المجتمع، لا يعيش في حالة إقتصادية جيدة، إلا إذا تسوده مجموعة من الساسة والحكام الذين لا يشغل بالهم، إلا راحة الرعية، وهذا هو الكنز المفقود لعصر أبي العلاء.

أضف إلى هذا، المجتمعات والأحرار والزلالز والأوبئة التي كان يعاني المجتمع منها.

لو نسلط الضوء على الحياة الخلقية في هذا العصر، لا نشاهد أثراً من الإنفاق على الرعية، ومراعاة حقوقهم في المجتمع؛ فلا يستثنى من هذه القاعدة، التجار الذين يسوون إقتصادات البلاد، فكلّ يهتم بالربح الأكثـر؛ فينهـب ويسـرق، كما يفعل الحـكام أيضـاً.

الحاكم يسرق، فـما المتوقع من الناس؟ في المجتمع الذي لا يوجد فيه، أي حدود للأخلاق الإنسانية، فكيف الوقاية من السـرقة والـربـي والـجـشع إلى الـربح السـريع والـاحـتكـار وـسـائر المـوـبقـات.

ذكر «ابن الأثير» قائمـة طـولـيـة، من الأـحـدـاث، والـزلـالـلـزـ، والـمـجـاعـاتـ، والـقـتـلـ، والـنـهـبـ^{٢٠}؛ فـلا نـذـكـرـها حـذـرـاً من إـطـالـةـ الـكـلامـ.

لكـنـ هـذـهـ الـظـرـوفـ، أدـتـ إـلـىـ تـكـوـينـ رـأـيـ فيـ فـكـرـ أـبـيـ العـلـاءـ، وـهـوـ تـقـسـيمـ الثـرـوـةـ؛ فـأـحـبـ أـنـ يـشـرـكـ النـاسـ فيـ النـعـمـةـ؛ وـوـحـضـ عـلـىـ الزـكـاـةـ، وـالـرـأـفـةـ عـلـىـ الـمـسـاكـينـ، وـهـذـاـ الرـأـيـ، صـارـ سـبـباًـ حـتـىـ رـأـيـ الـبـعـضـ، أـنـ أـبـاـ العـلـاءـ كـانـ إـشـتـرـاـكـيـ المـذـهـبـ^{٢١}ـ، لـكـنـهـ لـمـ يـجـرـ عـلـىـ طـرـيـقـةـ إـشـتـرـاـكـيـنـ، فـيـ عـصـرـنـاـ هـذـاـ، وـإـنـماـ كـانـ مـعـتـدـلـاًـ فـيـ رـأـيـهـ، بـعـيـداًـ عـنـ الغـلـوـ وـالـشـطـطـ، وـمـصـدـرـ هـذـاـ الرـأـيـ أـمـرـانـ؛ أحـدـهـمـاـ: إـسـلـامـ، وـالـثـانـيـ: رـقـةـ الـقـلـبـ، وـالـرـحـمـةـ لـلـضـعـيفـ وـالـمـعـدـمـ.

ويـبـدـوـ أـنـ بـعـضـ الـأـدـبـاءـ قـدـ توـهـمـ، فـظـنـ أـبـاـ لـعـاءـ يـرـىـ مـذـهـبـ إـشـتـرـاـكـيـةـ، فـيـ هـذـاـ

^{١٩}) الجندي ، محمد سليم . الجامع في أخبار أبي العلاء المعربي وآثاره ، ج ١ ، ص ١٣١ - ١٣٩ .

^{٢٠}) الجندي ، م . س . ص ١١٣ . منقول عن الكامل لإبن الأثير .

^{٢١}) هو مذهب الماركسية أو الشيوعية الذي يقوم على المادية الجدلية، يدعو إلى ملكية الدولة، ويلغي الإمتياز الفردي . أسسه ماركس الألماني .

العصر، والحقّ ما ذكرناه هنا.

وفي الكلام على المال، أَتَه ي يريد أن يكون للفقير، حظٌ في مال الغني، على سبيل الزكاة، أو البرّ
والمعرفة؛ فيقول:

[المتقارب]

إذا وهب الله لي نعمه

أَفْدَتُ الْمَسَاكِينَ مِمَّا وَهَبْتُ

جَعَلْتُ لَهُمْ عُشْرَ سَقِيَ الْعَمَامِ

وَاعْطَيْتُهُمْ رُبْعَ عُشْرَ الذَّهَبَ^{٢٢}

ففي هذين البيتين يشير إلى رفقه بالمساكين وإعطاء الزكاة التي حدد الإسلام.

د- الحياة الثقافية

كما يشهد التاريخ نفسه، ما شاهد عصراً أكثر إزدهاراً، وأطيب ثماراً من الناحية الأدبية، من العصر العباسي عاماً، والعباسي الثاني خاصّةً.

القاعدة العامة، هي أنّ جميع أركان المجتمع يؤثّر بعضهم على بعض، فكيف يمكن أن الحالات السياسية، والإجتماعية، والإقتصادية، والإنجمنات التي ليس فيها، أثراً من الهباء والخير، تنتج بهذه الثقافة المتطرفة ؟

قسم من الإجابة، يرجع إلى حكومة الدوليات، وتنافس الملوك في رقية العلوم، وتنمية العقول، وعنياتهم للعلماء، وتقربيهم البلاط، فكانوا يقربون العلماء، والأدباء، ويجعلون المكتبات الحافلة بأنواع الكتب، تحت إشرافهم.

قسم آخر من هذا التوفيق، نتيج إطّلاع العلماء الواسع، على ثقافات الأمم، وتلونها باللون الإسلامي؛ كما يقول الدكتور « طه حسين »: «أخذوا منه بحظٍّ موفور، أفضوا عليه صبغتهم، وطبعوه بطابعهم، ولونوه بلونهم الخاص، فليس ما يدلّ على أنه متكلف، أو مستعار. ولو لا أنّ التاريخ نفسه، يدلّنا على أنّ المسلمين، قد نقلوا فنون العلم، عن الأمم التي سبقتهم إلى الحضارة، لخيّل إلى الباحث، أنّ العلم فيهم قديم ». ^{٢٣}

للترجمة، دورٌ هامٌ في هذا الإزدهار الأدبي، فكثيرٌ من التراث العلمية، والأدبية، والفلسفية، من اليونانية، والهنديّة، والفارسية، دخل على ساحة اللغة العربية، وأدى إلى ولادة المذاهب الدينية الكثيرة، والنزاعات الفلسفية المتنوعة، بين المسلمين.

^{٢٢}) المعري ، لزوم ما لا يلزم ، ج ١ ص ١٠٧ . وأفدت : أعطيت .

^{٢٣}) طه حسين ، تجديد ذكرى أبي العلاء ، ص ٨٥ .

كما أشرنا في التمهيد، الزمان والمكان، عنصران أساسيان، في حياة جميع أفراد البشر، طول التاريخ؛ فيفرضان عليهم بعض الأمور، ويعندهم من بعض آخر؛ والأدباء، ليسوا خارجين عن هذا النطاق، وشاعرنا «المعري»، يتأثر بهما، وكما نشاهد في أدبه، همه الكبير، مصروف نقد مجتمعه الذي يعيش فيه، ويهمهم بإصلاح أفراده، وكما سألي، يبين لنا أنه لا يرى في هذا المجتمع، إلا السيئات، وواقع الأمر هكذا.

فالفساد السياسي، يأتي بالفساد الاقتصادي، ثم الاجتماعي، ولا ينتج مجتمع غير هذا.

المبحث الثاني
حياة المعرّي وسيرته

أ - مولده

إنْتَقَ الجمُورُ من المؤرخين، على أَنْ أَبَا العَلَاءِ، ولدٌ فِي الْمَعْرَةِ، عَنْ دُرُجِ غَرْبِ الشَّمْسِ، مِنْ يَوْمِ الْجَمْعَةِ، لِثَلَاثَ بَقِينَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، سَنَةِ ٣٦٣ هـ ^{٢٤} قـ، وَقَدْ نَفَلَ ذَلِكَ أَبُو الْخَطَابِ الْعَلَاءُ بْنُ خَرْمٍ^{٢٥}، عَنْ أَبِي الْعَلَاءِ نَفْسِهِ^{٢٦}، وَعَلَى ذَلِكَ يَاقُوتُ الْحَمْوَى^{٢٧}، وَالْأَبْنَارِيُّ^{٢٨}، وَالسِّيُوطِيُّ^{٢٩}، وَالْخَطَيبُ الْبَغْدَادِيُّ^{٣٠}، وَالْصَّفْدِيُّ^{٣١}، وَقَدْ وُلِدَ الْمَعْرِيُّ فِي مَدِينَةِ الْمَعْرَةِ، كَمَا هُوَ مُشَهُورٌ.
أَسْمَاهُ أَبُوهُ أَحْمَدَ، وَكَتَاهُ بْنَيِ الْعَلَاءِ، وَيَبْدُ أَنَّهُمْ كَانُوا يَكْتُونُ الْأَوْلَادَ، مِنْ الْحَدَّاثَةِ؛ فَيَقُولُ أَبُو
الْعَلَاءِ:

[البسيط]

مِنْ عَثَّرَةِ الْقَوْمِ أَنْ كَنُوا وَلِيَهُمْ

^{٣٢} أَبَا فَلَانٍ وَلَمْ يَنْسُلْ وَلَا بَلَّغاً

وَيُظَهِرُ مِنْ كَلَامِهِ، أَنَّهُ كَانَ غَيْرَ رَاضٍ بِهَذَا الْإِسْمِ، وَلَا بِتَلْكَ الْكَنْيَةِ لِمَا يَشْعُرُ بِهِمَا، مِنَ الْمَدْحِ،
وَالْتَّعْزِيمِ، فَقَدْ قَالَ فِي الْأَوَّلِ:

[الكامل]

وَأَحْمَدُ سَمَّانِيْ كَبِيرِيْ وَقَلْمَا

^{٣٣} فَعَلَّتْ سَوْيَ مَا أَسْتَحْقُ بِهِ الدَّمَّا

وَقَالَ فِي الثَّانِيِّ:

[الوافر]

دُعِيْتُ أَبَا الْعَلَاءِ، وَذَاكَ مَيْنُ

^{٣٤} وَلَكَنَّ الصَّحِيْحَ أَبُو النُّزُولِ

^{٢٤}) انظر : الجندي ، م . س . ص . ٦٤ .

^{٢٥}) الْحَمْوَى ، يَاقُوتُ . مَعْجمُ الْأَدْبَاءِ ، ج ١٢ ، ص ١٠٨ .

^{٢٦}) الْأَبْنَارِيُّ ، مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ . طَبَقَاتُ الْأَدْبَاءِ ، ج ٤ ، ص ١١٩ .

^{٢٧}) السِّيُوطِيُّ ، بَغْيَةُ الْوَعَةِ فِي طَبَقَاتِ الْلَّغُوَيْنِ وَالنَّحَاهِ . ج ١ ، ص ٣١٥ .

^{٢٨}) الْخَطَيبُ الْبَغْدَادِيُّ ، تَارِيخُ بَغْدَادٍ أَوْ مَدِينَةِ السَّلَامِ . ج ٤ ، ص ٢٤٠ .

^{٢٩}) الصَّفْدِيُّ ، الْوَافِيُّ بِالْوَفَىِتِ . ج ٧ ، ص ٩٦ .

^{٣٠}) الْلَّزَوْمِيَّاتِ ، ج ٢ ص ٢٨٨ .

^{٣١}) الْلَّزَوْمِيَّاتِ ، ج ٢ ص ٢٣٣ .

^{٣٢}) الْلَّزَوْمِيَّاتِ ، ج ٢ ، ص ٢٣٦ . وَالْمَلِينُ : الْكَذَبُ .

وطأ عاد أبو العلاء من بغداد، وعزم على لزوم منزله، لقب نفسه برهين المحبسين للزومه منزله، وذهباب عينيه؛ ثم ملأ أمعن في البحث، عن أسرار الحياة، وأنفذ أشعة عقله إلى أعماقها، رأى أنه في ثلاثة سجون، لا في محبسين، وذلك قوله:

[الوافر]

أراني في الثلاثة من سجوني
فلا تسأل عن الخبر التبیث١

لقدی ناظري، ولزوم بيتي
وكون النفس في الجسد الخبیث٢
بـ- مرضه وعماه

ذكر ياقوت أن المعری، اعتل بالجدری الذي ذهب فيه بصره سنة سبع وستين وثلاثمائة^{٣٤} ، ٥٣٦٧^{٣٥} .
وذكر ذلك ابن خلکان، وقال: غشی یمنی عینیه بیاض، وذهبت الیسری جملة^{٣٦} .
وقال الصدی: «جدر من السنة الثالثة من عمره، وعمی منه، وكان يقول: لا أعرف من الألوان إلا الأحمر، لأنّي ألبست في الجدری، ثوباً مصبوغاً بالعصفر، لا أعقل غير ذلك^{٣٧} ».
قال المعری في ذلك عند شیخوخته، حين ردّ على داعی الدعاة الفاطمی: «وقد علم الله أنّ سمعي ثقیل، وبصری عن الإبصار کلیل، قصی علي، وأنا ابن أربع، لأفرق بين البازل والربیع، ثم توالّت محنی، حتى أشبه شخص العود المنحنی»^{٣٨} .
وقد أشار المعری إلى عاهته هذه، مرات عديدة، خاصة في دیوان «اللزومیات»، ويقول:

[الطويل]

عمی العین يتلوه عمی الدین والهدی

فلیلتی القصوی ثلاث آیا^{٣٩}
وقصده أن العمی، يسبّب بالضلال، ويشير بأنّ عماه الدائمی، أغمره في ظلمة، لا

^{٣٣}) اللزومیات، ج ١ ، ص ٢٠٤ .

^{٣٤}) الحموی، ياقوت . معجم الأدباء . ج ٢ ص ١٠٨ .

^{٣٥}) كنجیان خناری، علي . مصادر ثقاقة أبي العلاء ، المعری ، ص ٢٤ عن وفيات الأعیان .

^{٣٦}) م . ن . ص ٢٤ ، عن الوافی بالوفیات .

^{٣٧}) حسین، طه . تعريف القدماء بأبي العلاء ، ص ١٢١ ، البازل من الإبل : ما كان في تاسع سنة - الربیع من ذوات الخف : ما بلغ السابعة من سنہ .

^{٣٨}) اللزومیات ، ج ٢ ص ٢١٢ . يتلوه : يعقبه - القصوی : الغایة البعیدة .

إنتهاء لها .
وقال أيضاً :

[الطويل]

وما يَ طِرْقُ لِمَسِيرٍ وَلَا سُرْقِ ،

لأني ضريرٌ، لا تُضيءُ ليَ الْ طُرْقُ^{٤٣}

فأشار بأنه لا يستطيع أن ينبع بالموانع الموجودة، في طريقه، لا في النهار، ولا في الليل، لأنه عليل،
ولا يرى .

فيقول بشأن هذا الليل العلائي الطويل :

[الكامل]

ولطالما صابرْتُ لِيَلًا عَامًا ،

فمتى يَكُونُ الصَّبَرُ وَالإِسْفَارُ؟^{٤٤}

سيأتي عن أبي الحسن الدلفي المصيحي الشاعر، أنه سمع أبا العلاء، يقول: «أنا أحمد الله على
العم، كما يحمده غيري على البصر، فقد صنع لي، وأحسن بي إذ كفاني رؤية الثقلاء، والبغضاء».^{٤١}
لكن حمد الله على العمى، ليس عن سروره، والإغباط به، وإنما هو من تلقى القضاء بالرضى،
والإسلام إلى ما يستطيع دفعه، وكم من مكروب، يحمد الله على ما أصابه، وليس معنى هذا أنه
راضٍ به، مبهج بحصوله، وإنما هو نفثة مصدره، لا يشد صاحبها عن طريق الدين والأدب، مع ربه .
ومن تتبع شعر أبي العلاء الذي يعرض فيه، لذكر الجدرى والعمى، يجده مغموراً بالألم الشديد،
والحزن العميق، طافحاً بالحسرات، والزفرات، وهذا يدل على أن لهما، في نفسه أشد وأمض أثر؛ فانظر
إلى قوله :

[البسيط]

الحُظُّ لي، وَلِأهْلِ الْأَرْضِ كُلُّهُمْ ،

أَلَا يَرَانِي، أَخْرِي الدَّهْرِ، أَصْحَابِي

وَشِفْوَةً عَشِيشَتْ وَجْهِي، بِنَضْرَتِهِ ،

أَبَرُّ بِي مِنْ نَعِيمِ جَرَّ إِشْحَابِي^{٤٥}

فاعتبر عماد حظاً، ويقول أنا مسرورٌ، لفقد ناظري لأنني لا أرى أصحابي الذين لهم
سيء الخلق، وهذا الجدرى الذي سبب بإياسة وجهي، أجدر من تغيير لوني للجوع

(٤٣) اللزوميات، ج ٢، ص ٧٥: الْ طُرْقُ : القوة . وَالسُّرْقُ سَيْرُ اللَّيْلِ عَامَّتِه وَقِيلُ السُّرْقِ سَيْرُ اللَّيْلِ كَلَّهُ تُذَكَّرُهُ الْعَرَبُ وَتَوْئِثُهُ . والضرير : المريض المهزول .

(٤٤) اللزوميات، ج ١، ص ١٨٨ . عاماً : بطيئاً ممسيأً . والإسفار : الوضوح .
(٤٥) حسين، طه. تعريف القدماء بأبي العلاء . ص ٥١٤ عن الإنفاق والتحرى .

(٤٦) اللزوميات، ج ١ ، ص ١٤٩ .

أوالمرض، وقوله في السقط:

[الطويل]

فَلَيْتَ اللَّيَالِي سَامَحْتُنِي بِتَاظِرٍ

بِرَاكَ، وَمَنْ لِي بِالضَّحْنِ فِي الْأَصَائِلِ^{٤٣}

فيتمنى بأن ينتهي ليله، فيقول: كيف يمكن في ضوء النهار، يكون الناظر في الأصائل. (يشير إلى عما، فلا يرى ضوء النهار، كأنه في الظلام دائمًا)، وهذا كناية عن أمر مستحيل.

ج - رحلاته

زعم كثير من كتب في أبي العلاء، أنه بعد أن أتم ما أخذه، عن علماء بلاده، رحل إلى حلب، وأنطاكية^{٤٤}، واللاذقية^{٤٥}، وطرابلس من البلدان الشامية، وإلى بغداد لأجل طلب العلم، وهذا ما قالوه وما نراه فيه.

١ - رحلة إلى حلب

«قال ابن العديم: إنه دخل حلب وهو صبي، وقرأ على محمد بن عبد الله ابن سعد رواية ديوان المتنبي. وذكر هذه الرحلة ابن خلكان والسيوطى وغيرهما^{٤٦}. وتذكر حلب، في مواطن من شعره، منها قوله في السقط:

[الكامل]

لَيْتَ التَّحْمُلَ عَنْ ذَرَاكَ حُلُولُ،

وَالسَّيْرَ عَنْ حَلَبِ إِلَيْكَ رَجِيلُ^{٤٧}

وقوله من قصيدة، يهنىء بها ملكاً بزفاف:

[الخفيف]

المعري، سقط الزند، ص ١٤٧ . الأصائل: ج الأصيل: غروب الشمس. يقول ما أتمناه مستحيل كإستحالة الشمس في الضحى.^{٤٨}

مدينة على العاصي، شهرة يتحفها ومركزها الزراعي. أسسها سلوقيون نيكاتور. ٣٠٧ ق. م. أصبحت عاصمة السلوقين حتى الفتح الروماني (٦٤ ق. م). ومقرًا هاماً للحضارة اليونانية ازدهرت فيها الآداب والفنون. دمرها الفرس في ٥٤٠ واحتلتها العرب ٦٣٦ ثم الليبيون ١٠٩٨ م، ووُقعت بعدها في أيدي العثمانيين ١٥١٧ م وبدأت بالتقهقر.^{٤٩}

مدينة وميناء في سوريا، قاعدة محافظة اللاذقية. عرفت في العصور القديمة باسم (راميتو) ثم (لوكه اكته) ثم (مزابدان)، ازدهرت في العهد السلوفي. استولى عليها السلاجقة ثم الصليبيون ١٠٩٧ م.^{٥٠}

الجندي: م. س، ج ١، ص ١٩٢ .^{٥١}

سقط الزند: م. س، ص ١٣٨، التحمل: السفر، الرحيل. الذري: الناحية الحلول: الإقامة.^{٥٢}

حلب، للولي، جنة عدن،

وهي، للغادرين، ناز سعر^{٤٨}

فلا يبعد أن يكون أبو العلاء دخلها للإطلاع على مكتابها.

٢- رحلة إلى أنطاكية

روى البديعى في «الصريح المبين» عن الأمير أسامة بن منقذ قصة، خلاصتها: أنه كانت بأنطاكية خزانة كتب وكان الخازن بها رجلاً علويًا، فقال للأمير يوماً: قد جنأت لك خبيئة غريبة لم يسمع بهنثها، قلت: وما هي؟ قال: صبي دون البلوغ، ضرير يتعدد إلى وقد حفظه في أيام قلائل عدة كتب، وذلك أني أقرأ عليه الكراهة والكراسين مرة واحدة، فلا يستعيد إلا ما يشك فيه، ثم يتلو علي ما سمعه، كأنه كان محفوظاً له. قلت: لعله قد يكون محفوظاً له. قال سبحان الله، أيكون كل كتاب في الدنيا محفوظاً له؟ ولئن كان كذلك فهو أعظم.

ثم حضر ذلك الصبي، وهو دميم الخلقة، مجدر الوجه، على عينيه بياض من أثر الجدرى كأنه ينظر بإحدى عينيه قليلاً وهو يتقد ذكاء، يقوده رجل طويل، أحسبه يقرب من نسبة، فقال له الخازن: يا ولدي، هذا السيد رجل كبير القدر وقد وصفتك عنده وهو يجب أن تحفظ اليوم ما يختاره لك. فقال له: سمعاً وطاعة، فليخبر ما يريده؛ قال أسامة: فاخترت شيئاً وقرأته عليه، وهو يوج ويستزيد، فإذا مرت بشيء يحتاج إلى تكريره في خاطره، قال: أعد هذا، فأردده مرة أخرى حتى انتهيت إلى ما يزيد على كراسة، فقلت له: أيقنع هذا؟ قال: أجل، ثم تلا علي ما أملته عليه حرفاً حرفاً وأنا أعارضه بالكتاب حتى انتهيت حيث وقفت عليه، فكان عقلي يذهب لما رأيت منه وعلمت أن ليس في العالم من يقدر على ذلك.

وسألت عنه فقيل لي: هذا أبو العلاء المعري التنوخي، من بيت العلم والقضاء والثروة والغن؛ وذكرها البديعى أيضاً في «أوج التحرى» عن ابن منقذ ولكنه لم يذكر اسمه. والأستاذ الميمى أورد كلام البديعى في (ص ٤٥) وقال في ذيل الصفحة:

«وهذه الحكاية توجد باختلاف يسير منسوبة إلى التبريزى في (غررالخصائص: ص ١٨٧). ولم يست هذه القصة في الموضوع المذكور في غرر الخصائص، وإنما فيه قصة الأعجمي الذي سأله عن التبريزى في حلقة أبي العلاء وحفظ أبو العلاء كلامه

^{٤٨}) سقط الزند، ص ٧٩، السعير: لهب النار وحرّها.

بالفارسية^{٤٩}.

لكن ذكر الجندي في «الجامع في أخبار أبي العلاء وأثاره» أسباباً، ليثبت أن أبي العلاء ما سافر إلى أنطاكية، ومنها^{٥٠}:

- أنها لو كانت حقيقة، لتضافت الروايات على نقلها، كما تضافت على ذكر رحلته إلى بغداد، في حين أن كثيراً ممن كتب في أبي العلاء لم يتعرض لها.
- وأنها لو كانت أمراً واقعاً حقيقةً، لذكرها أبو العلاء في مواطن من ثره ونظمها، كما ذكر بغداد ولكنه لم يذكرها فيما وصل إلينا، من كتبه إلا في أبيات «اللّزوم».
- أن نسبة الحكاية إلى أسامة، وقد تقدم أنه ولد بعد وفاة أبي العلاء.
- أن قول ابن العديم يحتمل، أن تكون أنطاكية تصحفت بحلب أو كفرطاب، يدل على أنها لم تكن أنطاكية يقيناً.
- أن الروم بعد أن ملكوا أنطاكية، أخلوها من المسلمين وإذا جوزنا بقاء فريق منهم ووجود مكتبة، فمن بعيد أن يتسرى لصبي ضرير، أن ينتابها والروم كانوا يضطهدون المسلمين في البلاد التي أخذوها منهم.
- أنه لم يعين أحدٌ، زمن هذه الرحلة، ولا أيٌ كتاب وقع عليه اختيار ابن منتفذ.

وأما قولهم: صبي دون البلوغ، فيحتمل منذ زمن الولادة إلى قبيل البلوغ، وكان ينبغي أن يكون أبوه معه في هذه الرحلة، لسرنا على ضؤتها في الحكم على صحتها، ولكننا لم نجد غير ما نقله البديعي وابن العديم، وهو محفوف بالأدلة الواضحة على بطلانه، وبناء الحكم على الظن البعيد غير صحيح، وبناءه على الشيء الباطل، باطل ويتحصل معنا أن رحلته إلى أنطاكية لم تثبت من وجهٍ صحيحٍ.

٣- رحلة إلى اللاذقية

ذكر القبطي، والذهبـي، والصفدي، والسيوطـي، والعثماني، وغيرهم ما خلاصته^{٥١}: أن أبي العلاء بعد أن أخذ عن علماء بلده، رحل إلى طرابلس وكانت بها خزائن كتب، وقد

^{٤٩}) الجندي : م . س ، ص ١٩٦ .

^{٥٠}) م . ن ، ص ١٩٨ .

^{٥١}) الجندي ، م . س ، ج ١ ، ص ٢٠١ .

وقفها ذوو اليسار واجتاز في طريقه باللاذقية ونزل في دير [سماه القبطي: دير الفاروس، وهو على مقرية منها] وكان فيه راهبٌ، له علم بأقوال الفلسفه، فسمع منه أبو العلاء كلامه، أو أخذ عنه ما شَكَّه في دينه، وغيره من الديانات، فحصل له بعض الإنحلال. وقال ياقوت: وقال المعربي الملحed: إذا كانت اللاذقية بيد الروم، بها قاضٍ، وخطيب، وجامع لعياد المسلمين إذ أذنوا ضرب الروم النواقيس، كياداً لهم فقال:

[مجزوء الكامل]

في اللاذقية فتنة

ما بين أحمد وال المسيح

هذا يعالج دلبة

^{٥٢} والشيخ من حنق يصبح

وفي كلام صاحب «الذكرى» ما يدلّ على قبول هذه الرحلة، وأنه لا يشك في أنَّ الصلة، قد اشتَدَّتْ بين أبي العلاء وبين النصارى قبل رحلته إلى بغداد، بحيث إِسْتَطَاعَ أَنْ يُدْرِسَ دِينَهُمْ، ودين اليهود، ويناقشهم فيها وأنَّه لم يدرسهما في المعرة، لأنَّ حياتها العلمية لم تكن تسمح بذلك، فلا شك في أنه قد درس هاتين الديانتين في أسفاره الأولى، إِمَّا في أنطاكية، أو في اللاذقية، ورجح الثاني لأمررين، أحدهما: رواية المؤرخين المذكورين، والثاني: البيتان المتقدمان اللذان رواهما ياقوت.

وروى الأستاذ الميموني قول القبطي، والذهبى، وغیرهما، ثم قال: ولا يستبعد أصلًاً أن يستغوي راهب، ناشتاً هم أترابه في الله و اللَّعب، وذكر كلامها بيد الروم، وضربيهم النواقيس إذ أذنَّ المسلمين، وذكر أنَّ بعض المستشرقين شكَّ في هذا الخبر وزعمَ أنَّ العرب تضييف إلى الرهبان، كثيراً من الآراء التي يبعد ما بينهما وبين الإسلام.

وأنَّ المعربي احتذى في هذه الشكوك على مثال «المتنبي»، فإنه كان لا ييُجلُّ الأنبياء.

٤ - رحلة إلى طرابلس وصناعة

قد سمعنا قول القبطي، والذهبى، والسيوطى، والصفدى، وغيرهم في رحلة أبي العلاء إلى طرابلس وذكرها غيرها على النمط الذي ذكره هؤلاء، وقد قال ابن العديم: ذكر بعض المصنفين أنَّ أبي العلاء رحل إلى «دارالعلم» بطرابلس للنظر في كتبها.

لكن يرى الجندي بأنَّ إشتبه الأمر عليهم، ولم يكن بطرابلس دارعلم في أيام أبي العلاء، وذلك كان في بغداد، وإنما جدَّ دارالعلم بطرابلس القاضي جلال الملك أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن عمار في سنة اثنين وسبعين وأربعين، وكان أبو العلاء قد مات قبل ذلك

^{٥٣} الدلبة: الناقوس والشيخ الذي يصبح ، أراد به المؤذن .

(سنة ٤٤٩ هـ . ق) أي قبل تجديدها بثلاث وعشرين سنة^{٥٣} ؟ وقد يذكر في ترجمة أبي العلاء سفره إلى صنعاء، لكن لم يذكر عند مجموعة كبيرة من المؤرخين الآخرين، فلا نهتم به . فعندما نظرنا إلى هذه الرحلات نظرًة شاملة، نتاج بأن رحلته إلى حلب رحلة قطعية، ورحلته الكبيرة ذات أهمية كبرى التي صارت بدايةً للحياة الجديدة لأبي العلاء، هي رحلته إلى بغداد ونتكلم عنها.

٥ - رحلة إلى بغداد

كانت بغداد في عهد أبي العلاء، عاصمة الخلافة الإسلامية، ومجمع العلماء، والأدباء، وكبار المذاهب الدينية، والفلسفية، ومع أن النظم الحكومية، والأطر السياسية ما كانت مستحکمة لكن الأطر الأدبية كانت رفيعة جداً، وأنجب الإزهار العلمي بثماره الطيبة في هذا العصر (العباسي الثاني)، في المملكة الإسلامية وخاصةً في هذا البلد، كعاصمتها .

أبو العلاء لسمع بصيت المكتبات، وللمجامعت علمية في هذا البلد، فاشتد عطشه أكثر فأكثر لطلب العلم، فبدأ برحلته لتقليل هذا العطش مع كل صعوباتها التي كانت مضاعفة له لعاهته، ويقال: إن أعظم خزائن الكتب في الإسلام ثلاثة خزانٍ؛ إحداها، خزانة الخلفاء العباسيين ببغداد، فكان فيها من الكتب ما لا يحصى كثرةً، ولا يقدم عليه نفاسةً، ولم تزل على ذلك إلى أن دهمت التتر ببغداد . والثانية، مكتبة سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة في الكرخ، في محللة بين السورين، وقد احترقت فيما احترق من محل الكرخ عند ورود طغول بك، أول ملوك السلاجقة إلى بغداد سنة ٤٤٧ هـ وقد وقعت تسميتها بدار العلم في كلام ابن الأثير، وابن خلكان، وياقوت .

كان في بغداد غير هاتين المكتبتين، كثير من المكاتب الخاصة .

في سبب رحلته، قد ذكر جماعة منهم القبطي، والذهببي، وغيرهما أنَّ عامل، أو أمير، أو نائب حلب عارض أبي العلاء في وقف له، وسافر إلى بغداد متظليماً شاكياً، ولم يعین أحد منهم ذلك العامل، أو النائب في ذلك العهد، ولا في أية سنة وقعت المعارضة، ولا نوعها، ولا نوع ذلك الوقف؛ وقال ابن العديم: إنه رحل إليها لطلب العلم، والإستكثار منه، والإطلاع على الكتب التي كانت ببغداد، ولم يرحل لطلب الدنيا ولا رفعة، وقال صاحب «الذكرى»:

ونحن نعتقد أن حب العلم، وطلب الشهرة، وسعة العيش، وبغض الحياة السياسية

^{٥٣} انظر: الجندي، م. س، ج ١، ص ٢٠٥ .

بحلب، وما آلت إليه من الإختلاف والفتن، هي التي كونت في نفس أبي العلاء، عزمه على الرحلة من بلاد الشام إلى العراق، وذكر الأستاذ الميمني، أسباباً كثيرةً لرحلته، منها دارالكتب، والسام والتبرم من الفتن، والغارات، والحروب التي يثيرها البدو، والروم، والمصريون.

لكن كما يقول أبو العلاء نفسه، في قصيده أرسلها إلى أبي القاسم التنوخي، بعد عودته إلى المعرة:
[البسيط]

رَحَلْتُ، لَمْ آتِ قِرْوَاشًا أَزَوْلَهُ،

وَلَا الْمُهَذِّبَ أَبْغِي النَّيلَ، تَقْوِيَتَا^{٤٤}

وفي مرثية الشريف أبي أحمد الموسوي:

أَوْضَعْتُ فِي طُرْقِ التَّشَرِّفِ سَامِيَا

بِكُمَا، وَلَمْ أَسْلُكْ طَرِيقَ الْعَافِي^{٤٥}

يبين أنَّ قصده من الرحلة، كان حبَّ الإطلاع على دارالكتب فحسب، ولا شيء آخر.
وأيضاً يقول في رسالة إلى خاله: «والذي أقدمني تلك البلاد (بغداد) مكان دارالكتب بها». ولا شك أن شهرة أبي العلاء سبقته إلى بغداد، لأن المعرة في عهده كانت ملتقى السبل بين الشام، وماوراءها؛ والعراق، وماوراءها؛ وكان الحجاج، والتجار، والرجال، ورسل الملوك، وغيرهم يمرُّون بها، وقد ذكر أبي العلاء ملأ تلك التواحيف وتخطى إلى مسامع كثير من الفضلاء، في العراق وغيره، منهم: القاضي الطبرى، وأصدقاء أبي طاهر الذين كتب إليهم وما دخل بغداد، كتب قصيدة إلى أبي حامد الإسفراينى^{٤٦} ذكر فيها أنه أنشأ الرحلة على الناقة، فهو يحثُّها على السير، ويأمرها أن تسرع في الليل، ولاتهاب بياض الصبح، وإن كان شيئاً بالسيف، يشير بذلك إلى جيده ومضائه حيث يقول^{٤٧}:

[البسيط]

لَا وَضَعَ لِلرَّاحِلِ، إِلَّا بَعْدَ إِيْضَاعِ،

فَكَيْفَ شَاهَدْتِ إِمْضَائِي وَإِزْمَاعِي؟^{٤٨}

^{٤٤} سقط الزند، ص ١٦٥ ، قرواش : امير كان يلي أمر بغداد ، والمهدب : وزيره ، النيل : العطاء .

^{٤٥} سقط الزند ، ص ٥٢ ، اوضعت : اسرعت ، ساحيا : مرتفعا . العافي : طالب المعروف .

^{٤٦} هو أحمد بن محمد الإسفرايني ، الفقيه الشافعى الذي انتهت اليه رئاسة الدنيا والدين ، وكان يحضره ثلاثة فقيه وقيل سبعمائة ، توفي سنة ٤٠٦ في بغداد .

^{٤٧} سقط الزند ، ص ١٣٧ .

^{٤٨} وضع الرحل : النزول . الايضاع : السير السريع . الإمضاء : إنفاذ الرأي ، الإزمام : العزم على الشيء .

يا ناقٌ جَدِي، فقد أفتَ أَنْاقٌ

^{٥٩} في صَبَرِي وَعُمْرِي وَأَحَلَّسِي وَأَنْسَاعِي

إذا رأيْتَ سَوَادَ اللَّيلِ، فَانْصَلِتِي؛

^{٦٠} وإنْ رأيْتَ بِيَاضَ الصَّبَرِيِّ، فَانْصَاعِي

وَلَا يَهُولَنِكَ سِيقُ للصَّبَرِيِّ بداً،

^{٦١} فإِنَّهُ لِلْهَوَادِيِّ غَيْرُ قَطَاعٍ

بالنظر إلى أهمية فترة سكونة أبي العلاء ببغداد، والذين عرفهم بهذه العاصمة العلمية نذكر بعض العلماء والمجالس العلمية باختصار:

أ - القاضي أبو الطيب؛ وكانت بينه وبين أبي العلاء مكاتبات شعرية.

ب - القاضي التنوخي وهو أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي ولد سنة ٣٥٥ هـ، وكان شيئاً معتزلياً، ساكناً وقوراً، ثقة في الحديث، متحفظاً في الشهادة، محتاطاً، صدوقاً، ظريفاً، جيد النادر. ولـ القضاة في نواح كثيرة وتوفي سنة ٤٤٧ هـ. وقصائد في سقط الرزد أرسلها أبو العلاء إليه.

ج - الشريف المرتضى: أبو القاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين بن موسى العلوى، ولد سنة ٣٥٥ هـ وتوفي في بغداد سنة ٤٣٦ هـ، وكان إماماً في علم الكلام، والأدب، والشعر، وكان نقيب الطالبين بعد أبيه، أبي أحمد الموسوي. فأبو العلاء رثى أبوه وكانت بينهما المباحثات الفقهية والفلسفية.

د - جماعة إخوان الصفا والكلام عنها سيأتي^{٦٢}.

يفهم من تصريحات أبي العلاء في رسالته أنَّ البغداديين إحتفلوا به، وعرضوا عليه الأموال، رغبةً في بقاءه عندهم، ولكن ما قبل شيئاً، والذي أرغبه ببقاء في بغداد، دار العلم والإقامة فيها والذي أزعجه منها، شوقة إلى أمه، وقلة المال.

د - حياة المعري في المعرة بعد عودته
بعد أن عاد إلى المعرة، وجد أمه قد ماتت. أقام في منزله، ثم اضطره أقرباؤه وأصحابه إلى فتح بابه للزائرين، والمتعلمين، ولم يوفق إلى الإعتزال.

(٥٩) الأنأة : الرفق والبطء ، الأحلاس : حمع الحلس : كسام يطرح على ظهر البعير ، الأنساع : جمع النساع : سير ينسج عريضاً ، تشد به الحقائب أو الرجال .

(٦٠) انصلتي : اسرعي ، انصاعي : جدي أو اسرعي في السير .

(٦١) يهولنك : يفرعنك ، يخيفنك . الهوادي : الخيول المتقنة .

(٦٢) الجندي ، م . س ، ص ٢٣١ .

رغم بعض الآراء أنّ فكرة العزلة حدثت لأبي العلاء في بغداد، وأنّها أثرَّ من آثار إطلاعه، على كتب الفلسفة فيها، وإحتكاكه بالفلاسفة، وأطال في إثبات ذلك، يظهر عند التأمل، أن ذلك غير صحيح وأنّ هذه الفكرة قديمة في نفس أبي العلاء، تدور في خلده قبل ذهابه إلى بغداد، ولعله لم يتمكن من المجاهدة بها قبل سفره^{٦٣}، يدلنا على ذلك قوله في كتابه إلى أهل المعرفة: «وهو أمرُّ أسرى عليه بليل... ليس بنتيج الساعة، ولا ربِّب الشهر، والستة ولكنه غذَّي الحقب المتقدمة، وسليل الفكر الطويل»^{٦٤}.

هـ - موطنه

قد اتفقت الكلمة القوم على أنه مرض، فمات؛ إلا ابن الهبارية فإنه زعم أنه سُم نفسه، فمات، مما أمر داعي الدعاء بإحضاره إلى حلب، وقد تبين بطلان ذلك؛ ويوم وفاته كان الثاني من ربيع الأول، أو ثالثه، أو الثاني عشر أو الثالث عشر من عام ٤٤٩ هـ وأوصى أن يكتب على قبره:

[مجزوء الكامل]

هَدَا جَنَاحَ أَبِي عَلَيْهِ

وَمَا جَنَيَّتْ عَلَى أَخِيهِ

في المعرة مسجد، يقال له مسجد أبي العلاء، ومقام أبي العلاء، وضريح أبي العلاء، وهو في المحلة القبلية؛ وهكذا فارق المعرى الحياة التي سئلها، وأورث البشرية مجموعة كبيرة من الثقافة. «رحمه الله»

و- آثاره

ترك أبو العلاء عدداً كبيراً من المصنفات؛ في الشعر، والزهد، وعلوم القرآن، والوعظ، والفلسفة، واللغة، والنحو، والألغاز، وغيرها. ولكن الزمان بصروفه المختلفة قد أتى الكثير منها، ولم يبق إلا القليل الذي تداوله الناس وتناقلته الأيدي عبر العصور. ومن أهم تلك المصنفات:

١ - الفصول والغايات (والملايين بالغايات: القوافي، لأن القافية غاية البيت، أي: منتهاه).
و هو كتاب موضوع على حروف المعجم، ما خلا ألف لأن فوائله مبنية على أن تكون ما قبل الحرف المعتمد فيها ألفاً، ومن المحال أن يجمع بين ألفين.

^{٦٣}) انظر: الجندي، م. س، ص ٢٨٢.

^{٦٤}) م. ن، ص ٢٨٢ ، منقول عن إرشاد الأديب - لياقوت.

- و قيل: إنه بدأ بهذا الكتاب، قبل رحلته إلى بغداد، وأمه بعده عودته إلى المعرة، وهو سبعة؛
وقيل: هو مائة كراسة.
- الشاذن: أنشأه في ذكر غريب الكتاب السابق، وما فيه من اللّغز؛ ومقداره عشرون كراسة.
- إقليد الغايات: هو كتاب لطيف، مقصور على تفسير اللّغز؛ مقداره عشر كراسيس.
- الأدك والغضون: هو كتاب الهمزة والرّدف، ضمنه الكثير من العظات، وذم الدنيا؛ ويقع في
الاثنين وتسعين جزءاً.
- تضمين الآي:
- هو كتاب مختلف الفصول، كان السبب في تأليفه أنَّ بعض الأمراء سأله أن يُؤلِّف كتاباً برسمه،
فلم يُؤثِّر أن يُؤلِّف شيئاً في غير العظات والمحث على التقوى.
- سجع الحمائم:
- في الوعظ، والمحث على الزهد؛ أربعة أجزاء.
- لزوم ما لا يلزم:
- كتاب في المنظوم، بناء على حروف المعجم وذكر كل حرف سوى الألف؛ بوجوهه الأربعه وهي
الضمة؛ والفتحة؛ والكسرة؛ والوقف (السكون)؛
ومعنى لزوم ما لا يلزم، أن القافية يردد فيها حرفٌ لو غيره لم يكن مخلاً بالنظام.
- جامع الأوزان:
- فيه شعر منظوم على معنى اللّغز، يعمّ به الأوزان الخمسة عشر التي ذكرها الخليل.
- السجع السلطاني: يشتمل على مخاطبات للجنود والوزراء والولاة.
- ذكرى حبيب: في غريب شعر أبي تمام.
- عبدالوليد (البحتري): في الواحد وعشرون كراسة.
- رسالة الغفران.
- سقوط الزند وشروحه: ضوء السقط.
- الصاهل والشاجح: يتكلّم فيه على لسان فرس ويخل.
- فضائل الإمام علي بن أبي طالب.

مررت بنا الأوضاع السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية التي كانت تحكم مجتمع شاعرنا أبي العلاء. فتبين لنا سوء المجتمع، وسيتبين لنا كلام أبي العلاء حول هذا المجتمع، فيما بعد.

لكن في سيرة هذا الشاعر، بعض القضايا قابل للإهتمام؛ وهي أولاً: عماه، فيشير طه حسين في «تجديد ذكرى أبي العلاء» أنّ من أسباب إعتكاف أبي العلاء على الفلسفة هو عماه، لأنّه كان صاحب فطرة كشافة كانت تهتم بالعلوم، لكنه لهذه العاهة ما كان يستطيع أن يطرق طريق العلوم التجريبية التي تحتاج إلى الحواس السليمة، وأبو العلاء فاقد البصر.

فهذا الكلام يمكن أن يصبح على حدّ ما، لكنه صحته لا تكمل، فأبو العلاء نفسه ما أشار إلى هذه القضية في أشعاره، فيمكن أن يكون هذا الكلام الذي فاه به طه حسين، ك الحديث نفسه الذي أجراه على لسان أبي العلاء، ونفسه كان يعنّ من عماه.

وثانياً: رحلاته، فالرحلة في العصر العباسي كانت قضية هامة كثُرت في هذا العصر، وأهمّ أسباب كثرتها، كانت الفتوحات الكثيرة؛ فالمجتمع الإسلامي صار واسعاً جداً، وكان يشتمل على البلدان الواسعة والكثيرة، والأقوام والجنسيات الممتدة،

فهذه الرحلات أدت إلى نهضة الترجمة التي سببت في تقدم العلوم المختلفة عامةً، والفلسفة خاصةً. فأسهل حُب العلم والفلسفة، صعوبات الرحلات لأبي العلاء التي كانت تسبّبها عاهته، العمى والرحلات العلمية التي لعبت دوراً رئيسياً في نضج أفكاره، وفي حياته العلمية.

الفصل الثاني

الفلسفة العلائية؛ من أين وإلى أين ؟

التمهيد

لقد كان للفلسفة الإسلامية، دورٌ هامٌ في مسألة الصلة بين الفلسفة والدين، لما كان لها من تأثير على فكر «توما الأكويني»^{٦٥}، وهو من أكبر مفكري الغرب، والسؤال الذي نريد أن نطرحه في هذا الصدد هو: هل كانت للمسلمين فلسفة، ومن أين نبعت، وإلى أي حدّ بلغ تأثيرها؟
والحق أنَّ المسلمين قد جعلوا القرآن دستورهم الأول، للفكر والحياة، فالالتزاموا تعاليمه فيسائر نواحي النظر والعمل، بالإضافة إلى السنة المطهرة، واستخرجوا منه الأحكام والأدلة، ف تكون لديهم علم فلسي أصيل، هو علم أصول الفقه.

ولو ترك المسلمون شأنهم، بدون أن تنقل إليهم الفلسفة اليونانية لتوصلا إلى فلسفات إسلامية بحثتَّه، قائمة على الكتاب الكريم.

لقد فاجأت المسلمين، رسائل الفلسفية في طريق النضوج الفلسفية الذي لم يكن قد اكتمل بعد، فعطلت مسيرتهم الخلاقية في مجال الإبداع الفلسفية و، كبلت العقل الإسلامي بقيود مصطنعة، نتيجةً لما وصل إليهم من تراث يونياني ملتف عن طريق مدرسة الإسكندرية.

لهذا تناول المسلمون هذا التراث اليوناني بها فيه من فلسفة وعلم وانبروا يجددون فيه، ويعقلون عليه، ويضعوا الآراء المفسرة لذاهب اليونان محاولين التوفيق بينها، وبين العقيدة الدينية، فكان نتاج هذا كله ما عُرف بالفلسفة الإسلامية، بيد أنه كان للمسلمين دورهم الكبير في دراسة منطق «أرسطو» وإخراجه، ونقد بعض موضعه، والإضافة إليه،

(٦٥) توما الأكويني (١٢٢٥-١٢٧٤) : راهب دومينيكانى ولد في إيطاليا وعلم في جامعة باريس ، معلم الكنيسة ومحبها في اللاهوت والفلسفة المدرسية (سكولاستيك) ، اطلع على آراء ابن سينا والغزالى وابن رشد عن طريق الترجمات اللاتينية وانتقادها ، من مؤلفاته العديدة : «الخلاصة اللاهوتية» و «الخلاصة ضد الامر» .

والكشف عن منهج الإستقرار العلمي الذي تعدّ مناهج الأصوليين^{٦٧} ، نسقاً منه .
وفي هذا الفصل نعالج علاقة الفلسفة بالأدب ، ثم فلسفة أبي العلاء ، وعماد فلسفته وهو العقل .
وهذا الفصل بابُ لدخولنا على «اللزوميات» ديوان شعره الفلسفي .

) كان للأصوليين ، أبحاث في دوران العلة ، والبرو التقسيم وفي قياس الغائب علي الشهاد . للحصول على تفصيلات هذه المنهاج الاسلامية يقترح العدوة إلى : «مالبرانش والفلسفة الالهية» الباب الثاني . صفحات ٧٨ ، ٧٩ ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٥ م .

المبحث الأول

الفلسفة وعلاقتها بالأدب

تضاربت آراء الباحثين حول علاقة الفلسفة بالأدب، وحول التداخل والتفاعل بينهما؛ «فإنكر فريق هذا التداخل وهذا التفاعل، ورأى أنَّ هُنَّا فرقاً كبيراً بين الإنتاج الفلسفـي والإنتاج الأدبي على اعتبار أنَّ الأدب محـكوم بالفنـية والصـياغـة الجـمالـية؛ والفلـسـفة مـحـكـومـةـ بالـغـلـبـةـ العـقـلـيـةـ،ـ والنـظـرـةـ الشـامـلـةـ مـخـلـفـةـ نـوـاـحـيـ الـحـيـاةـ وـالـجـوـودـ»^{٦٧}.

ورأى فريق آخر، أنَّ الفلسفة والأدب هما شكلان متـجاـوارـانـ منـ أـشـكـالـ الـأـنـتـاجـ الـفـكـريـ والإـبـدـاعـ العـقـلـيـ،ـ يـتـراـبـطـ تـرـابـطـ جـوـانـبـ مـخـلـفـةـ لـإـنـسـانـ وـاحـدـ،ـ وـأـنـمـاطـ مـخـلـفـةـ فيـ حـضـارـةـ وـاحـدـةـ،ـ أوـ قـلـ تـرـابـطـ صـيـغـ وأـشـكـالـ مـتـنـوـعـةـ لـقـضـيـةـ وـاحـدـةـ،ـ مـحـورـهـ إـلـيـهـ وـجـوـودـ وـكـيـنـونـيـتـهـ....ـ

وإذا صح ما يقال من أنَّ الفلسفة هي وليدة العقل والخيال معاً؛ وأنه لا بد للميتافيزيقي من أن يدخل في حسابه خبرات الشعراء والفنانين، فإنه قد لا يكون علينا من حرج إذا قربنا الفلسفة من الأدب، وأقربنا بـتـداـخلـهـمـاـ فيـ الـكـثـيرـ منـ الـأـعـمـالـ الـأـدـبـيـةـ وـالـأـثـارـ الـفـكـرـيـةـ.

ولـابـدـ لـنـاـ عـنـدـ بـحـثـ قـضـيـةـ التـداـخـلـ بـيـنـ الـفـلـسـفـةـ وـالـأـدـبـ،ـ منـ أـنـ نـلـجـأـ إـلـىـ مـارـوـاهـ بـعـضـ مـوـرـخـيـ الـفـلـسـفـةـ مـنـ أـنـ السـوـفـسـطـائـينـ كـانـواـ يـسـتـشـهـدـونـ بـأشـعـارـ «ـهـومـيـرـوسـ»^{٦٨}ـ وـبـعـضـ أـقـوالـهـ فـيـ مـاـ يـؤـيدـ مـذـهـبـهـمـ فـيـ قـضـيـةـ التـغـيـرـ الدـائـمـ لـلـأـشـيـاءـ؛ـ وـفـيـ مـاـ قـالـوهـ مـنـ أـنـ «ـأـنـكـسـمـنـدـرـيـسـ»^{٦٩}ـ صـاغـ الـكـثـيرـ مـنـ أـفـكـارـهـ الـفـلـسـفـيـةـ فـيـ عـبـاراتـ شـبـهـ شـعـرـيـةـ؛ـ وـفـيـ أـنـ «ـبـرـمـنـيدـسـ»^{٧٠}ـ نـظـمـ قـصـيـدةـ طـوـيـلـةـ أـوـدـعـهـاـ خـلاـصـةـ تـفـكـيرـهـ الـمـيـتـافـيـزـيـقـيـ.ـ وـذـكـرـ أـيـضاـ أـنـ

(٦٧) عليان، أحمد محمد ، جدلية العلاقة بين الفلسفة والأدب . ص ٤٩ .

(٦٨) (القرن ٩ ٥ . م) ، ولد في آسيا الصغرى ، شاعر ملجمي يوناني ، قيل انه كان اعمى ، نسب اليه مولفون اليونان اشعار (الالياذه) (الاوديسة) (الاغاني الهوميرية) التي اثرت تأثيرها عميقا على مستقبل الشعر اليونيـانيـ .

(٦٩) فيلسوف يوناني علم أن مبدأ الأشياء في جوهر أزلي هو الانهائية وقالوا إنه أول من رسم الخرائط الجغرافية ، قرن ٦ ق . م .

(٧٠) قرن ٥ ق . م ، فيلسوف يوناني له قصيدة (في الطبيعة) قال فيها بالتوحيد المطلق وعدم التغير وأزلية كل شيء .

«أرسطو» عند مقارنة مطولة، بين الشعر والفلسفة والتاريخ والفلسفة، قال: أنَّ الشعر أكثر نزوعاً فلسفياً وأكثر خطورةً من التاريخ، وأنَّه يتعامل بالكلمات، بينما يتعامل التاريخ مع الخصوصيات، وأنَّ الشعر لا يهتم بما قد حدث، وإنما بما يمكن أن يحدث، وأنَّه يفضل الإحتمالات غير الممكنة على الممكنات غير المحتملة^{٧١}.

إذن فالعلاقة بين الفلسفة والأدب، هي علاقة قديمة ومتواصلة، لا يمكن الفصل فيها بين الإنتاج الفكري والإنتاج الإدبي، بأي شكل من الأشكال ويؤكّد ذلك «جان فال» الذي يقول: «إنَّه لا يوجد في حقيقة الأمر فرق جوهري بين الفلسفة والشعر؛ وفي أحيان كثيرة كان من بين الفلسفة، شعراء موهوبون كأفلاطون وسارتر»^{٧٢}.

«بيد أنَّ الفلسفة والأدب رغم تعبيرهما المشترك عن الوجود، فإنَّهما ليسا شيئاً واحداً، وطريقة تعبيرهما عن هذا الوجود ليست واحدة؛ ولهذا لا يجوز أن يفني الشعر في الفلسفة، ويستحيل إلى صور ذهنية قليلة الجدوى، كما لا يجوز أن تندمج الفلسفة بالشعر فيخفف وقارها، وتحوّل إلى خيالات لا طائل تحتها؛ ولهذا كان من الأفضل أن يعمل كل منهما في دائرة ويتحرّك في مجاله، لكن دون أن يعني ذلك عدم قابلية كل منهما للتفاؤل، والإقتباس، والتجاور مع الآخر»^{٧٣}.

وإذا كانت الفلسفة تشدد على معايير الوضوح والغموض والخطأ والصواب والحق والباطل، فإنَّ الأدب يطالب بمعايير العاطفة والإنساع والشعور والخيال والقبح والجمال، الأمر الذي يعطي الفلسفة صفة التركيب والتحليل، يعطي الأدب صفة التأثير اللاعلقي في مكونات الإنسان الشعورية، من الأحساس والعواطف؛ ولكن هذا الإختلاف مع صحته، لا يلغى بأي حال من الأحوال أنَّ الأدب لا علاقة له بالعقل، أو أنَّ الفلسفة لا علاقة لها بالعواطف، بقدر ما يشير إلى الخصوصيات الغالبة في طريقة تعبير كُلِّ منها.

ففي حالة الفلسفة، كما في حالة الأدب تكون طريقة التعبير، حاملة لفكرة متصلة في وعي الفيلسوف والأديب. وبالتالي لا يصح القول أنَّ الفلسفة مجرد نشاط عقلي، وأنَّ الأدب مجرد نشاط إنفعالي؛ إنَّهما وبالتحديد الفكر وهو يخرج مضمونيه المتمثلة في صورة نظرية أو منطقية أو تركيبية لدى الفيلسوف وفي صورة فنية خيالية ورمادية لدى الأديب:

^{٧١}) فن الشعر لارسطو، ترجمة شكري عياد. ص ١٤٠.

^{٧٢}) مدخل الفكر الفلسفي، جوزف بوخينسكي، ترجمة محمود زقزوق . ص ١٦.

^{٧٣}) جدلية العلاقة بين الفلسفة والأدب ، م. س ، ص ٥٦ .

ووفق هذا التمايز وهذا الإختلاف، بين الفلسفة والأدب نقترب من تمايز وإختلاف آخر، يتناول علاقة الشكل بالمضمون في العمل الأدبي أو في العمل الفلسفـي.

ففي الأدب تكون العلاقة بين الشكل والمضمون متداخلة ومتراـبطة؛ بينما يطغـي المضمون على الشكل في الفلسفة بحيث يكاد لا يكون للشكل، قيمة تذكر. ومن البديهي أنه مادام الواقع هو اللحظـة الحاضرة في الأدب والفلسفة؛ وطالما أن التحديات والشروط هي نفسها من زاوية إنعكاسها على الأديب والفيـلسوفـ، فإن ترابطاً داخلياً عميقاً يجمع الأدب إلى الفلسفة من جهة ويجمع كليهما إلى الحياة من جهة ثانية.

فلو أخذنا مسألة الموت فهي موضوع للشاعر وللفيلسوفـ، وهي مضمون قصيدة تنقل لك إنفعـالـ أو إحساسـ معيناًـ. وموضوع بحث فلـسـفي يتجاوز المؤقت والزائل في المسـألـة إلى جذورها وأعمـاقـها؛ أضـفـ إلى ذلك أن مسائلـ كثيرة مثل خـلـودـ الإنسـانـ، ومـثـلـ الفـرـحـ والـحـزـنـ والـخـيـرـ والـشـرـ وجـمـلةـ الـوـقـائـعـ الشـخصـيـةـ والإـجـتمـاعـيـةـ والإـنسـانـيـةـ، كانتـ على الدـوـامـ ولا تـزالـ هـمـاـ مشـتـركـاـ في الأـدـبـ كماـ فيـ الـفـلـسـفـةـ؛ـ ولـأنـ الـفـلـسـفـةـ فـكـرـ،ـ وـفـيـ مـضـمـونـ الـأـدـبـ هـنـاكـ فـكـرـكـانـ تـأـيـرـ الـفـلـسـفـةـ الرـئـيـسيـ قـائـماـ،ـ وـفـيـ مـضـمـونـ الـأـدـبـ وـلـاـ يـلـغـيـ هـذـاـ عـلـىـ إـطـلـاقـ،ـ تـأـيـرـهـاـ فـيـ الـشـكـلـ.

وفي النهاية مـهـماـ كـانـتـ الـفـلـسـفـةـ مـجـرـدةـ وـشـامـلـةـ،ـ لـاـ يـمـكـنـهاـ أـنـ تـنـفـصـلـ عـنـ الـأـدـبـ وـلـاـ أـنـ تـبـتـعدـ عـنـهـ،ـ لأنـهـ هـيـ التـيـ أـمـدـهـ بـالـكـثـيرـ مـنـ الـعـلـومـ التـيـ أـغـنـتـ مـضـمـونـهـ وـغـذـتـ أـفـكـارـهـ.ـ وـالـأـدـبـ مـهـمـاـ قـيلـ فـيـ تـجـرـدـهـ وـفـنـيـتـهـ،ـ لـاـ يـمـكـنـهـ أـنـ يـنـفـصـلـ عـنـ الـفـلـسـفـةـ وـلـاـ أـنـ يـبـتـعدـ عـنـهـ،ـ لأنـهـ هـوـالـذـيـ نـقـلـ مـضـمـونـهـ،ـ وـحـمـلـ أـفـكـارـهـ عـبـرـ أـجـيـالـ طـوـيـلـةـ.

المبحث الثاني
هل أبو العلاء فيلسوف؟

ما أسلفناه ذكره، في تحصيل أبي العلاء، وتعلمه، ومصادر ثقافته، وأثار العلوم - فيما وصل إلينا من نظمه ونثره على قلبه - يدلّ على أنّ أبي العلاء، درس أكثر هذه العلوم درساً متقدّماً، وبحث عن حقائق العالم، بحث مدقّق مستقصٍ؛ وأنه إطلع على الديانات من إسلامية، ونصرانية، ويهودية، ومجوسية، وغيرها أطلاعاً واسعاً، كما اطلع على الثقافات الأعجمية؛ من يونانية، وفارسية، وهندية، واطلع على المذاهب، والفرق، وآراء أهل الأهواء، وأنه كان يمزّ بالحوادث، فيمعن فيها تفكيره، ويعرض كلّ ما يعرض له على محك العقل.

وبسبق ذكره، في سيرته وحياته يدلّ على أنه كان عاملاً بما يقتضيه علمه؛ وليس بين علمه وعمله تناقضًا ما. ومن جمع بين هاتين الخصائص، فهو الجدير بأن يسمى فيليسوفاً، ويکاد قوله: [الوافر]

رددتُ إلى مليكِ الخلقِ أمري
فلمْ أسألْ متى يَقْعُ الكسوفُ

وكم سَلِمَ الْجَهُولُ مِنَ الْمَنَابِيَا

وعوجَ بالحمامِ الفيلسوفُ^{٧٤}

وقصده، يقول الشاعر: أتوكل على الله في كل الأمور ولا أسأل موقع الكسوف (لا أهتم بأقوال المنجّمين)، فكم من جاهم، سلم من الموت بجهالته، وكم من عالم فيليسوف، جعلوه في الظلام. (كتابة من عماه)

يشعر بأنه يعد نفسه فيليسوفاً، وقد اختللت كلمة المتأخرین فيه؛ فذهب كثير من المستشرقين إلى أنه شاعر فيليسوف. وذهب فريق إلى أنه جمع بين الوصفين، وأنه صور في آثاره التي دونها ميل التشاؤم، والحيرة، للعصر الذي انحلت فيه النظم الاجتماعية والسياسية. وفريق منهم يعده من أعظم فلاسفة الأخلاق، وفريق منهم جعله شاكاً حيراناً. ومنهم من زعم أن آثاره خالية من المنهج الفلسفى، وأن أفكاره غير منسقة.

^{٧٤} اللزميات : ج ٢ ص ٢٩٣ ، المنشية : الموت ، الحمام : السواد .

وكذلك اختلفت كلمة المتأخرین من العرب فيه، وتفاوتت آراؤهم فيه على قدر تفاوتهم، في فهم
كلامه وإدراك مراميه .

فمنهم من جعله شاعراً فيلسوفاً، وأعجب بآرائه الفلسفية التي اشتمل عليها «لزوم ما لايلزم»
و«الफصوص والغایات» و«ملقى السبیل» كما أعجب بشعره الذي إشتمل عليه «لزوم ما لايلزم» و«سقوط
الرند» و«ملقى السبیل» ورأى في هذه الكتب من المعانی الفلسفیة، والصور الخيالية، والصياغة الفینیة،
ما جعله يعدّ أبو العلاء فيلسوف الشعرا، وشاعر الفلسفة والحكماء .

ومنهم من قصر فهمه عن فهم كلام أبي العلاء، وإدراك ما يرمي إليه في غضون كلامه، لضعف لغته
وكترة ما يحتاج إليه من الجهد، في سبيل إدراكه . فلم يشاً أن يصرّح بذلك حتى لا يوصم بالجهل، أو لا
يظن أنه عربي النسب، أعمامي اللغة؛ فأخذ ينقد شعر المعرّي ويصفه بأنّ فيه تعقيداً، وأنّ فيه تكلاً،
وأنّ أفكاره مشتّتة، لم يجتمع كل نوع منها تحت باب واحد .

ومنهم من قال: إنّ المعرّي لم يبتكر شيئاً في الفلسفة، لأنّ فلسفته نوعان:
أحدّها: مأخذ عن أصول قديمة إرتضاها .

وثانيهما: عبارة عن تأمل وتفكير في الحياة، وهذا يرجع إلى مالقيه في حياته من تجارب وأحداث،
فكوئن في نفسه أفكاراً عامة . ومنهم، ومنهم .

وأكثرهم جعل عمدته في النقض والإبرام، والنفي والإثبات «لزوم ما لايلزم». وفي بعض ما ذكره
هؤلاء شيء من الحق، لو أن «لزوم ما لايلزم» أو «الफصوص والغایات» أو «ملقى السبیل» كتاب مستقل
في الفلسفة؛ وليس في واحد من هذه الكتب الثلاثة، ما يدلّ على شيء من هذا، بل الأمر على عكس
ذلك؛ فإنه ذكر في مقدمة «لزوم ما لايلزم» أنه أنشأ أبنية أوراق توخي فيها الصدق، منها ما هو تمجيد
للله، ومنها تذكير للناس، وتنبيه للراقد، وتحذير من الدنيا، وجمع ذلك كله في كتاب لقبه «لزوم ما
لايلزم» .

ومقدمة هذا الكتاب، تبلغ نحو خمس وثلاثين صفحة، وهي تدلّ دالة قاطعة على أنّ هذا
الكتاب، كتاب شعر لا كتاب فلسفه مستقل . وإذا كان الأمر على ما ذكرنا، فلا يسوغ لنا أن نطالب
المعرّي بتنسيق آرائه، وترتيب أفكاره الفلسفية، وجمع كل نوع منها تحت عنوان واحد، وإحكام
الروابط والمناسبات بين كل واحد وآخر .

وأبو العلاء عرض جملة من آرائه في غضون أبياته المختلفة، فاستدلّ منها الناس على

أنه فيلسوف، كما استدلوا من الأبيات التي تعرض فيها إلى نُكْت نحوية، أو صرفية، أو عروضية، أو فقهية على أنه نحوي، أو صرفي، أو عروضي، أو فقهي، أو نحو ذلك. الشعر ملح لا يتسع صدره للبساط والتفصيل بقدر ما يتسع له صدر النثر.

ونحن لا ننكر أن المعرّي استعمل بعض الكلمات القليلة التداول، وغير المأنيوسنة بالنسبة إلى غيره؛ ولكن استعملها على وجه صحيح، وأسلوب فصيح، فلا يصح أن نجعلها عيباً نحطّ به من قيمة شعره الذي لا يستطيع كثير من الناس، أن يجاريه فيه.

ومهما حاول المتحذلقون، إقصاء أبي العلاء عن الفلسفة، أو إقصاء الفلسفة عنه، فإن المسائل التي ألمّ بها في «لزوم ما ليلزم» من الفلسفة الطبيعية، والرياضية، والإلهية، والعلمية، وحدها تكفي لإدحاض حجتهم. نعم لاننكر أن تلك المسائل غير منسقة وليس كل فرد منها مجموعاً تحت نوع، لأن الكتاب، كتاب أدب وشعر فيه فلسفة، لاكتاب فلسفة كما قلنا.

المبحث الثالث

مصادر فلسفة أبي العلاء

كما أشرنا سابقاً، مصادر فلسفة أبي العلاء هي الفلسفة اليونانية، والفلسفة الهندية، والفلسفة الفارسية، وأيضاً كتب الدين.

كما يقول طه حسين، تعرف أبي العلاء بالكتب الفلسفية، كان في رحلاته بحلب، والأنطاكيّة، واللاذقية، وبغداد^{٧٠}.

كما سيأتي، ونشاهد تشابه الآراء بين أبي العلاء والهنود في المرأة، وستتكلم عنه في الفصل الرابع. لكن المهم هنا، علاقة أبي العلاء بإخوان الصفا في بغداد [وهم كانوا شعبة من جماعة إخوان الصفا المرتكزة في البصرة] وهذه قضية رفضها الجندي في «الجامع في أخبار أبي العلاء وآثاره»^{٧١}، لكن كتب مارون عبّود كتاب «أبي العلاء المعري زوجة الدهور» في إثبات المذهب الفاطمي كمذهب أبي العلاء، وكما يقول طه حسين [ونشير إليه في خاتمة هذا الفصل] إذا ندقق في علاقة أبي العلاء بجماعة إخوان الصفا، يبيّن لنا كثير من الغموضات في اللزوميات.

أ - من هم إخوان الصفا؟

«إخوان الصفا وخلان الوفا» هم جماعة من الفلاسفة المسلمين، تواجدوا في البصرة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري والعاشر الميلادي، أرادوا التوفيق بين العقائد الإسلامية، والحقائق الفلسفية المعروفة في ذلك العهد، فكتبو في ذلك خمسين مقالة، سموها «تحف إخوان الصفا». على قوي الظن نشاؤوا تحت تأثير الفكر الإسماعيلي في البصرة^{٧٢}، وكانت إهتمامات

^{٧٠} انظر : تجديد الذكرى أبي العلاء ، م . س ، ص ٢٥٤ .

^{٧١} انظر : الجندي : م . س ، ص ٢٥٩ .

^{٧٢} اختلفوا في نسبهم إلى مذهب خاص ، فالبعض اعتبروهم من المعتزلة لتأكيدهم على التفسير العقلي للنصوص الدينية والبعض اعتبروهم من الإسماعيلية . في هذا السبيل يجب الإشارة إلى جهود عارف تامر في إثبات الإسماعيلية كمذهب أبي العلاء وأيضاً كثير من المستشرقين مثل كازانوا ، وغلديزير ، ومك دونالد و ... الذين يؤكدون على علاقة إخوان الصفا مع الفرق الإسماعيلية .

الجماعية متنوعة ومتعددة؛ في العلم، والفلسفة، والرياضيات، والفلك، والسياسة.

خلفوا كتاباتهم في ٥٢ رسالة مشهورة، شاعت حتى الأندلس وتعتبر هذه الرسائل موسوعة في العلوم الفلسفية لذاك الزمان، كان هدفهم في دعوتهم، التظافر للسعى إلى «سعادة النفس عن طريق العلوم التي تطهر النفس» ومن مشاهير الدعوة، أبو سليمان محمد بن مشير البستي.

قد أنشأ الإخوان، لأهدافهم الإصلاحية منظمات سرية، وبالنظر لهذا الغموض التاريخي نسبوا إلى القرامطة^{٧٨}، وهو أصلاً من الإسماعيليين، وقال بعض آخر إنهم من أمّة النصيرية^{٧٩}.

التنوع والتشتت في آراء إخوان الصفا، يجعل من الصعب أن ننسبهم إلى مدرسة فلسفية بعينها، أو مذهب ديني بذاته، لا شك في أن لهذا التنوع والتشتت أسباباً، منها: استخدام مصادر غير الإسلامية لعقائدهم، وذلك لأنَّ الإخوان كانوا يستفيدون من تعاليم مختلف الأديان، والفلسفات اليونانية، ومن المصادر البهلوية، مدفوعين برغبتهם في توضيح آرائهم وتسويف فلسفتهم؛ ولهذا توسلوا بالانتقاء من تعاليم الفلسفات اليونانية وغير اليونانية توسلًا واسعًا، دون أن يقيموا وزناً لفقدان التناسق، بين المصادر التي اعتمدوها.

يضاف إلى ذلك أنَّ الترجمات التي يستند إليها إخوان الصفا، لم تكن موثوقةً بها، فإعتقداتهم هو أنَّ العالم الخبير الفاضل، الذي المستبصر، الفارسي النسبة، العربي الدين، الحنفي المذهب، العراقي الأدب، العربي المخبر، المسيحي المنهج، الشامي النسك،

(٧٨) حركة دينية سياسية إجتماعية لازالت حقيقتها على كثيرون من الغموض لإنقراض أتباعها. تنسب إلى داعيها الأول حمدان قرمط ، في العراق . أظهرها قوية في البحرين ابوسعید الجنابي ٩٣٠ م / ٥٢٨٥ م ثم سيطرت على كثير من البلاد الإسلامية . استولوا على مكة ٩٣٠ م ونقلوا منها الحجر الأسود ثم ردوه بعد اثنين وعشرين سنة . انتزعوا دمشق من أيدي الفاطميين ٩٧٠ م وخفقوا إليهم في مصر فهزموهم المعز الفاطمي ٩٧٢ . إنتهت امر القرامطة على أيدي الامراء العيونيين في البحرين ١٠٢٧ ورغم الغموض الذي يلف هذه الحركة يبدو انها كانت ذات نزعة اشتراكية ، على حد تعبيتنا اليوم .

(٧٩) أو العلويون : طائفه تقطن جبل العلوين وشمال سوريا (سهول حمص وحماة وحلب) . دعوا كذلك سنة إلى محمد بن نصير مؤسس الطائفة أو راعيها (ت ٨٧٣) . كان يعتبر الحسين الخصيبي أكبر متكليمها (القرن ١) .

اليوناني العلوم، الهندي البصرية، الصوفي السيرة كما يذكر في الرسالة ٢٢ من رسائلهم. بعض الأقوال يدلّ أنّهم كانوا جماعة من الإيرانيين التي تعبّر رسالتهم عن فكرتهم، كان غرضهم الأصلي، حتّى الناس على التعقل والإيمان بفهم جديد، عن حرية الإنسان، والأغراض السياسية كانت موجودة أيضًا.

يقسمون البيانات في قسم من آرائهم على أربعة أقسام وهي: الروحاني، والفلسفي، والعلمي، والخرافي، وكانوا يهتمون بالتوحيد بين الدين والفلسفة، ومن عقידتهم أن الشريعة طب المرضى وأما الفلسفة فهي طب الأصحاء، والمرضى هم العامة والخاصة هم الأصحاء.^٨

إخوان الصفا كانوا يعتقدون بسيادة العقل وهذه السيادة، ظاهرة مشهودة كثيراً ما في فكرة أبي العلاء.

بالنظر إلى أهمية العلم والفلسفة، لهذه الجماعة وأنّ هذا المجتمع كان ندوة لنوابع عصر أبي العلاء، فليس من بعيد أن ينضم أبو العلاء إلى هذه الجماعة.

فهذا المجتمع كان معهداً لأبي العلاء حتى يتعرف بالفكرة الهندية، والفارسية واليونانية أكثر فأكثر، فأبو العلاء دخل في هذه الجماعة السرية ببغداد، وتكلم عن نزعاته الإسماعيلية التي إذا أثبتناها بين لنا أسباب تقرب أبي العلاء بهذه الجماعة، وستتكلّم عنها في الفصل الرابع.

ب - عماد فلسفة أبي العلاء

اختلاف الناس في الأصل الذي يتخذونه أساساً، ينبع عليه البحث عن حقائق الأشياء، ونبراساً يستضيفون به في تمييز الحق من الباطل، والصحيح من الفاسد.

فاليونانيون يذهبون إلى أنّ العقل هو المقياس الصحيح للعلم، وفي معرفة الحق من الباطل، وهم يقسمون إلى فرقتين:

الأولى، تقول: إن العقل يستمد علمه بالأشياء، من المحسوسات التي تقع على الأشياء الجزئية، فتنتقل صورها إلى النفس، حيث يعمل العقل في تجريد تلك الصور وردها إلى أصولها العامة التي تتألف منها قضاياه.

والثانية، تقول: إن العقل يستمد علمه بالأشياء من مصدر آخر غير الحس، وهو الإشراق وهذا المذهب قائم على ما ذهب إليه «أفلاطون» من وجود عالم عقلي مجرد بهائلاً

^٨) انظر: صيري، أحمد، إخوان الصفا بين الفكر والسياسة، ص ٤٠.

عالم المادة المركب، أهبطت منه النفس الإنسانية إلى عالم المادة لتبتلي. فذهب بعده قوم إلى أن النفس إذا صفت جوهرها، بمحض الملاذ وحصر الفكر في موضوع واحد تيسّر لها أن تتصل بعاليها العقلي أثناء حياتها المادية.

فهناك فرقـة أذكرت الحقائق وهم السوفسـطـائيـة، لأنـهم يـسـطـيـعـونـالـجـزـمـ بـصـحـةـ ماـ يـنـتـهـيـ إـلـيـهـ العـقـلـ منـ نـتـائـجـ الـبـحـثـ، وـهـؤـلـاءـ لـاـيـعـتـرـفـونـ بـالـإـشـرـاقـ وـيـرـوـنـ أـنـ الـحـسـ كـثـيرـ الـخـطـأـ، وـالـخـلـافـ، وـالـتـغـيـرـ؛ وـلـذـكـ لـاـيـسـتـطـيـعـونـ الـجـزـمـ بـهـ مـاـ يـنـقـلـ إـلـيـهـ مـنـ صـورـ الـأـشـيـاءـ وـيـتـهـمـونـ الـعـقـلـ.

وـمـنـهـ طـائـفةـ رـأـتـ أـنـ الـحـقـيـقـةـ، تـغـيـرـ بـتـغـيـرـ الـأـشـخـاصـ وـالـأـطـوـارـ، فـمـاـ تـرـاهـ أـنـتـ حـقـاـًـ فـهـوـ حـقـ، وـمـاـ يـرـاهـ غـيرـكـ حـقـاـًـ، فـهـوـ حـقـ، وـإـنـ كـانـ بـيـنـ الرـأـيـنـ تـنـاقـصـ الـمـتـكـلـمـوـنـ: وـهـنـاكـ فـرـقـةـ وـقـفـتـ مـوـقـفـ الشـكـ، فـلـمـ يـشـبـهـواـ الـحـقـائـقـ وـلـمـ يـنـكـرـوـهـاـ وـيـقـالـ لـهـمـ «ـالـأـدـرـيـةـ»ـ.

أـمـاـ الـمـتـكـلـمـوـنـ مـنـ الـمـسـلـمـيـنـ وـجـمـهـورـ الـفـلـاسـفـةـ، فـإـنـهـمـ يـقـولـونـ: إـنـ حـقـائـقـ الـأـشـيـاءـ ثـابـتـةـ، وـيـجـعـلـونـ الـعـقـلـ هـوـ الـمـقـيـاسـ الـصـحـيـحـ وـالـمـاحـكـ الصـادـقـ.

وـالـمـتـكـلـمـوـنـ يـضـيفـونـ إـلـىـ الـمـصـادـرـ الـتـيـ يـسـتـمـدـ مـنـهـاـ الـعـقـلـ، عـلـمـهـ، مـصـدـرـاـ آـخـرـ وـهـوـالـشـرـعـ الـذـيـ يـأـتـيـ بـهـ «ـنـبـيـ مـرـسـلـ»ـ مـنـ عـنـ اللـهــ، وـلـكـنـهـمـ اـخـتـلـفـوـ فـيـ تـقـدـيمـ بـعـضـ هـذـهـ الـمـصـادـرـ عـلـىـ بـعـضـ. فـالـأشـاعـرـةـ يـقـدـمـونـ الـشـرـعـ عـلـىـ الـعـقـلـ، لـأنـهـ صـادـرـ عـنـ مـعـصـومـ، وـلـأـنـ الـعـقـلـ قدـ يـخـطـئـ، لـأنـ مـصـدرـهـ الـحـسـ الـذـيـ قـدـ يـخـطـئـ، وـيـعـتـرـيـهـ الـضـعـفـ وـالـقـوـةـ؛ أـلـاـ تـرـىـ إـنـكـ لوـ أـدـرـتـ جـمـرـةـ بـسـرـعـةـ شـدـيـدةـ، رـأـيـتـهـاـ دـائـرـةـ ثـامـةـ؛ وـلـوـ وـضـعـتـ عـودـاـ مـسـتـقـيـماـ فـيـ طـاءـ، ظـهـرـ لـكـ أـنـهـ مـنـحـنـ، فـهـنـاـ مـنـ خـطـأـ الـحـسـ، لـعـارـضـ.

وـالـمـعـتـزـلـةـ يـقـدـمـونـ الـعـقـلـ، قـالـوـاـ: لـأـنـاـ لـاـ نـعـرـفـ الـشـرـعـ إـلـاـ بـالـعـقـلـ، وـلـاـ نـصـدـقـهـ إـلـاـ إـذـاـ قـامـ عـلـيـهـ دـلـيلـ وـاضـعـ منـ الـعـقـلـ، فـالـعـقـلـ أـحـقـ بـالـتـقـدـمـ؛ وـلـوـ قـدـمـنـاـ الـشـرـعـ عـلـىـ الـعـقـلـ لـلـازـمـ أـحـدـ أـمـرـيـنـ: إـمـاـ بـطـلـانـ الـشـرـعـ، إـذـ لـاـ مـثـيـتـ لـهـ عـلـىـ هـذـاـ التـقـدـيرـ، إـمـاـ إـثـبـاتـ الـشـرـعـ بـالـشـرـعـ، وـهـذـاـ باـطـلـ مـاـ فـيـهـ مـنـ الدـوـرـ، وـهـوـ تـوقـفـ الشـيـءـ عـلـىـ نـفـسـهـ بـهـرـبـتـيـةـ كـمـاـ هـنـاـ، أـوـ بـمـرـبـتـيـنـ^{٨١}.

أـمـاـ أـبـوـ الـعـلـاءـ، فـإـنـهـ جـعـلـ الـعـقـلـ وـحـدـهـ، أـسـاسـاـ لـآـرـائـهـ الـفـلـسـفـيـةـ، وـلـمـ يـضـفـ إـلـيـهـ مـصـدـرـاـ آـخـرـ مـنـ إـشـرـاقـ أوـ شـرـعـ وـبـذـلـكـ خـالـفـ الـإـشـرـاقـيـنـ، وـالـمـتـكـلـمـيـنـ، وـالـمـعـتـزـلـةـ، كـمـاـ خـالـفـ السـوـفـسـطـائـيـنـ، الـمـنـكـرـيـنـ حـقـائـقـ الـأـشـيـاءـ، وـصـرـحـ بـذـلـكـ فـيـ مـثـلـ قـوـلـهـ:

[الطویل]

^{٨١} انظر: الجندي م . س ، ص ١٢٥٨ .

وقال أَنَّاسٌ: مَا لِأَمْرٍ حَقِيقَةً؟

فَهَلْ أَثْبَتُوا أَنْ لَا شَقَاءَ وَلَا نُعْمَى؟

فَتَحَنَّ وَهُمْ فِي مَرْعِيٍّ وَتَشَاجِرٍ،

^{٨٣} وَيَعْلَمُ رَبُّ النَّاسِ أَكَدَّنَا رَعَماً

وقد احتذى في ذلك، على مثال الفلاسفة النظريين، من اليونانيين والمسلمين، في الإعتماد على العقل وحده؛ وزاد عليهم فجعل كل عقل نبياً، ومن استقرى أقوال أبي العلاء في «لزوم ما لا ليزم» تبين له أن العقل عنده أعز كل شيء، وفوق كل شيء، وأنه يعول عليه في كل شيء من أحكامه. وهذه أمثلة من كلامه، تدل على مكانة العقل عنده، فالعقل أفضل ما منحه الإنسان فمن عصاه وأضاعه وضعه، ومن أطاعه واتبعه، رفعه:

^{٨٤} وَالْعَقْلُ أَنْفُسُ مَا حُبِيتَ، وَإِنْ يُضْعَنْ، يَوْمًا، يَضْعُنْ، فَخُوَى الشَّرَابُ وَمَا جَلَبَ

في هذا البيت يشير أبو العلاء بأن العقل، موهبة أعطي للإنسان، وإذا فقد فيفضل الإنسان الشراب وما تبعه.

ويذكر، هو قطب تدور عليه الأمور:

[الكامل]

الْلُّبُّ قُطْبُ، وَالْأَمْرُ لَهُ رَحْيٌ،

^{٨٥} فِيهِ تَدَبَّرٌ كُلُّهَا وَتَدَارٌ

والعقل للفرد كالنبي للأمة، يهديه إلى سواء السبيل، ويميز له الحق من الباطل، ويرشده إلى الفضيلة وينهيه عن الرذائل:

[الخفيف]

أَيُّهَا الْغَرْ، إِنْ خُصِّصْتَ بِعَقْلٍ،

^{٨٦} فَاسْأَلْنَاهُ، فَكُلُّ عَقْلٍ نَبِيٌّ

وهو سراج أو قده الله في نفس صاحبه لينير له السبيل، ويوضح المنهاج:

[الطوبل]

خُذُوا فِي سَبِيلِ الْعَقْلِ تُهَدَّوْ بِهَدْيِهِ،

وَلَا يَرْجُوْنَ، غَيْرَ الْمَهِيمِينَ، راجِ

وَلَا تُطْفِئُوا نُورَ الْمَلِيْكِ، فَإِنَّهُ

^{٨٧} مُمْتَنِعٌ كُلُّ مِنْ حِجَّيِّ بِسَرَاجِ

فينصح الناس بأن يهدوا بالعقل، ويرجون بالله و يجعلون العقل سراجاً.

ويرى أن العقل خير مشير:

[البسيط]

^{٨٢} اللزوميات : ج ٢ ص ٢٣٩ .

^{٨٣} اللزوميات ، ج ١ ، جيا: أعطاهم بلا جزاء .

^{٨٤} اللزوميات ، ج ١ ، ص ١٢٨ .

^{٨٥} اللزوميات ، ج ١ ، ص ٣٤٣ .

^{٨٦} اللزوميات ، ج ١ ص ٧٧ ، والحجى: العقل .

فشاور العقل، واترك غيره هدراً؟

^{٨٧} فالعقل خير مشير ضمه النادي

فيقول: شاور العقل، ولا تهتم بغيره فالعقل خير مشير يتطلبه الإنسان.

والعقل عمدة، يرجع إليه أهل الرأي والمشورة:

[الوافر]

عليك العقل، وافعل ما رأه

^{٨٨} جميلاً، فهو مشتار الشوار

وهادٍ يرشد من ضل أو خسي الضلال:

[الكامل]

فأسأل حجاجك، إذا أردت هدايَةً،

^{٨٩} واحبِس لسانك أن يقول مجازاً

وهو خير إمام يقتدي به، بل لا إمام سواه عند التحقيق:

[الخفيف]

كذب الظن، لا إمام سوى الـ

^{٩٠} عقل، مشيراً في صبحه والمساء

وهو الذي يحيط اللثام، عن حقائق الأشياء حتى يهون به الصعب:

[البسيط]

إذا تفكرت فكرأ، لا يمازجُه

^{٩١} فساد عقل صحيح، هان ما صعباً

ففي هذا البيت، أشار أبو العلاء بأن يجب عدم الفساد في العقل، فإذا تميّز عاقل بهذا العقل، تسهل له الصعوبات. ويؤكّد هذا البيت على هذا المعنى أيضاً:

[الكامل]

ولو كان عقل النفس في الجسم كاملاً

^{٩٢} لما أضمرت، فيما يلُمُ بها، غماً

وهو يأمر بالفضائل، وينهى عن القبائح والرذائل:

[الكامل]

وعقائل الألباب غير أوامر

^{٩٣} بأذاة أيتام وهتك عقائل

ومن اتخذ غير العقل هادياً، أورده موارد الهمكة:

[البسيط]

من اهتدى بسوى المعقول أورده

^{٩٤} من بات يهدية، ماء طالما تبلاً

^{٨٧} اللزوميات، ج ١، ص ١١٠ .

^{٨٨} اللزوميات، ج ١ ص ٢٥٦ ، رآه : يعتقد العقل، مشتار : الاسم الفاعل اشتار : جنبي - الشوار : احس

والجمال، وقصده ان العقل خير، جميل يختار الانسان .

^{٨٩} اللزوميات، ج ٢ ص ١٧٣ ، مجاز: غير الحقيقة .

^{٩٠} اللزوميات، ج ١ ص ٢٦ .

^{٩١} اللزوميات، ج ١ ص ٣٩ .

^{٩٢} اللزوميات، ج ٢ ص ٢٣٨ .

^{٩٣} اللزوميات، ج ٢ والعقائل : مفرداتها : عقبة ، وهي كرحة الحي .

^{٩٤} اللزوميات، ج ٢ قبل : قبل الدهر القوم : رماهم بصروفه وأفناهم .

ولو أنَّ الإنسان أعمل فكره، وكَلَّ عقله أن يبحث في حقيقة المذاهب التي اتخذها المحتالون، وسيلة إلى جذب الدنيا إلى الروسae لتكتشف له حقائقها، ولتهاون بتلك المذاهب وأحقرها: [الوافر]^{٦٠}

إذا رَجَعَ الحصيفُ إِلَى حِجَاهُ،

تَهَاوَنَ بِالْمَذَاهِبِ وَازْدَرَاهَا^{٦١}

والحازن يعرض على العقل، كل ما يعرض على سمعه من الأخبار، فيقبل منها ما يؤيده العقل، ويرفض ما عداه: [الطويل]^{٦٢}

يَقُولُونَ: إِنَّ الْجَسَمَ يَنْقُلُ رُوحَه

إِلَى غَيْرِهِ، حَتَّى يُهَذِّبَهَا النَّفَلُ^{٦٣}

فَلَا تَقْبَلُنَّ مَا يُخْبِرُونَكَ ضِلَّةً^{٦٤}

إِذَا لَمْ يُؤْيَدْ، مَا أَتَوْكَ بِهِ، الْعَقْلُ^{٦٥}

فيشير بأنَّ العقل، يدرك حقائق الأشياء ولا يغتر بظاهرها، فربُّ أمِّ سَرِّ إنساناً، وكانت فيه إساءته وربُّ حادث أضحكه وكان في طيِّه ما يغمه ويبيكيه، فيقول: [الوافر]^{٦٦}

إِذَا افْتَكَرَ اللَّبِيبُ رأَى أُمُورًا،

تَرَدُّ الصَّاحِحَاتِ إِلَى الْوُجُومِ^{٦٧}

وينظر إلى الأمور باعتبار غاياتها وما تنتهي إليه؛ فالناس:

[البسيط]^{٦٨}

لَوْ يَعْقِلُونَ لَهُنَّا أَهْلَ مِيَتَهُمْ

وَلَمْ تَقْمُ، لَوْلَيْدٌ فِيهِمُ، الْبُشَّرُ^{٦٩}

فيقول: إذا يعقلون الناس، لا يمكن للميت بل ليكون لأهله الباقي، ولا تفرحون بولادة وليد. ولكن ولة الأمر: [الوافر]^{٦٩}

يَسُوسُونَ الْأُمُورَ بِغَيْرِ عَقْلٍ

فَيَنْقُذُ أَمْرُهُمْ، وَيَقْاتُلُ: سَاسَةً^{٧٠}

فيشير بأنَّ الحكم ليس لديهم عقل، ولا يستخدمونه في إصدار أوامرهم، وتتفذ أوامرهم. فهذه الآيات وأشباهها، مما مرّ ومتى سيأتي تدل على أنَّ أبا العلاء، كان لايُعوَل إلَّا على العقل في آرائه، وفلسفته، ونقده، وتبين منزلة العقل عنده.

^{٦٠}) اللزوميات، ج ٢ ص ٣٣٨ .

^{٦١}) اللزوميات، ج ٢ ص ١٩٥ .

^{٦٢}) اللزوميات، ج ٢ ص ٢٥٢ ، الوجوم : من وجم : عجز وسكت .

^{٦٣}) اللزوميات، ج ١ ص ١٢١ .

^{٦٤}) اللزوميات، ج ٢ ص ٢٩٦ .

المبحث الرابع

هل أبو العلاء متشائم؟

الشُّوْمُ فِي الْلُّغَةِ: خَلَافُ الْيَمَنِ، كَمَا فِي «اللُّسَانِ» وَنَقِيقَشُ الْيَمَنِ كَمَا فِي «الصَّحَاحِ» وَضَدُّ الْيَمَنِ كَمَا فِي «الْقَامُوسِ» وَعُلَمَاءُ الْلُّغَةِ قَدْ يَتَسَامِحُونَ، فَيَسْتَعْمِلُونَ كَلَّاً مِنَ الْأَلْفَاظِ الْثَّلَاثَةِ: الْخَلَافُ، وَالنَّقِيقُ، وَالضَّدُّ، مَكَانُ الْآخَرِ.

وَالْمَنَاطِقَةُ وَالْمُتَكَلِّمُونَ وَمَنْ طَبَعَ عَلَى غَرَارِهِمْ يَفْرَقُونَ بَيْنَهُمْ. فَالنَّقِيقَانَ عِنْهُمْ لَا يَجْتَمِعُونَ وَلَا يَرْتَفَعُونَ، كَالْعَدْمِ وَالْوُجُودِ، وَالضَّدُّانِ لَا يَجْتَمِعُونَ وَلَكِنْ يَرْتَفَعُونَ، كَالْسَّوَادِ وَالْبَيَاضِ. وَالْخَلَافُ، يَعْنِي الْمُخَالِفُ، أَعْمَّ مِنَ الْضَّدِّينِ، لَأَنَّ كُلَّ ضَدِّيْنَ مُخَلَّفَانِ. وَأَهْلُ الْلُّغَةِ وَالْمُفَسِّرُونَ كَثِيرًا مَا يَفْسِرُونَ التَّطَيِّرَ بِالْتَّشَاؤِمِ وَالْتَّشَاؤِمِ بِالْتَّطَيِّرِ.

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ، كَانُوا يَزْجُرُونَ الطَّيْرَ، فَكَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا أَرَادَ عَمَلاً أَوْ سَفَرًا أَثْارَ الطَّيْرَ مِنْ مَجَاهِهَا، فَكَانُوا يَتَشَاءَمُونَ بِيَارِحَهَا، فَسَمِّوُا الشُّوْمَ طَائِرًا وَطَيْرًا لِتَشَاؤِمِهِمْ بِهَا.
وَقَدْ ذَكَرَ أَمْثَلَةً لِلتَّطَيِّرِ أَوِ التَّشَاؤِمِ؛ مِنْهَا: أَنَّ النَّابِغَةَ الْذِبِيَّانيَّ، وَزَبِيانَ بْنَ يَسَارٍ، خَرْجَا يَرِيدَانَ الْغَزوَ، فَرَأَى أَحَدُهُمَا جَرَادَةً، فَتَطَيَّرَ وَقَالَ: حَرَبَ ذَاتُ الْأَوَانِ، ثُمَّ رَجَعَ عَنْ عَزْمِهِ. وَمِنْهَا: أَنَّ ابْنَ الرُّومِيِّ تَطَيَّرَ مِنْ لَفْظِ «إِقْبَالٍ» لِأَنَّهُ يَنْقُلُبُ إِلَى «لَابِقاً».^{١٠٠}

وَكَلَامُ أَبِي الْعَلَاءِ فِي رِسَالَةِ الْغَفْرَانِ: يَذَلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ يَنْكِرُ التَّشَاؤِمَ، فَقَدْ قَالَ: «مَنْ أُولَعَ بِالْطِّيَّةِ لَمْ يَرَ فِيهَا مِنْ خَيْرٍ، وَإِنَّمَا هِيَ شَرٌّ مُتَعَجِّلٌ وَلِلْأَنْفُسِ أَجْلٌ مُؤَجَّلٌ»
يَقُولُ الجندي: «لَعَلَّ أَوْلَى مِنْ نَعْتِهِ بِالْتَّشَاؤِمِ، فَرِيقٌ مِنَ الْمُسْتَشْرِقِينَ، ثُمَّ تَبَعَّهُمْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُشَارِقَةِ الْمُوَلَّعِينَ بِكُلِّ غَرِيبٍ، وَلَوْ كَانَ بَاطِلًا صَرِيحًا وَظَنَّوْا أَنَّهُمْ أَطْرَفُوا الْأَدْبُ الْعَرَبِيِّ، بِهَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ الْأَوَّلَيْنَ.

لَكِنْ إِذَا نَغُورُ فِي أَدْبِ أَبِي الْعَلَاءِ، لَا نَرَى التَّشَاؤِمَ فِيهِ، بَلْ هُوَ فِي سَبِيلِ بَيَانِ الْوَاقِعِ؛

^{١٠٠}) انظر: الجندي، م. س، ص ١٢٥٠.

واقع المجتمع والعالم كله. وهذا الرأي يتشدد عندما أمعنا النظر في سعة علمه وغوره في التكfir، إنما هو جاء بإقتراحات لتحسين الحياة البشرية وإقترانه بالسعادة، كما أشرنا إلى بعض أبياته في اتباع العقل في المبحث الماضي.

هو يحب الخير لكنه لا يجده، ويحب إشاعة الرفق والحنانة بين الناس لكن لا يراها؛ فإذا كان يتكلّم عنها في شعره، ما كان كلاماً واقعياً فهو ما تكلّم عن الخيال بل تكلّم عن الواقع المrir الموجود. أجهد أبو العلاء نفسه كثيراً، ليُرى في الناس من يتصف بصفةٍ، يستحق أن يحمد عليها، فلم يجد ولكنه رأى من أصداد ذلك كثيراً. فيقول:

[الطويل]

لعمرك! ما في عالم الأرض زاهدٌ

^{١٠١} يقيناً، ولا الرهبان أهل الصوامع

يشير بأنه لا يوجد في العالم كله، زاهد بالمعنى الحقيقي حتى الرهبان في الصوامع.
وقال:

[الخفيف]

ويقالُ الْكَرَامُ قَوْلًا، وَمَا فِي الْ

^{١٠٢} دَهْرٍ إِلَّا الشَّخْوُصُ وَالْأَسْمَاءُ

فيشير بأنَّ الذين نسمّيهم الكرماء، ليسوا إلَّا أسماء الأشخاص، والذين ذاعت صيتهم، وهم ليسوا كراماً حقاً.

وفي بخلهم يقول:

[الخفيف]

عش بخيلاً، كأهلِ عصرِك هذا

^{١٠٣} وتباله، فإنَّ دهرَك أبْلَهٌ

ويقول كلهم ظالم:

[السريع]

وكل حيٌ فوقها ظالمٌ،

^{١٠٤} وما بها أظلمٌ مِنْ ناسِها

فلا يرى طاهراً بينهم، فيقول:

[الكامل]

وكذاك يُدعى طاهراً مِنْ كُلِّهِ

^{١٠٥} نجسٌ، ويفقدُ، في الأنام، الطاهرُ

^{١٠١}) اللزوميات، ج ٢، ص ٢٨٧.

^{١٠٢}) اللزوميات، ج ٢، ص ١٢٠.

^{١٠٣}) اللزوميات، ج ٢، ص ٢٠٩.

^{١٠٤}) اللزوميات، ج ٢، ص ٣٢٤.

^{١٠٥}) اللزوميات، ج ١، ص ١٢٧.

ولا صادقاً، فيقول:

[الكامل]

ومن البَلِيَّةِ، أَنْ يُسَمَّى، صادقاً،
١٠٦ من وصفه الأولى كذوبٌ فار

ويعتبر شأنهم النفاق:

[الوافر]

أَنَافِي فِي الْحَيَاةِ، كَفِعْلِ غَيْرِي
وكُلُّ النَّاسِ شَانُهُمُ النَّفَاقُ
١٠٧ ويعتبر دينهم رباء:

[الطويل]

أَرَائِيكَ، فَلِيغُفِرْ لِي اللَّهُ زَلَّي
بِذَاكَ، وَدِينُ الْعَالَمَيْنِ رِبَاءُ
١٠٨ وليري فيهم برأً:

[الطويل]

وَمِنْ شَيْئِ الْإِنْسَانِ الْعُقُوقُ، وَجَاهَلُ
١٠٩ مُحاوِلُ بِرٌّ عِنْدَ مَنْ أَكَلَ الْبِرَا^{١١٠}
ولنا نقى العرض:

[الوافر]

نَقَاءٌ لِبَاسِنَا فِيهَا كَثِيرٌ،
وليس لأهلها عرضٌ نَقَى^{١١١}

فكانـتـ الحـيـاةـ العـامـةـ فـيـ عـصـرـهـ عـلـىـ غـاـيـةـ مـنـ القـلـقـ،ـ والـاضـطـرـابـ والـرـاءـةـ؛ـ سـوـاءـ فـيـ ذـلـكـ الـحـالـةـ
الـدـينـيـةـ،ـ والـسـيـاسـيـةـ،ـ والـاجـتمـاعـيـةــ.ـ وـكـانـ أـبـوـ العـلـاءـ مـفـرـطـاـ فـيـ الذـكـاءـ،ـ قـويـ الـحـسـ،ـ نـزـاعـاـ إـلـىـ الإـطـلـاعـ عـلـىـ
الـحـقـائـقـ،ـ وـعـلـىـ آرـاءـ الـحـكـماءـ،ـ وـأـقـوالـ الـعـلـمـاءـ،ـ وـأـحـوـالـ الـبـشـرـ وـسـيـرـهـمـ فـيـ الـماـضـيـ وـالـحـاضـرــ.ـ وـكـانـ رـقـيقـ
الـقـلـبـ،ـ شـدـيدـ الرـأـفـةـ بـكـلـ حـيـيـ مـنـ إـنـسـانـ،ـ وـحـيـوانـ،ـ وـطـيـرـ؛ـ كـارـهـاـ لـلـظـلـمـ وـالـإـسـتـثـارـ،ـ وـمـنـ تـأـمـلـ أـقـوـالـهـ
وـجـدـهـاـ طـافـحةـ بـالـتـبـرـيمـ مـنـ حـيـاتـهـ،ـ وـعـمـاهـ،ـ وـعـزـلـتـهـ،ـ وـعـسـرـهـ،ـ وـتـأـلـمـهـ مـنـ مـخـالـطـةـ النـاسـ؛ـ مـخـمـورـةـ بـذـمـ
الـمـلـوـكـ،ـ وـأـعـوـنـهـمـ،ـ وـالـأـدـبـاءـ،ـ وـالـشـعـرـاءـ،ـ وـالـعـلـمـاءـ،ـ وـأـهـلـ عـصـرـهـ وـرـبـماـ تـعـدـىـ ذـلـكـ إـلـىـ النـاسـ عـامـةـ،ـ مـنـ مـاضـ
وـحـاضـرـ وـمـسـتـقـبـلــ.

^{١٠٦}) اللزوميات، ج ١، ص ١٦٢ ، فار : اسم فاعل من فراء الكذب أي : إختلقه .

^{١٠٧}) اللزوميات، ج ٢ ، ص ٣٠٠ .

^{١٠٨}) اللزوميات، ج ١ ص ٢١ .

^{١٠٩}) اللزوميات، ج ١ ص ١٣٧ ، البر : الحنطة .

^{١١٠}) اللزوميات، ج ٢ ص ٣٤٣ ، نقاء : الطهر .

رأينا من خلال عرض هذا الفصل، إتجاه فلسفة أبي العلاء المعزري؛ فيعرض في هذه الفلسفة «حكمة واقعية عملية» فتصور أن الحياة، لا تغنى على وطيرة واحدة بل أن الإنسان يعيش في حالة تضاد مع نفسه، التي تنطوي على القوة والضعف، السخط والرضا، لسعادة والتعاسة، وجميع هذه المتضادات والمتناقضات تحملها الذات الإنسانية.

فالمعزري يعاصر مجتمعاً قلقاً مضطرباً، ويكتوي بنيران ظروفه الإجتماعية والسياسية والاقتصادية. فيرى أن «نبي» هذه الحكمة الواقعية العلمية، هو العقل الذي تناضل معه الشهوات الإنسانية؛ لو فعل الإنسان أمر عقله، هو فاتح الميدان وإذا تابع الشهوات، ففشل.

فالعقل خاصية إنسانية؛ ينفرد بها عن باقي الكائنات خاصة الحيوان. وهو صفة في الإنسان تعتبر مصدر صواب حكمه، وسلامة تفكيره، وقوام سلوكه لتخطي حيوانيته. فهل الإنسان دائماً قادر على تخطي حيوانيته لبلوغ الفكر السليم والسلوك القديم؟

لم يصبح العقل موضوعاً للتکفير إلا مع ظهور الفلسفة، ويتجلّي ذلك في مجموع التصورات التي وضعها الفلاسفة، عن طبيعة العقل.

فقد كشف تاريخ الفلسفة، أنه منذ القرن الخامس ق. م كان العقل، الوسيلة الوحيدة التي مكنت اليونان من التخلص من الأفكار الأسطورية، والإعتقادات الخرافية، وأمام هذه الأهمية وضعه الفلسفة موضع تساؤل عن طبيعته، وعن وظيفته، وحدوده. فتكلمنا عن فلسفة أبي العلاء وعماد فلسفته، وهو العقل.

كما مررتنا بتعريف الفلسفة وعلاقتها بالأدب، لأن أبي العلاء من رواد الشعر الفلسفي في الأدب العربي، أو إذا صح التعبير أوّلهم، فأدبه عامّةً وديوان لزومياته خاصّةً يمثل هذا الإتجاه الفلسفي.

الفصل الثالث

ديوان "لزوم ما لا يلزم"؛ دراسة وتحليل

التمهيد

الحياة الدينية في عصر أبي العلاء

يتراهى لنا من أقوال أبي العلاء التي انتهت إلينا أن جل الناس في عهده كانوا لا يجاهرون بالإخلال بشيء من الواجبات الدينية، كالصلوة والصوم والحج ونحوها مما يعود إلى العبادات. وإن كانت أعمالهم مشوبة بالرياء، منبعثة عن الأغراض النفسية التي كانوا يتخدون الدين وسيلة إلى بلوغها.

وأما في المعاملات فكان الأقوياء، يستبيحون كل ما تطال أيديهم من أموال غيرهم وأغراضهم ودمائهم. وكانت قوانين الدين وأحكامه، تطبق على بعض الضعفاء الذين لا يجدون رجالاً تنصرهم، وأموالاً تذود عنهم. وأن أصحاب الملل والنحل من غير المسلمين كانوا أحراراً في نشر عقائدهم، وكانوا لا يألون جهداً في دس مزاعهم بين أصناف الأمة.

وأن المسلمين كانوا أحراراً في إظهار آرائهم ومعتقداتهم ومعارضاتهم، وأن فيهم فرقاً مختلفاً تكفر كل واحد منها، غيرها ممن لا يوافقها على عقيدتها، أو فسقها، أو جهلها. وأن باب الجدل والمناقشة، كان مفتوحاً على مصراعيه بين المسلمين أنفسهم، وبينهم وبين غيرهم من أرباب الأديان الأخرى، وبين كلٍّ من أرباب الأديان المذكورة أنفسهم، وبينهم وبين غيرهم من أرباب الملل المخالفة لهم.

وأن الزنادقة والملحدين، كانوا يبثون مزاعهم بين ضعفاء العقل والعلم، لإغوائهم وتشكيكهم في دينهم.

وأن معظم الحكام في ذلك العهد، كانوا مشغولين عن نصرة الدين، وتقوية دعائمه ببساط سلطانهم وتأييد أركانه ونصرة أغوانه. وإنما كانوا يتجهون إلى الدين إذا كانوا يجتنبون من وراء ذلك فائدة، فيتخدرون نصرته والغيرة عليه ذريعة لقتل معاند لهم، أو خارج عن طاعتهم، أو معارض لسياستهم؛ أو يتخذون منه وسيلة لاستصفاء مال من ينقمون عليه، أو ما شابه هذا من الأمور التي تعود عليهم بالمنافع الخاصة.

ومع هذا كله كان في الأمة أفراد أفذاذ في العلم، والتقوى، والزهد، والإخلاص في

العمل، والنصح، وعمل البر، ونصرة الحق، والإرشاد. ولكنهم كانوا قليلين بالنسبة لغيرهم .
ولم أر في كلام أبي العلاء أنّ فرقة من المسلمين، أو مدينة من مدنهم عطلت شيئاً من شعائر الإسلام، وإن ارتكب فريق منهم أعمالا لا تتفق مع الإسلام.

المبحث الأول

ديوان "لزوم ما لا يلزم"؛ دراسة وتحليل

أ- تاريخ نظم "اللزوميات" وسبب نظمه:

إذا نقسم الأطوار في حياة أبي العلاء الأدبية إلى ثلاثة أطوار، كما فعل الدكتور «طه حسين»^{١١١} فالطور الأول: طور الصبا، ينتهي سنة ثالث وثمانين وثلاثمائة حين بلغ العشرين. والثاني: طور الشبيبة، وينتهي سنة أربععمائة حين عاد من بغداد، واعترف بإيقضاء شبيبته في رسالته إلى أهل المعرفة. والثالث: طور الكهولة والشيخوخة وينتهي بهاته؛ فلتعد اللزوميات منتوج الطور الثالث من حياته الأدبية، عندما نضج تفكيره.

لم يبين التاريخ، الزمن الذي ابتدأ فيه أبو العلاء، نظم «اللزوميات»، وما أشار أبو العلاء في شيء مما وقفتنا عليه من كلامه إلى شيءٍ من هذا، ولا نستطيع أن نجزم بأنه كله مما نظم بعد رجوعه من بغداد لأسباب عديدة، منها:

- أن ذلك يفتقر إلى نص تاريفي، وليس لدينا ذلك.
- أن أبي العلاء ذكر في شعره في غير «لزوم ما لا يلزم» كثيراً من المصطلحات العلمية، والدينية، واللغوية، والفلسفية، وغيرها. وهذا يدل على أنّ ذكر المصطلحات والمسائل العلمية في شعره لا يختص بها كان منه بعد رجوعه من بغداد، ولا بما في «لزوم ما لا يلزم».
- إنّ لأبي العلاء أبياتاً، في غير «لزوم ما لا يلزم» التزم فيها ما لا يلزم، منها قوله في ملقي السبيل: [المتقارب]

يدوم القديم إله السماء

ويفنى بأقداره ما حدث

وما أرحب الماء في عيشه

ولكن قصاراه سكتى الجدث^{١١٢}

^{١١١}) تجديد ذكرى أبي العلاء: م. س، ص ٧٠.

^{١١٢}) الجندي: م. س، ص ١٥١، منقول عن ملقي السبيل ص ٢٣١، قصاراه: نهايته، الجدث: القبر.

ففي هذين البيتين التزم حرفين للقافية «دث». ومنها قوله في سقط الزند، من أبيات ثمانية، التزم فيها كلها الباء قبل الياء المشددة: [السريع]

ذلَّتْ، لِمَا تَصْنَعُ أَيَّامُنَا،
تَجْنِيْ خُمُورُ الْهَمْ، مَا لَمْ تَكُنْ
أَمِنْتِ، يَا نَفْسُ، صُرُوفُ الرَّدِّيْ،
رُبِّ رِماحٍ طَعَنْتُ فِي الْعِدَى،

وَهُيَ الرِّماحُ الْقَصَبَيَاتُ^{١١٣}
[الوافر] وقوله في الدرعيات والتزم فيها تاء المدورة قبلها التون المشددة: عليه السَّابِعَاتِ، فَإِنَّهُ
يُدَافِعُنَ الصَّوَارِمَ وَالْأَسْنَةَ
تَلَقَّاها بِتَقْسِيسٍ مُطْمِنَّتِهِ
إِذَا دَارَتْ رَحَاها الْمُرْجَحَتِهِ
وَمَنْ شَهِدَ الْوَغْيَ، وَعَلَيْهِ دِرْعٌ،
وَحَبَّاتُ الْقُلُوبِ يَكُنْ حَبَّاً،
عَلَى أَنَّ الْحَوَادِثَ كَاثِنَاتٍ،

وَمَا تُغْنِي مِنَ الْقَدَرِ الْأَكْثَرَ^{١١٤}
وعن غرضه مننظم الديوان يقول في مقدمته: «كان من سالف الأقضية في إنشأت أبنية أوزان توحيت فيها صدق الكلمة، وزنهتها عن الكذب والباطل ولا أزعمنها كالسمط المتخذ، فأرجو ألا تحسن من السمط فمنها ما هو مجيد الله الذي شرف عن التمجيد، ووضع المتن في كل جيد، وبعضها تذكرة للناسكين، وتنبيه للرقدة الغافلين، وتحذير من والدتنا الكبرى التي غدرت بالأول، واستجبيت فيها دعوة جرول إذ قال لأمه: [الوافر]

(١١٣) سقط الزند: ص ١٩١، الخمور العنيبات: المصنوعة من العنبر، الرماح القصبيات: المصنوعة من القصب. وبقية الأبيات هي:

سَرَّتْ لَهَا تَرْمِجُ أَفْلَاهِهَا،
أَوْ نِسْوَةُ الرِّتْبَجِ يَأْمَانِهَا،
إِنْ فَسَدَتْ، مِنْ زَمْنِي، نِتَّهُ؛
فَالْأَعْوَجِيَاتُ لَنَا عُدَّةُ،
فِي الْجَوْ، بِلْقُ عَرَبِيَاتِ
لِلرُّقْصِ، قُضِبْ ذَهَبِيَاتِ
أَوْ ظَهَرَتْ مِنْهُ خَيَاتِ
تَقْدِمُهُنَّ الْأَرْخَيَاتِ

(١١٤) سقط الزند، ص ٣١٦، السابقات: الطويلات.

ولَقَائِكَ الْعُقوَّى مِنَ الْبَتَّينِ^{١١٤}

ثم قال: وجمعت ذلك كله في كتاب لقبته «لزوم ما لا يلزم» ومعنى هذا اللقب أن القافية تلزم لها لوازم لا يفتقر إليها حشو البيت». ^{١١٥}

ب - مقدمة "اللزوميات"

إفتح أبو العلاء ديوانه «لزوم ما لا يلزم» بمقدمة ذكر فيها أموراً:

- ١ - أنه أنشأ أبنية أوراق، توخي فيها الصدق ونزعها عن الكذب، فمنها ما هو تمجيد لله وبعضها تذكير للناسكين وتبيه للغافلين وتحذير من الدنيا.
- ٢ - أنه وضع أشياء من العظة، وأفانين على حسب ما تسمح به الغريزة؛ فإن جاوز المشرط إلى سواه فإن الذي جاوزه إليه قول عريي من الملين.
- ٣ - لقب هذا الكتاب الذي جمع فيها ما ذكره «لزوم ما لا يلزم»، وخشي أن يقع إلى قليل المعرفة بلوازم القافية؛ فذكر حروف القافية، وحركاتها، وعيوبها، بأسلوب جامع يدل على تمكّن في علم القافية.
- ٤ - ذكر أن إلتزام ما لا يلزم إنما يفعله الشاعر لقوته، ولو تركه لم يدخل عليه ضعف.
- ٥ - أنه تكلّف في هذا التأليف ثلاث كلف:
 - الأولى: أن ينتظم حروف المعجم عن آخرها.
 - الثانية: أن يجيء رويه بالحركات الثلاث وبالسكون، بعد ذلك.
 - الثالثة: أنه التزم مع كل رويء فيه شيئاً لا يلزم؛ منباء، أو ثاء، أو غير ذلك من الحروف، وقد قدّمنا أنه التزم حرفاً، وحرفين، وثلاثة، وأكثر.
- ٦ - أنه قسم القوافي إلى ثلاثة أقسام:
 - أ - الذلل: وهي ما كثر على الألسن، وهي عليه في القديم والحديث.
 - ب - النفر: وما هو أقل إستعمالاً من غيره، كالجيم والزاي ونحو ذلك.
 - ج - الحوش: وهي اللوائي تهجر فلا تستعمل؛ ومثل لذلك بقول الشاعر:

[الطويل]

^{١١٤}) ديوان الحطيّة بشرح ابن السكّيت والسكري والسجستاني (تحقيق نعمان أمين طه). ص ٢٧٨ .

^{١١٥}) اللزوميات : ج ١٥ ، ص ١٥ ، السميط : الاجر المنضض بعضه فوق بعض ، جروں : اسم الشاعر الجاهلي الملقب بالحطّيّة الذي أدرك الاسلام واشتهر بهجاته .

كَانَ لَمْ أَرْكَبْ جَوَاداً لِلَّدْنِ

وَلَمْ أَبْطُنْ كَاعِبَاً زَانَهَا الْخَلْلِ^{١١٦}

- ٧ - أنه قال في كلام له قديم: إنه رفض الشعر، فيبين أن المراد بذلك الشعر، ما استجيز فيه الكذب، واستعين على نظامه بالشبهات؛ فاما ما كان عظة للسامع، وايقاظاً للمتوسن، وأمراً بالتحرز من الدنيا الخادعة، وأهلها الذين جبلوا على الغش والمكر، فهوasa يلتمس به الثواب.
- ٨ - أنه رب النظم على مائة وثلاثة عشر فصلاً، لأن حروف الهجاء ماعدا الألف ثمانية وعشرون حرفاً، وقد جعل لكل حرف منها أربعة فصول على حسب حالات الروي؛ من ضم، وفتح، وكسر، وسكون. وأما الألف وحدها فلها فصل واحد، لأنها لا تكون إلا ساكنة، فالمجموع ١١٣ فصلاً.
- والنتيجة أن أبا العلاء لم يجر في هذا الكتاب، على طريقة الشعراء في استباحة الكذب، وإنما احتذى فيه على مثال الوعاظ المذكور، والتزم ما لا يلزم ليدل على قوته، وهو عارف بأن في الكتاب ما جاوز المشترط، ولكنه بريء من الكذب في اعتقاده.

وقوله :

[الطوبل]

عَرَفْتُ سِجَابِيَ الدَّهْرِ : أَمَا شَرُورُهُ

فَنَقْدُ ، وَأَمَا خَيْرُهُ فَوَعْدُ^{١١٧}

ويقول: إنني اختبرت الدهر، فالمصائب ومصابعه معدة في أي حال، لكن خيره وسروره يؤجل إلى الآتي. وهذا كناية عن صعوبات الدهر، وعدم الفرح والراحة فيه.

وفي لغته، ذكرنا أن أبا العلاء كان واسع الإطلاع على اللغة، ونواترها وشوادها وفصيحها، وإنه كان يحفظ كثيراً من شعر الجاهليين، وغيرهم. وإنه كان يحب الجنس بأقسامه، والتورية، ومراعاة النظير، وغيرها من الصناعة البديعية وقد التزم في «اللزوميات» أن يكون ما قبل حرف الروي واحداً في البيتين، والقطعة، والقصيدة. وإنه أحياناً يتلزم حرفاً واحداً، كقوله:

[البسيط]

أَمْسَى التَّفَاقُ دَرَوْعًا يُسْتَجَنُ بِهَا

من الأذى، ويقوّي سردها الخليف

^{١١٦}) البيت لأمرئ القيس في ديوانه من قصيدة مطلعها:
أَلَا عِمْ صَبَاحًا أَتَيْهَا الطَّلْلُ الْبَالِي

وَهُلْ يَعْمَنْ مَنْ كَانَ فِي الْعُصُرِ الْخَالِي

^{١١٧}) اللزوميات : ج ١ ، ص ٩٠ .

أُفني زَمَانِي بِأَنفَاسٍ، كَمَا قَطَعْتُ،

^{١١٨} مَدَّى بَعِيدًا، مَوَالِشِ، فِي السُّرِّي، دُلْفٌ

فيقول: النفاق صار درعاً يخفي الناس خلفها، فتحفظهم من الأذى وبه يقوى الأحلاف، فأنت عمري وأنفاسي لأنفاسي بغير، قطعت مدى بعيداً في الصحراء القفر (كتابية عن طول العمر وعيث الحياة)؛ وحرف القافية، واحد وهو «الفاء». وأحياناً يتلزم أكثر من حرف، كقوله:

[الوافر]

كَأَنَا، فِي سَجَایَانَا، نَقْوُدُ،

كَثِيرُ الْبَهَارِجِ وَالْزَّيْوِفِ

وهذه الأرض للملك المرجبي،

^{١١٩} تُلْمُ بِهَا، كَإِلَامِ الضَّيْوِفِ

يشير بأنّ خلق أهل الأرض خلق باطل، ويظنّ أنه أبيدي فلا يدرى هو ضيف. وحروف القافية في هذا البيت أكثر من حرف واحد وهي ثلاثة أحرف «يوف». وكان فوق ذلك، يحب أن يظهر ثروته اللغوية، وقدرته على التصرف بالألفاظ القليلة التداول، وجعل الوحشي منها مأنوساً متداولاً.

وقد يكون لبعضها، من الجرس المستعدب والنغمة المطربة ما لم يكن للمأنوس، كقوله:

[الوافر]

وَقَدْ شَهَدَ النَّصَارَىٰ: أَنْ عَيَّسَىٰ

تَوَحَّثْتُهُ الْيَهُودُ، لِيَصْلِبُوهُ

وَقَدْ أَبْهُوا، وَقَدْ جَعَلُوهُ رَبَّاً،

^{١٢٠} لَئِلًا يَنَقْصُوهُ وَيَجْدُبُوهُ

ففي وسع الشاعر أن يقول: «ويثليوه» بدلاً من «يجديوه» ولكنّ معنى «يجدب» يعيّب ويندم، ومعنى «يثلب» يعيّب ويلوم، والمعنى الأول أليق هنا، وإن جاز إستعمال كلّ منهما، في معنى يعيّب على سبيل المجاز.

ج - ديوان «اللزوميات» في شكله ومضمونه

١- ترتيب «اللزوميات»

لم يرتب أبو العلاء «اللزوميات» على حسب المواضيع والأغراض لتعذر ذلك عليه،

^{١١٨}) اللزوميات، ج ٢ ص ٢٩٢، سرد: اسم لكل درع وحلق، الحلف: اليمين، السري: جاري، الدلف: ج الدلف: الجمل السمين لأنه يدلّف من سمنه، مواش: جمع الماشية.

^{١١٩}) اللزوميات، ج ٢ ص ٢٩٦ . سجایانا: خصالنا . والمرأة تَرِيفٌ في مَشِيهَا كَانَهَا تَسْتَدِيرُ .

^{١٢٠}) اللزوميات، ج ١ ص ٣٣٣، وخى: تطلبه دون سواه، توخي: توقيع، أبه: نبه.

لأنه لم يفرد لكل غرض على حدة أبياتاً مختصةً به في غالب شعره، بل ربما تناول في التصيدة الواحدة أو القطعة الواحدة، أغراضًا متعددة وإنما رتبه على حروف الهجاء، فابتداً بحرف الهمزة ثم الألف بعدها، ثم بالباء، فالباء، فالثاء، فالجيم، إلى آخر حروف الهجاء على حسب ترتيبها المشهور، وقد رتب كل حرف من حروف الهجاء على ترتيب الحركات، فيبدأ أولًا بالحرف المحرك بالضم، ثم بالفتح، ثم بالكسر، ثم بالسكون.

٢- الأسلوب واللغة

أما أسلوبه في اللزوميات في جمله؛ فالغالب عليه المتانة وقوّة الأسر والجزالة^{١٣١}، ك قوله:[الطويل]

أرى الأريَّ، تغشأهُ الخطوبُ، فينشي

^{١٣٢} مُمِراً، فهل شاهذت من مَقِيرٍ يحلو؟

وقصد الشاعر، هو أن النحل عندما يلدغ، فلدغه ممراً جداً لأنّه أصابته مصائب كثيرة. فالبيت يتشكل عن الجملة القصيرة، المتينة الأسلوب التي هي في نهاية البلاغة، تقنن القارئ، وتوصل بنية الشاعر.

٣- قوّة التأليف والطلاؤة^{١٣٣} والإنسجام^{١٣٤}

في «اللزوميات» أبيات جمعت حسن الرصف، إلى قوّة الأسلوب، وطيب الجرس. وأبيات هي غاية في الطلاؤة؛ وهي في «اللزوم» أكثر من أن تحصى، ويزيد بعضها جمالاً ما فيه من التملح لحادثة، أو مزعم، أو نحو ذلك، أو ما فيه من الإكتفاء بالإشارة إلى المعنى، وإرسال المثل، أو ما أشبه هذا من التفنن، وأنظر إلى مثل قوله وهو أول بيت، أفتتح به «اللزوميات»:

[الطويل]

أُولو الفضلِ، في أوطانهم، غرباءُ،

^{١٣٥} تشدُّ وتنأى عنهم القرباءُ

^{١٣١}) الجزالة : سمو المعنى وقوته .

^{١٣٢}) اللزوميات : ٢ج ، ص ١٤٩ ، الأري : النحل ، المقر : المزر .

^{١٣٣}) الحسن والبهجة والملاحة في الكلام .

^{١٣٤}) أن يكون الكلام خالياً من التعقيد ، سهل التركيب ، عذب الالفاظ ، بعيداً عن التكلف ، له في القلوب وقع وفي النفوس تأثير .

^{١٣٥}) اللزوميات : م . س ، ص ٢٠ ، تنأى : تبعد .

وقوله :

[الوافر]

أرى جرعَ الحياةِ أمرٌ شيءٌ،

^{١٣٦} فشاهدْ صدق ذلك، إذ نقاءٌ

وقوله :

[الكامل]

عمرِي غديرُ، كُلُّ أنفاسي به

^{١٣٧} جرعُ، تغادرُه كامِس الناضِبِ

في شبَّه أنفاس عمره، بجريعات الماء التي تخرج من البركة (يشير بانقضاء عمره).
ويقول :

[الكامل]

كنْ مَنْ تشاءُ مُهَجِّنًا، أو خالصًا،

وإذا رُزقتَ غَنِيًّا فانتَ السيد

واصمتُ، فما كثُرَ الكلامُ من أمرِي؛

^{١٣٨} إلا وظُنَّ بأنه مُتَزَيِّدٌ

أشار في هذين البيتين بأن الأغنياء محترمون عند الناس، ولو ما كان خيراً فيهم وأيضاً يشير إلى أن من يعلم أكثر، فصحته أكثر.
وأيضاً قوله :

[الوافر]

فلوْ يُرجَى، مع الشركاءِ، خيرٌ،

^{١٣٩} لما كانَ الإلهُ بلا شريكِ

٤ - نماذج من التشيه والإستعارة والكتابية
في «اللزوميات»، أنواع من التشيه المحسوس وغيره، تدل على براعة فائقة في كلي النوعين،
كقوله :

[الكامل]

سبحانَ مَنْ بَرَأَ النجومَ، كأنَّها

^{١٤٠} دُرُّ، طَفا من فوق بحرِ مائجٍ

فسبيه النجوم وتلاؤهم التي تلمع وتطفأ أحياناً، بدورِ تتحرك على أمواج البحر، ووجه الشبه هذا
للمعنى الذي يقطع أحياناً ويضيء مرةً أخرى.
ويقوله :

[البسيط]

^{١٣٦}) اللزوميات، ج ١ ص ٢٣ ، نقاء : تخرج .

^{١٣٧}) اللزوميات، جذ ص ٥١ ، غدير : بركة الماء، نصب : جري وسال .

^{١٣٨}) اللزوميات، ج ١ ص ٩٧ ، مهجنًا : الذي ليس فيه خير ، متزید : الذي يعلم بكثير .

^{١٣٩}) اللزوميات، ج ٢ ص ١٩٨ .

^{١٤٠}) اللزوميات، ج ٢ ص ٧٩ ، طفا : علا فوق الماء .

ولاجتِ النارُ، كالشقراءِ، يحييْها،

عن مُهربِها، القيدُ، وهنَّا، فهِي لا تقرٌ^{١٣١}

في هذا البيت شبه النار بالغرس الشقراء القوية، التي حبست لكنها تشقق إلى ولدها، وتريد أن تخرج من المحبس ولا قرار لها. ووجه الشبه عدم القرار والحركة في الجوانب المختلفة، وأيضاً لونها الشقراء.

ومن الإستعارات، قوله :

[الطوبل]

رَكِبَنا عَلَى الْأَعْمَارِ، وَالدَّهْرُ لُجَّةٌ،

فَمَا صَبَرْتُ، لِلْمَوْجِ، تَلْكَ السَّفَائِنُ^{١٣٢}

ففي «ركبنا» إستعارة فلا يستعمل «ركبنا» للعمر، وقصده إنقضاء العمر، والإستعارة تصريحية. وقدد البيت أن العمر يقضى بسرعة كبيرة. وقوله في التشبيه أيضاً:

[الوافر]

رَأَيْتُ الْحَقَّ لَوْلَهُ تَوَارَتْ

بَلَجًّا، مِنْ ضَلَالِ النَّاسِ، جَمٌ^{١٣٣}

فشبّه الحق بلؤلؤ اختفت في قعر البحر، والبحر هو ضلال الناس. وفي «اللزوم» صور من الكنایات، هي غاية في الإحكام والروعـة. مثل قوله :

[الكامل]

لَوْ قَالَ سِيدُ غُصَّاً: بُعِثْتُ بِهِلَّةٍ

مِنْ عَنْدِ رَبِّي؛ قَالَ بَعْضُهُمْ: نَعَمْ^{١٣٤}

وهذا البيت كناية عن حماقة الناس، وقولهم بكل إدعاء دون أي بحث ومناقشة. وقوله :

[الطوبل]

وَلَوْ طَارَ جَبَرِيلُ، بِقِيَّةَ عُمْرِهِ،

عَنِ الدَّهْرِ، مَا اسْطَاعَ الْخَرُوجَ مِنَ الدَّهْرِ^{١٣٥}

وهذا البيت كناية عن طول الدهـر.

^{١٣١}) اللزوميات، ج ١ ، ص ٤٣٢ .

^{١٣٢}) اللزوميات، ج ٢ ، ص ٢٠٩ .

^{١٣٣}) اللزوميات، ج ٢ ص ٢٠٩ ، توارت : اختفت، لُجَّ الوادي : جانبـه. و لُجَّ البحـر : عـرضـه ؛ قال : ولـجـ الـبحـرـ اـطـاءـ الـكـثـيرـ .

^{١٣٤}) اللزوميات، ج ٢ ، ص ٢٦٥ ، سـيدـ غـصـاـ : مـثـلـ فـيـ الـخـيـثـ وـالـاحـتـيـالـ .

^{١٣٥}) اللزوميات، ج ١ ، ص ١٤٦ .

المبحث الثاني

أبو العلاء و معتقداته الدينية في ديوان "اللزوميات"

أ- أبو العلاء والدين

لو أردنا التفحص في هذا المجال، من مجالات حياة أبي العلاء وأهمها بالضبط، فمن الأفضل أن نلقي نظرة عابرة على الحياة الدينية في عصر أبي العلاء.

تكلمنا فيما قبل عن الحياة الإجتماعية في عصره، ووصلنا إلى هذه النتيجة وهي أن فساد الحالة الإجتماعية، منتوج عن الإباحة بالدين، فكما يقول «طه حسين» في «تجديد ذكرى أبي العلاء»، الدين يحكم الأبدان من غير أن يصل إلى القلوب، فالمجتمع في هذا العصر لا يعرف من الدين إلا تقاليده الموروثة دون أن يتعمق فيها، ولا يريد منه إلا وسيلة للإكتساب والإشتراء والزواج.

هذه المعرفة تجاه الدين تسبب بأن يثور أبو العلاء على الدين الذي عرفه المجتمع، لكن هذه الثورة مطابقة مع نفسية أبي العلاء وهو عالمٌ، ذكيٌّ، عارف بالعلوم المختلفة والأديان المتنوعة؛ فعندما يريد إظهار مخالفته لهذا المجتمع، وعاداته، وتقديراته، وتدينه المرفوض يتكلّم بسان فلسفياً، فالواجب، قوله، هذه الحقيقة أن كثرة النزعات والمذاهب الدينية تؤدي إلى الكلام عن الدين بلسان الفلسفة، والفاليسوف لا يستطيع أن يبدي برأيه بالقطيعة الكاملة، إلا أن يجد له دليلاً مقنعاً، لكنه يظهر هذا الشك الفلسفية أحياناً.

إختار المعري طريق التعلق والإستدلال المنطقي، و يجعل العقل «نبيه» في هذا الطريق، ويفعل كلّما أمر العقل به، هو مؤمن بالله دون شك ويرى بأن الدين هو الإيمان بالله ، والتقوى، والأخلاق الحسنة؛ فيقول :

[الطوبل]

إذا آمنَ الإِنْسَانُ بِاللَّهِ ، فَلَيْكُنْ

١٣) بِيَّاً ، وَلَا يَخْلُطُ بِإِيمَانِهِ كُفْرًا

ففي هذا البيت يشير بأن الإيمان بالله من خصائص الإنسان العاقل، وإذا كان مؤمناً حقيقياً لا يكفر به .

ويقول أيضاً:

[الطوبل]

١٣) اللزوميات، ج ١ ، ص ٤٤٨ .

إذا كنت بالله المهين واثقاً،

^{١٣٧} فسلم إليه الأمر، في اللفظ واللحظ

فيقول: إذا آمنت بالله قادر بالثقة الكاملة، فسلم أمرك، من كلامك ونظرات عينيك إليه.
ويقول:

[البسيط]

قد طال، في العيش، تقيدني وإرسالي،
^{١٣٨} من اتقى الله، فهو السالم السالى

يقول: طال عمري، وقبضي ويسطلي فيه، وفهمت بأن تقوى الله ليصدر إلا عن النفوس الصالحة، وبهذا التقوى لا تحزن هذه النفوس لأي حزن ومصيبة.
وسيرته في الحياة؛ إقامة الصلة، وإعطاء الزكاة.
فيقول:

[الوافر]

خذوا سيري، فهو لكم صلاحُ
^{١٣٩} وصلوا في حياتكم، وزكوا
وهو مؤمن بشيءٍ يعتمد عليه العقل، دون أي تحريف.
من قوله:

[الكامل]

اثنانِ أهل الأرض، ذو عقلٍ بلا
^{١٤٠} دينٍ، وأخر دين لا عقل له

ففي هذا البيت يقسم أبو العلاء أهل الأرض إلى قسمين: عاقل غير متدين ومتدين غير عاقل. لكن
قصد أبي العلاء من الدين، الدين المحرف الذي اعتنقه الناس ولا يعقلون فيه.

ب - موقف أبي العلاء من الأديان السماوية
ما يفهم من كلام المعربي أنه ما أنكر النبوات، لكنه أنكر الأديان المحرفة بعد موت الأنبياء وسوء
الفهم للبيانات، فيقول:

[البسيط]

إن كان إبليس ذا جنيد يصوّل بهم
فالنفس أكبر من يدعوه إبليس

^{١٣٧}) اللزوميات : ج ٢ ، ص ١٠٥ ، اللقط : الكلام ، اللحظ : العين .

^{١٣٨}) اللزوميات ، ج ٢ ص ٣٣٢ .

^{١٣٩}) اللزوميات ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ .

^{١٤٠}) اللزوميات ، ج ٢ ، ص ١٩٢ .

ومَوْهَةُ النَّاسُ، حَتَّىٰ ظَنَّ جَاهِلُهُمْ

أَنَّ النَّبِيَّةَ مَوْيِهٌ وَتَدَلِّسٌ

جاءَتْ، مِنَ الْفَلَكِ الْعُلُوِّيِّ، حَادِثَةٌ،

^{١٤١} فِيهَا اسْتَوَى جُبَانُ الْقَوْمِ وَاللَّيْسُ

وَيُقَصَّدُ أَبُو الْعَلَاءُ؛ إِذَا كَانَ يَطْلُبُ إِبْلِيسَ، جَنْدًا يَهْجُمُ بِهِمْ، نَفْسُ الْإِنْسَانَ كَانَ أَكْبَرُ جَنْدَهُ، فَخُلِطَ الْأَمْرُ لِلنَّاسِ، وَجَهَالُهُمْ ظَنَّوْا أَنَّ النَّبِيَّةَ مَكْرُّ وَظَنَّوْا لَا يَفْرُقُ النَّبِيَّةَ بَيْنَ الْجَبَانِ وَالشَّجَاعَانِ.
فَيَقُولُ فِي مَكَانٍ آخَرَ:

[البسيط]

قَالَتْ مَعَاشُرٌ: لَمْ يَبْعَثْ إِلَهُكُمْ،
إِلَى الْبَرِّيَّةِ، عِيْسَاهَا وَلَا مُوسَى
وَصَرَّوْا، لِجَمِيعِ النَّاسِ، نَامُوسَا
حَتَّىٰ يَعُودَ حَلِيفُ الْغَيِّ مَرْمُوسَا

^{١٤٢} فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ يَرَى الْمُعَرِّيُّ، أَنَّ النَّاسَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِالرَّسُالَاتِ وَإِنَّمَا دِينَهُمْ تَقْليْدٌ وَمُحاكَاةٌ لِلآخَرِينَ.
وَقَالَ أَيْضًاً:

[الوافر]

لَقَدْ طَالَ الْعَنَاءُ، فَكَمْ يَعْانِي
دُعَا مُوسَى فَزَالَ، وَقَامَ عِيْسَى
وَقَيلَ يَجِيءُ دِينٌ غَيْرُ هَذَا،
وَمَنْ لِي أَنْ يَعُودَ الدِّينُ عَصَّاً،
فَيَقُولُ: شَرِيعَةُ نَبِيٍّ تَزُولُ، وَتَأْتِي مَكَانُهَا شَرِيعَةُ نَبِيٍّ آخَرَ.

فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ يُشَيرُ إِلَى إِهْتَمَامِ النَّاسِ بِظَاهَرِ الْأَدِيَّانِ، وَيَتَمَنِّي أَنْ يَتَعَمَّقَ النَّاسُ فِي حَقِيقَةِ الْأَدِيَّانِ يَوْمًا مَا.
وَيَقُولُ:

[البسيط]

^{١٤١} اللَّزُومِيَّاتُ : ج ٢ ، ص ٥٥٢ . الْلَّيْسُ : الْلَّزُومُ . وَاللَّيْسُ : الَّذِي لَا يَرْجُحُ بَيْنَهُ وَاللَّيْسُ أَيْضًاً : الشَّدَّةُ .

^{١٤٢} اللَّزُومِيَّاتُ ، ج ٢ ص ٣٤ ، النَّامُوسُ : صاحِبُ السُّرِّ ، مَرْمُوسًا : دَفِينًا .

^{١٤٣} م . ن ، ص ٥٧٦ ، غَصَا : تَقْصُ شَانَهُ ، طَمَسُ : إِمْحَى وَدَرْسُ ، تَسْكُ : تَرْهَدَ وَتَعْبَدَ . وَالْخَمْسُ : مِنْ أَطْمَاءِ الْأَبْلِلِ ، وَهُوَ أَنْ تَرِدَ الْأَبْلِلُ الْمَاءَ الْيَوْمَ الْخَامِسَ .

دينٌ وكُفْر، وأنباءٌ تُقْصُن، وفُزْ
في كل جيلٍ أباطيلٍ يُدَانُ بها،

فهل تَفَرَّدَ يوماً بالهدى جِيلٌ^{١٤٥}

ففي هذين البيتين أيضًا يشير إلى تعدد الشرائع، كأنه يعدهم تنوع الأديان سبباً في عدم توفيق الأنبياء في دعوتهم، ففي مكان آخر يقول:[
[مخلع البسيط]

كم وعظ الاعظونَ مَنَا،

وقام في الأرضِ أَنبِياءٌ

فانصرفوا، والبلاء باقٍ،

ولم يرُدْ داؤكِ العَيَاء^{١٤٦}

ويقول:

[البسيط]

جاءَ النَّبِيُّ بِحَقٍّ، كَيْ يُهَذِّبُكُمْ

فهل أَحْسَنَ لَكُمْ طَبْعٌ بِتَهْذِيبٍ^{١٤٧}

فهو يشير إلى طبع البشر الذي يميل إلى الشر، فلا يؤثر فيه كلام النبي، وإذا يبعث النبي يحرّف دينه
بعده. ويرى أن الليب يضع كل هذه الخرافات والتحريفات على جانب، وبعقله يجد الطريق الصحيح
وهي الحقيقة. لكنه يمجّد الإسلام، ومن الممكن أن يكون سبب التمجيد قلة التحريف في هذا الدين
وهو يمجّد الإسلام الأصيل دون أي تحريف.
فيقول:

[الطوبل]

دَعَاكُمْ، إِلَى خَيْرِ الْأَمْوَارِ، مُحَمَّدٌ،

وَلِيَسَ الْعَوَالِيُّ، فِي الْقَنَا، كَالسَّوَافِلِ

حَدَّاكُمْ عَلَى تَعْظِيمِ مَنْ خَلَقَ الضَّحْنِ

وَشَهَبَ الدُّجَى مِنْ طَالِعَاتِ وَآفَلِ

وَالرَّمَكْمَ مَا لِيَسَ يُعِجزُ حَمْلُهُ

أَخَا الضَّعْفِ مِنْ قَرْضٍ لَهُ وَنَوَافِلِ

وَحَثَّ عَلَى تَطْهِيرِ جَسِّمٍ وَمَلَبِّسٍ،

وَعَاقَبَ فِي قَذْفِ النَّسَاءِ الْفَوَاضِلِ^{١٤٨}

١- رأيه في اليهود

يمكن تلخيص آراء أبي العلاء في اليهود، بأنه يعتقد أن التوراة كتاب موسى، وأن

^{١٤٥}) اللزوميات، ج ٢، ص ١٥٨، تفرد: تشخيص، جيل: قوم، يدان بها: يخضع لها.

^{١٤٦}) اللزوميات، ج ١، ص ٦٥. العياء: العجز.

^{١٤٧}) اللزوميات، ج ١، ص ١٠٢.

^{١٤٨}) اللزوميات، ج ٢، ص ٢١١، العوالى: رأس القناة، السوافل: أواخرها، قذف: جعلهن متهمات.

اليهود حرفوها، وبَدَلُوا منها ما يشاؤوا؛ حتى صارت كُلُّها كذبًا من العلماء والأحبار.
فِيقول:

[الوافر]

تَقْدِمَ صَاحِبُ التَّوْرَاةِ مُوسَى ،
وأَوْقَعَ ، فِي الْخَسَارِ ، مِنْ افْتَرَاهَا
وَقَالَ رِجَالُهُ : وَحْيٌ أَتَاهُ :
وَقَالَ الظَّالِمُونَ : بَلْ افْتَرَاهَا^{١٤٩}

[الوافر]

وَقُولُهُ :
وَلَا تَقْبِلُ مِنَ التَّوْرَاةِ حُكْمًا ،
فَإِنَّ الْحَقَّ عَنْهَا فِي تَوَارِ^{١٥٠}

[الكامل]

وَقُولُهُ :
صَلَّى يَهُودُ ، إِنَّمَا تَوَرَاتُهَا
كَذْبٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْأَحْبَارِ^{١٥١}

[مخمل البسيط]

تَرْجُو يَهُودُ الْمَسِيحَ يَأْتِي ،
وَتَأْمُلُ ، الدَّهَرَ ، أَنْ يَهُودَا
وَكَيْفَ تُرْعِي لَهُمْ عُهُودًا ،
مِنْ بَعْدِ مَا ضَيَّعُوا الْعُهُودَا^{١٥٢}

٢ - رأي في النصارى
درس أبو العلاء النصراني في المعرفة درساً دقيقاً، واطبع من أحوال النصارى الذين كانوا فيها، ومن الكتب
التي قرأها على معتقداتهم وعاداتهم، في ذلك العصر وما قبله، وقد أعجبه دأب الرهبان في اعتزالهم عن الناس
وتقشفهم. فهو أنكر تعظيم الصليب، في مثل قوله:

[الخفيف]

قَدْرُ نَازِلٍ مِنَ الْجَوَّ ، نَادِي
بِالنَّصَارَى ، حَتَّى أَجْلَوَا الصَّلِيبَا^{١٥٣}

[البسيط]

وَقُولُهُ :

١٤٩) اللزوميات، ج ٢، ص ٥١٨، افتري: واقتراً، بمعنى، بمنزلة علا قرنه واستعلاه..، افتري: كذب.

١٥٠) اللزوميات، ج ١ ص ١٥٦، توارى: تخباً.

١٥١) اللزوميات، ج ١ ص ١٦٣، الأخبار: السفر الثالث من التوراة، شرح طقوس شعب اسرائيل واعياده وطريقة تقديم الذبائح ويطلق على العلماء اليهود.

١٥٢) اللزوميات، ج ١ ص ١٠٣.

١٥٣) اللزوميات، ج ١ ص ٤٣، أجلو: أعظموا.

وما أرى كُلَّ قوم، ضَلَّ رُشْدُهُمْ،

^{١٥٤} إِلَا نَظِيرَ النَّصَارَى أَعْظَمُوهُ الْصُّلْبًا

كما أنكر السجود له، وعده عاراً في مثل قوله :
[الطوبل]

وَحَسِبُكَ مِنْ عَارٍ، يُشَبِّهُ وَقْوَدَهُ،

^{١٥٥} سُجُودُكَ لِلصَّلَبَانِ فِي كُلِّ شَارِقٍ

وقد انتقد في شعره، ما يعتقد النصارى في عيسى من الربوبية أو أنه « ابن الله » وأمعن في هذا الموضوع، وناقشه مناقشة علیم مدقق، وحكيم موفق، من ذلك قوله :
[الوافر]

وَقَدْ شَهَدَ النَّصَارَى: أَنَّ عِيسَى

تَوَخَّتْهُ الْيَهُودُ، لِتَصْلِبُوهُ

وَقَدْ أَبْهُوا، وَقَدْ جَعَلُوهُ رَبًّا،

^{١٥٦} لَئَلَّا يَنْقَصُوهُ وَيَجْدُبُوهُ

وأبو العلاء يعظم عيسى كعظيم النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، حيث يقول :
[الكامل]

لَا تَبَدَّلُونِي بِالْعِدَادِ مِنْكُمْ،

^{١٥٧} فَمَسِيحُكُمْ، عَنِّي، نَظِيرُ مُحَمَّدٍ

٣- رأيه في الإسلام

أبو العلاء يرجح الإسلام على بقية الأديان، ويتعجب منمن ينكر الإسلام .
فيقول :

[الكامل]

أَفْمِلَةُ الْإِسْلَامِ يُنْكِرُ مِنْكِرُهُ،

^{١٥٨} وَقَضَاءُ رَبِّكَ صَاغَهَا وَأَتَى بِهَا

ويعده شرع ثابت لا ينسخ ، حيث يقول :

[السريع]

أَحْسِنْ بِهِذَا الشُّرُعِ مِنْ مُلَلٍ،

^{١٥٩} يُثْبِتُ لَا يُنْسَخُ فِيمَا نُسَخَ

فمدح النبي صلى الله عليه وسلم في قصيدة مرت بنا .

^{١٥٤} اللزوميات، ج ١ ص ٣٩، ضل : فقد.

^{١٥٥} اللزوميات، ج ٢ ص ٣٠٦، تشب : تشتعل - شرق: الشمس حين تشرق.

^{١٥٦} اللزوميات، ج ٢، ص ٥٠٤.

^{١٥٧} اللزوميات، ج ١ ص ١١٣.

^{١٥٨} اللزوميات، ج ٢ ص ٥٢، صاغها: أوجدها.

^{١٥٩} اللزوميات، ج ١ ص ٨٩.

المبحث الثالث

موقف أبي العلاء من الإيمان بالله

يعتقد أبو العلاء في الله تعالى، ما يعتقده المؤمنون المخلصون من المسلمين، ويثبت له من صفات الكمال ما يثبتون له، وينفي عنه من صفات الحدوث والنقص ما ينفيون. وإذا استقررت أقواله في هذا الغرض لاترى فرقاً بينه وبين أعظم المسلمين في الإعتقاد.

فيفقول:

[البسيط]

بادٍ، وكلٌ إلى طَبِيعِهِ جذباً^{١٥٩}

الله لا ربٌ فيهِ، وهو مُحتجبٌ،

وقال:

[مخلع البسيط]

ولسْتُ من معاشرِ نفَاهَا^{١٦٠}

أثَبْتُ لِي خالقاً حَكِيمًا،

وقال أيضاً:

[الطويل]

فيما جاحدُ اشْهَدْ أَنِّي غَيْرُ جَاحِدٍ^{١٦١}

إذا كنتَ من فرطِ السُّفَاهِ مُعَطَّلًا،

ومن قوله:

[الطويل]

قَبِيحَ الْمَسَاعِي، حِينَ يُظْلَمُ دَائِنٌ^{١٦٢}

أَدِينُ بِرَبٍّ وَاحِدٍ وَتَجَنَّبٌ

وقال أيضاً:

[الطويل]

بَنْصَحٍ، فَإِنَّا مِنْهُمْ بُرَآءٌ^{١٦٣}

إذا قَوْمٌ لَمْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ

^{١٥٩}) اللزوميات، ج 1 ص ٣٩ ، قصده من محتجب باد: مع ان الله غائب عن النظر لكنه ظاهر في كل شيء.

^{١٦٠}) اللزوميات، ج 1 ص ٦٧ ، نفاة: ج نافي: منكر.

^{١٦١}) اللزوميات، ج 1 ص ١٠٦ ، جاحد: المشرك.

^{١٦٢}) اللزوميات، ج 2 ص ٢٥٩ ، المساعي: الافعال، دائن: الذي دين عليه.

^{١٦٣}) اللزوميات، ج 1 ص ٢١ .

ويقول في اعتقاده بأنه قديم:

[الطويل]

لنا خالقٌ لا يهتري العقلُ أَنَّه
قديمٌ، فما هذا الحديثُ المولَد؟^{١٦٤}

وفي أنه موجود كل شيء، يقول:

[الوافر]

إِلَهُكَ أَوْجَدَ الْأَشْيَاءَ جَمِيعاً
فَلَا يَفْخَرُ بِشَيْءٍ مُوجَدٍ^{١٦٥}

^{١٦٤}) اللزوميات، ج ١ ص ٨٩، لا يهتري : لا يشك .

^{١٦٥}) اللزوميات، ج ٢ ص ٣٣٣ .

المبحث الرابع

رأيه في المعاد

يرى أبو العلاء أن المعاد أمر واقع لا ينكر منه، وأنه روحاني جسماني. وقد ذكره في مواطن شئ في جميع أطوار حياته. وذكر ما فيه من حساب، وجنة ونار وصراط، وشفاعة. وذكر ما في القبر من سؤال وغيره. وليس في كلامه كله ما يدل دلالة قاطعة على شك فيه أو إنكار له. وقد زعم بعض المتقديمين والمتآخرين أنه كان يشك في المعاد وينكره، واستدلوا على ذلك بقوله :

[الطويل]

ضَحِّكَنَا، وَكَانَ الضَّحْكُ مِنَا سَفَاهَةً،

وَحْقُ لُسْكَانِ الْبَسِيطةِ أَنْ يَبْكُوا

يُخَطِّمُنَا رَبِّ الزَّمَانِ، كَأَنَّا

^{١٦٧} زُجَاجٌ، وَلَكُنْ لَا يُعَادُ لَهُ سَبُكٌ

وقوله من أبيات تقدمت :

وَزَعَمْتَ أَنْ لَهَا مَعَادًا ثَانِيًّا

^{١٦٨} مَا كَانَ أَغْنَاهَا عَنِ الْحَالَيْنِ

وهذه الأبيات الأخيرة المتقدمة نسبها له القبطي، وصاحب «نكت الهميان»، وذكر ياقوت البيتين الأخيرين: «أنهيت عن قتل النفوس...» «وزعمت أن لها معاداً...» وطبع على غرارهم صاحب «الذكرى» وزاد بيتاً آخر للإسناد على الشك وهو قوله :

[الكامل]

يَا مَرَحَبًا بِالْمَوْتِ مِنْ مُتَنَظِّرٍ

^{١٦٩} إِنْ كَانَ ثُمَّ تَعَارَفُ وَتَلَاقٍ

يجعله تارة يشك وتارة يجزم، وتارة يشایع أفلاطون، وتارة وثارة. وإذا تأمل المنصف العاقل البيت الأول: «يُخَطِّمنَا رَبِّ الزَّمَانِ...» وحكم العقل والعلم. لا يرى له علاقة بالحشر والنشر، ولا فيه دلالة على إثباتهما أو إنكارهما. وإنما جرت عادة البلاغاء من العرب أن يجعلوا الزجاج مثلاً أعلى في الضعف وسرعة التكسر وفي عدم الجبر .^{١٧٠} هذا كان كلام الجندي في اعتقاد أبي العلاء، ونشاهد في مرأوي أبي العلاء، التذكرة يوم

^{١٦٧}) اللزميات، ج ٢، ص ١٨٢.

^{١٦٨}) الصفدي، الوافي بالوفيات (الألقاب).

^{١٦٩}) اللزميات، ج ٢، ص ٢١١.

^{١٧٠}) الجندي: م. س، ص ٥-٤٥٤.

القيامة وافراً.
ففي مرثية أبيه يقول:

[الطويل]

إذا صار أحد في القيامة كالعهن
مع الناس، ألم يأبى الزحام فَيُسْتَأْنِي

فيما لَيْت شِعْرِي! هل يَخْفَ وَقَارُهُ
وهل يَرِدُ الْحَوْضَ الرَّوَيِّ، مُبَادِرًا
وقال في مرثية أمّه:

[الوافر]

^{١٧١} يَقُومُ الْهَامِدُونَ مِنَ الرِّجَامِ

سألت: مَئَى اللَّقاء؟ فَقَيْلَ حَتَّى

وفي مرثية الشريف أبي أحمد الموسوي قال:

[الكامل]

نِذْتُ مَفَاتِيحُ الْجَنَانِ، وَإِنَّمَا

^{١٧٢} رُضْوَانٌ بَيْنَ يَدَيْهِ لِلإِحْتَافِ

ويتحدد المعرّي عن اختلاف الناس، في البحث ويراه أمراً شديداً الغموض، وهو يضرب مثلاً في نفي البحث والنشور أمر اللؤلؤة، حيث يستحيل رجوعه إلى الصدق، كذلك البحث، لكنه يرى أن الله قادر على ذلك، مع أن العقل عاجز عن إدراكه، فيقول:

[الكامل]

فيها، وما لَخْبِيَّهَا إِصْحَارٌ
يُومًا، إِلَى ظُلْمِ الْمَحَارِ، مَحَارٌ
^{١٧٣} فَيَحُورُ، فيها، لُبْنًا، ويَحَارٌ

أَمَا القيامةُ، فالثَّنازُ شَائِعٌ

قالت مَعَاشُرُ: مَا لِلْؤْلُؤِ عَائِمٌ،

وَبِدَائِعُ اللَّهِ الْقَدِيرِ كَثِيرٌ،

وقال الدكتور كنجيان: «يبدو المعرّي في كثير من أشعاره من المؤمنين بالبعث والحساب، ونجد في أماكن أخرى ينكره، ويعتبر اليمان بالبعث والنشور ضرباً من السفاهة، وهو في حالة الإبهان بالبعث يرفض المعاد الجسماني».^{١٧٤}
والرفض بالمعاد الجسماني هو من معتقدات إخوان الصفا لكن النشأة لهذه الفكرة من الفلسفة اليونانية.

^{١٧٠}) سقط الزند: ص ٣٠.

^{١٧١}) سقط الزند، ص ٥٤، الهمدون: المليون، الرجام: القبور والمراد هنا: يوم البحث والنشور.

^{١٧٢}) سقط الزند، ص ٤٨، نبذت: القيت، طرحت أو اعطيت للفقيد الذي يرثيه، رضوان: خازن الجنة من الملائكة، للاحتاف: أي لاعطائه من تحف الجنة، يقال: اتحف فلاناً: اعطاه تحفة: أي طرفة.

^{١٧٣}) اللزوميات: ج ١، ص ٣٧٩، اصحاب: الوضوح، المحار: الصدف، محار: الرجوع، يخور: يضعف، يحار: يصبح حيراً.

^{١٧٤}) مصادر ثقافة أبي العلاء: م. س، ص ٢١٨.

المبحث الخامس

موقف أبي العلاء من المذهب الفاطمي

قد تكلمنا عن علاقة أبي العلاء بإخوان الصفا، وهم فريق من العلماء، وعلى قوى الظن هم من الإماماعيليين، وكانوا يدرّسون الإماماعيليين رسائل إخوان الصفا بجامعهم «الأزهر الفاطمي»؛ وقلنا إن مارون عبود في سبيل إثبات هذا الرأي.
فيقول حول زهد أبي العلاء: «إن طلائع هذا الزهد العلائي قد بدت مع المعز، جد الحاكم. فتخلى عن الكروبي مدة سنة لابنه العزيز بالله ، ثم نما هذا الزهد واستفحلا أمره مع الحاكم قبل «الغيبة» بقليل. أما أبو العلاء فتنسّك وسأل الإخوان أن يكونوا له شيعة في طريقه، فوضع لهم في «اللزوميات» الأصول والمبادئ الزهدية وما قربت ساعته، خاطبهم بقوله:

[الوافر]

أزوُلُ، وليسَ فِي الْخَلَاقِ شُكْرٌ
فَلَا تَبْكُوا عَلَيَّ، وَلَا تُبَكِّرُوا
خُذُوا سَيِّرِي، فَهُنَّ لَكُمْ صَلَاحٌ

وَصَلَوَا فِي حَيَاتِكُمْ، وَزَكَرُوا^{١٧٥}

ومن كلماتهم المأثورة: «من يبك على رأس ميت، فكأنه يحارب الله ». وإنّي لأرى أبي العلاء يلمح بقوله: «فلا تبكون علي ولا تبكيوا^{١٧٦}» إلى النبي الكريم لأنّه بكى واستبكي، ومن قرأ رسالتى المعرى إلى داعي الدعاة يرى ترجيحاً لظننا هذا^{١٧٧}.
فكرة سيادة العقل عند أبي العلاء وإخوان الصفا (الفاطميين) كلّيهما موجودة؛ فيقول مارون عبود: «أما العقل الفاطمي فهو: الله معلم العلة الأولى التي هي العقل، والعقل هو مبدع الكون ومدبّره، فالخالق منزه مستريح». والعقل الإنساني عندهم نوعان: جسماني وروحي: فالجسماني هو العقل المعلوم والروحاني هو عقل أرسطو، الجسماني فعال ومنفعل وبتأثير وبيؤثر، وهو يهتم العقل الروحي في فضائله وأعماله الحسنة.

و(الصدق) رأس اليمان وهو يمثل العقل، أما الشيطان فيتمثل الكذب»^{١٧٨}.

^{١٧٥}) اللزوميات، ج ٢، ص ٢٢٢ .

^{١٧٦}) عبود، مارون. أبو العلاء المعرى زوبعة الدهور ، ص ١٧٦ .

^{١٧٧}) مارون عبود، زوبعة الدهور ، ص ١٨١ .

يرى عبّود أنّ تعرّف أبي العلاء بالفاطميين كان منذ طفولته، وأثبتت علاقة الفاطميين بوالد أبي العلاء أيضاً، فيواصل الفاطميون هذه العلاقة بأبي العلاء، وعندما يأتون إليه لدعوه يجدهونه عالماً، يقدر أن يصل إلى مرتبتهم التاسعة دفعة دون طي المراحل السابقة وهي مرتبتهم الأعلى في الدعوة.

بالنظر إلى مدح أبي العلاء العلوين في عدة قصائده من سقط الزند، وأشعاره الأخرى، يقوى الظنّ في ميله إلى الفاطميين. من قصائده: مدح رجلاً من العلوين اسمه محمد:

[الكامل]

لِيَتِ التَّحْمُلَ عَنْ ذَرَاكَ حُلُولٌ
وَالسَّيَرَ عَنْ حَلَبٍ إِلَيْكَ رَحِيلٌ
هُدِيَ الأنَامُ، وَنَزَّلَ التَّنْزِيلُ
قُلْنَا: مَحْمُدٌ، مِنْ أَبِيهِ، بَدِيلٌ
^{١٧٩}
يا ابْنَ الَّذِي بِلِسَانِهِ وَبِيَانِهِ
لَوْلَا انْقِطَاعُ الْوَحْيِ، بَعْدَ مُحَمَّدٍ،
وَفِي قصيدة أخرى:

[الطوبل]

عَظِيمٌ، لَعْمَرِي، أَنْ يُلْمِمَ عَظِيمٌ
وَلِكِتَهُمْ أَهْلُ الْحَفَاظِ وَالْعُلَىِ،
فَهُمْ مُلْمِمَاتِ الزَّمَانِ خُصُومٌ
وأيضاً من شعره الذي جرت فيه وجوه اميل إلى التشيع، قوله:

[الخفيف]

أَحَدُ الْخَمْسَةِ، الَّذِينَ هُمُ الْأَغْرِيَ
راضٌ، فِي كُلِّ مَنْطِقٍ، وَالْمَعْانِي^{١٨١}

يرى مارون عبّود بأنّ جماعة جاءت من المعرّة إلى لبنان، حاملين مذهب أبي العلاء (الفاطمي)، فيقول: «إذا شبّهنا المذهب الفاطمي بالكرة، كان المعرّي قطّها الشمالي، والسيد عبدالله قطّبها الجنوبي. وإذا تكلّمنا بلغة الباطنين، كان المعرّي جناحها الأيمن والسيد عبدالله جناحها الأيسر. والأمير السيد صاحب المقام الشهير - في عبيه، لبنان - هم ابن عم المعرّي الحكيم الخالد. جاء التنوخيون من معرّة النعمان، [والد روز يسمّونها معرّة الإخوان] جاؤوا الشوف يحملون معهم المذهب، فحلّوا بين إخوان لهم وساهموا في محاربة الحملة الصليبية وصدّها عن الشغور، فنالوا حظوة عند السلاطين وحكموا إقليماً خطيراً من لبنان؛ كانوا باطنين نحلة فصاروا فاطميين مذهبًا. وقد عزّزوا هذا المذهب

^{١٧٩} سقط الزند، ص ١٣٨ . محمد الأول: النبي صلى الله عليه وسلم ، محمد الثاني: اسم الممدوح.

^{١٨٠} سقط الزند، ص ١١٥ ، أهل الحفاظ: المدافعون عن اعتراضهم، ملمات الزمان: مصائبه.

^{١٨١} سقط الزند، ص ٩٤ .

في الشوف، حيث لا تزال لهم آثار خالدة وذكريات طيبة. والأمير السيد عبدالله هو أكبر الطائفة الدرزية^{١٨٣}، ومصلح «المذهب» ومنظم أصوله وقواعده^{١٨٤}. ويقول في آخر الكتاب: «إذا لم تشاووا أن يكون المعري فاطمياً، قلنا لكم أنَّ الفاطميين علائيون. فشيخ المعرة لم يقل الشعر حباً بالنظم، كما ظننتم، ولكنَّه يؤيد مذهبَاً ويضع أصول طريقة في شعره، وهو أبعد أثراً في الحكمة والدين منه في الشعر والأدب^{١٨٥}.

إذا تعمقنا في قضية سيادة العقل وجعل العقل إماماً عند المعري، ومن جانب آخر نلقي النظر على آراء الفاطميين (جماعة إخوان الصفا) يمكننا حلُّ بعض العقد.

إخوان الصفا - كما مرَّ بنا - يحاولون في التقريب بين الفلسفة والدين، بمعنى آخر يحاولون في صناعة دين مبني على أسس العقلية والمنطقية الذي يقبله العقل. هذا الكلام لا يعني أنهم لا يقبلون بالدين، بل إنَّهم يريدون ديناً إماماً العقل؛ فليس من الغريب أنَّ أبا العلاء يخالف المذاهب الموجودة والأديان وكتبه المحرفة التي لا يقبلها العقل، ويررون أنَّ الأنبياء النطقاء أصحاب الشرائع إماماً هم لسياسة العامة، وأنَّ الفلاسفة هم أنبياء حكمة الخاصة. والوصول إلى مرتبة النبوة شيءٌ يحصل بعد طي المراتب لكل إنسان عادي.

إخوان الصفا حاولوا في توحيد الأديان؛ في نظرتهم هدف الأديان واحدٌ والواجب استخراج هذه الحقيقة والعمل بها. ففي رأيهم جميع المذاهب مصنوع ذهن البشر لكنَّ إذا يتبع الإنسان عقله فيسهل عليه الوصول إلى هذه الحقيقة.

فيقول أبو العلاء:

[الكامل]

والعقلُ يعجبُ، والشَّرائِعُ كُلُّها

^{١٨٥} خَبَرٌ يُقْلَدُ لَمْ يَقْسُمْ قَائِسٌ

ففي هذا البيت أبو العلاء يشير بأنَّ الناس أخذوا غشاءً من الأديان، ولم يهتموا بالمغزى والحال أنَّ الحقيقة في هذا المغزى الذي لم يهتموا به، والسبب أنَّهم مارجعوا إلى العقول. أشرنا إلى بعض المشابهات بين أفكار أبي العلاء والفاطميين (إخوان الصفا). فالكلام كان على قدر طاقتنا ويتطلب الغور الأكثر، فننتهي به.

^{١٨٢}) فرقة اسسها الداعيان: محمد الدرزي وحمزة بن علي بن أحمد في أيام الخليفة الفاطمي الحاكم وانتشرت في سوريا، استوطن الدروز لبنان منذ أواخر قرن ١٢ (وادي التيم).

^{١٨٣}) مارون عبود، زوبعة الدهور، ص ١٨٦.

^{١٨٤}) مارون عبود، زوبعة الدهور، ص ١٩٨.

^{١٨٥}) اللزوميات: ج ٢، ص ٥٥٧.

المبحث السادس

موقف أبي العلاء من المذاهب الأخرى

(الإسلامية وغيرها)

بعد أن افترقت كلمة المسلمين في السياسة، تشعبت آراؤهم في الدين وتعددت بذلك الفرق؛ وصدق قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح، رواه أبو داود، والترمذى، والنمسائى، وأبى ماجة، والحاكم وهو: «افتربت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وتفربت النصارى على اثننتين وسبعين فرقة، وتفربت أمتى على ثلاث وسبعين فرقة». وجاء في رواية: «كلها في النار إلا واحدة هي ما أنا عليه اليوم وأصحابي» وقد اختلفت في أصول هذه الفرق. وليس من غرضنا ايضاح الأصول والفروع، وإستيفاء الكلام فيها، وإنما غرضنا أن نذكر الفرق التي تصدى أبو العلاء في كلامه إلى ذكرها، أو انتقادها في بعض آرائه. من هذه الفرق:

أ- الفرق المسلمة:

١- المعتزلة

يخالف أبو العلاء المعتزلة في كثير من آرائهم، وإن كان يوافقهم في الاعتماد على العقل وبسط آرائه في هذا المجال يحتاج إلى إطالة، فنكتفي بإيراد آرائه فيهم، وفي اعتقادهم.

قال في «اللزوميات»:

[الطوبل]

أقول له: في اللفظ دينك أجزل
وَمُعْتَزِلٌ لَمْ أَوْافِهُ، سَاعِهً
أُرِيدُ بِهِ مِنْ جُزْلِ الظَّهِيرِ لَمْ أُرِدْ
من الجزل في الأقوال تلوى وتتجزء^{١٨٦}

ففي هذه الآيات قد وافقهم في ظاهر الأمر بالتلعب بالألفاظ، قصده من الخzel هو النقص، ومن تلوى: التحريف، فإذا فلما رأى أن دين المعتزلي ناقص.

وقال في مكان آخر:

[الوافر]

^{١٨٦}) اللزوميات: ج ٢، ص ١٩٥، وجزلة ظهر الجمل: هبوط سنته من الهزال والجزل في القول: مтанته وقوتها بناته.

إِلَهٌ قَادِرٌ، وَعَبِيدُ سُوءٍ،
وَجَبْرٌ فِي الْمَذَاهِبِ وَاعْتِزَالٌ

وَبِالْكَذِبِ اُنْسَرِي وَضُحْ وَلَيلٌ،

وَلَمْ تَزِلِ الْخُطُوبُ وَلَا تَزَالُ^{١٨٧}

أي: أن الكذب على لسان الفريقين (الجبرية والمعتزلة) سرى في الحق والباطل وجلب على الناس المهالك .
وقال أيضاً :

[مزوجة الكامل]

أَرْجُوا، أَوْ اعْتَزلوا، فَإِنَّ

ي عن مَقَامِكُمْ بِهَعْزِلٍ^{١٨٨}

أي: كونوا من المرجنة أو المعتزلة فأنا لا أافقكم .
ومثل قوله :

[البسيط]

فَإِنْ جَنَّةً عَدْنٌ لَا يُجَادُ بِهَا

إِلَّا لِصَاحِبِ دِينِ، فِي أَدْيَى عُدُنِا^{١٨٩}

شعر بظاهر هذا البيت أنه يقول بوجوب الثواب والعقاب ، كما هو مذهب المعتزلة .

٢ - الشيعة

«هم طائفة من المسلمين شایعوا علياً عليه السلام ، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصاية ، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده وإن خرجت بظلم يكون من غيره ، أو بتقىة من عنده . وهم فرق: يميل بعضهم في الأصول على الإعتزال وبعضهم إلى السنة وبعضهم إلى التشبيه على ما قاله في «الملل والنحل». فمنهم: الكنسانية، والإمامية، والإسماعيلية، وهم الباطنية، ولهم ألقاب كثيرة .

في العراق يسمون الباطنية، والقرامطة، والمزدكية . وبخراسان: التعليمية، والملحدة؛ وهم

يقولون: نحن إسماعيلية .(الملل والنحل : ج ٢، ص ٢٩)^{١٩٠}.

وقد ذكر أبو العلاء طائفة منهم، وروى طرفاً من أخبارهم وعقائدهم في «رسالة الغفران» و«اللزوميات». فنأتي ببعضها من «اللزوميات»:

ينكر أن يكون قبر الإمام بکوفة أي: الكوفة، حيث يقول:

[الطویل]

^{١٨٧}) اللزوميات، ج ٢ ص ١٩٨ .

^{١٨٨}) اللزوميات، ج ٢ ص ١٩٨ .

^{١٨٩}) اللزوميات، ج ٢ ص ٢٦٥ .

^{١٩٠}) الجندي: م. س، ص ١٤٤٣ .

وما صَحَّ لِلمرءِ المُحْصَلٌ أَنْهُ

بِكُوفَانَ قَبْرٍ، لِلإِمَامِ، يُزَارٌ^{١٩١}

ويقول أيضًا:

[الكامل]

شَيْئٌ أَجَلَتْ يَوْمَ حُمًّ، وَانْتَهَتْ

أُخْرَى تُعَارِضُهَا بِيَوْمِ الْغَارِ^{١٩٢}

وقال أيضًا:

[الخفيف]

يَرْتَجِي النَّاسُ أَنْ يَقُومَ إِمَامٌ

كَذَبَ الظُّنُونَ، لَا إِمَامَ سُوِّيَ الْ

فَإِذَا مَا أَطْعَنْتَهُ جَلَبَ الْ

رَحْمَةً عَنْدَ الْمُسِيرِ وَالْإِرْسَاءِ^{١٩٣}

فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ يُخَالِفُ إِعْتِقَادُ الشِّيَعَةِ فِي ظُهُورِ إِمَامٍ، وَيُوصِي النَّاسُ بِاتِّبَاعِ الْعُقْلِ، وَيَقُولُ إِذَا أَطْعَنْتَ الْعُقْلَ فَيَأْتِيكَ بِالْخَيْرِ وَالرَّحْمَةِ.

٣- المرجنة

«طائفةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، قِيلَ: إِنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ بِلَا عَمَلٍ، كَانُوهُمْ قَدَّمُوا الْقَوْلَ وَارْجَحُوا الْعَمَلَ، أَيْ: أَخْرُوهُ . وَقِيلَ: إِنَّهُمْ كَانُوا يُؤْخِرُونَ الْعَمَلَ عَنِ النِّيَّةِ وَالْعَقْدِ، وَقِيلَ: إِنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ: لَا تُنْهَى مَعَ الْإِيمَانِ مُعْصِيَةٌ، كَمَا لَا تُنْهَى مَعَ الْكُفْرِ طَاعَةٌ . وَقِيلَ: الْإِرْجَاءُ، حُكْمُ صَاحِبِ الْكَبِيرَةِ [الذُّنُوبُ الْكَبِيرَةُ] إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلَا يَقْضِي عَلَيْهِ بِحُكْمِ مَا فِي الدُّنْيَا مِنْ كُوْنِهِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَوْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ . وَهُمْ أَصْنَافُ أَرْبَعَةٍ: مَرْجَنَةُ الْخَوَارِجِ، وَمَرْجَنَةُ الْقَدْرِيَّةِ، وَمَرْجَنَةُ الْجُبْرِيَّةِ، وَمَرْجَنَةُ الْخَالِصَةِ وَالْكَلَامِ فِيهِمْ مِبْسُوطٌ فِي كِتَابٍ (الْمُلْلَ وَالنَّحْلُ ص ٧٨)^{١٩٤} . وَقَدْ ذَكَرُهُمْ أَبُو الْعَلَاءِ وَأَشَارَ إِلَى مَذَهَبِهِمْ فِي مَوَاطِنِ الْلَّزَومِيَّاتِ .»

^{١٩١}) اللَّزَومِيَّاتُ: ج ٢، ص ٢١.

^{١٩٢}) اللَّزَومِيَّاتُ، ج ١ ص ١٦٤، وَالْمُرَادُ بِالْغَارِ هُنَا: غَارٌ فِي جَلِّ الثُّورِ مَكَّةَ آوِيَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اذ هَاجَرَ إِلَيْهِ يَثْبِتُ فَخْرَجُ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ وَقَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: هُوَ الَّذِي أَنْهَى فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْرُنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَّا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ فِي [النُّورٍ: ٤٠]، وَحُمُّ: مَوْضِعُ فِيهِ غَدِيرٍ وَعَيْنٍ وَبَعْنَهُمَا مَسْجِدُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: مَنْ كَنَّ مَوْلَاهُ فَعَلَى مَوْلَاهٍ .

^{١٩٣}) اللَّزَومِيَّاتُ، ج ١ ص ٥٤٧، الْخَرْسَاءُ: السَّحَابَةُ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا رَعْدٌ وَلَا بَرْقٌ (لَا تَسْمَعُ صَوْتَهُ) .

^{١٩٤}) الجندي: م. س، ص ١٤٥٠ .

قوله :

[البسيط]

تلاوة الناس، وافتنت ظنونهم،

^{١٩٤} وأرجأ الناشء الباغي، أو اعتزلا

أشار أن الناس وقعوا في الفتنة وصاروا ضالين، والذي لا يعقل يصير من المرجئة أو ينضم بالمعتزلة.
وقوله :

[الوافر]

وحدث الناس في هرج ومرج،

^{١٩٥} غواة بين معتزل ومرج

٤ - الرافضة :

فرقة من الشيعة في الكوفة بايعوا زيد بن علي^{١٩٦} ، وهو ممن يقول بجواز إماماة المفضول مع وجود الأفضل . ثم قالوا له : تبرأ من الشیخین فابنی ، وقال : كانا وزیری جدی . فتركوه ، ورفضوه وارضوا عنه .

وقد ذكر هم أبي العلاء بقوله :

[البسيط]

لم يثبتوا بقياس أصل دينهم

^{١٩٧} فيحكموا بين رُقاض ونصاب

١٩٨ ب - مذاهب الهند

يدل كلام أبي العلاء على إطلاعه على كثير من عقائد الهند ، ومزاعمهم ، وعاداتهم ،

^{١٩٤} اللزوميات : ج ٢ ، ص ٢٠٤ ، تلاوة : لام بعضهم بعضاً ، افتنت : أوقعت في الفتنة .

^{١٩٥} اللزوميات ، ج ١ ص ٧٨ ، معتزل : المعتزلي ، مرج : المرجئة ، غواة : ج غاوي : الصال .

^{١٩٦} ابن الحسين بن علي بن أبي طالب (٨٠-١٢٢) م : دعا إلى الثورة في عهد هشام بن عبد الملك وحدد منهاجاً لثورته ، اهم ما جاء فيه : جهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين واطعام المحرورين وقسم الفيء بين أهله بالسواء ورد المضام ، فشلت ثورته وقتل . إليه نسب المذهب الزيدية الشيعي .

^{١٩٧} اللزوميات : ج ١ ، ص ٤٨ ، فتكلم عن غي الناس بأنهم لا يعقلون في أصول دينهم فيناقشو في محامي زيد (حب علي عليه السلام وآله) أو الناصبين وهم طائفة من الغوا迨 يبغضون علي عليه السلام .

^{١٩٨} وأهمها : البراهمة : أسم الطوائف عند الهندوس يجمعون على الاعتراف بسمو ونبالة نسلها . يزعم البعض ان اصلهم الهي ولهذا احتلوا المركز الاول في النظام والطبقات الدينية ويقول الآخرون ان هذا النظام يعتمد على المهنة وان طبقه الكهنة الذين كرسوا أنفسهم للتفكير والعلم تطورت الى الطائفة البراهمية ويطلق الاسم أيضاً على الكاهن والمعلم الديني عند الهندوس ورب الكون وخالقه في معتقدهم هم «برهما» وأيضاً البوذية : ديانة أسسها «بوذا» وهو من حكماء الهند حوالي (٥٦١-٤٨٦ ق.م) هي اقرب فلسفة في الحياة الى الدين اذ لا تؤمن ياله ركبتها التجدد والزهد تخلصا من الشهوات واللام وطريقا الى الغناء التام « Nirvana » اتباعها منتشرون في التبت والهند الصينية وكوريا والتبت واليابان .

ومواضعتهم. وأشار في «اللزوميات» إلى شيءٍ من عقائدهم، وارتضى منها حرق الميت وفضله على الكافر^{١٩٨}:
[البسيط]

فاعجبْ لحريق أهل الهندِ ميَّتهمْ،
وذاك أروعْ من طول التَّاريَّح
والنَّارُ أطيَّبُ من كافورِ ميَّتنا
غَيْرَهُ، وأذهبُ للنَّكَرَاءِ والرَّيْحٍ^{١٩٩}
يرى أنَّ إحراق الميت يزول ريح الميت أكثر من الكافور.

[الوافر]

يحرقْ نفَسَهُ الْهَنْدِيُّ خَوْفًا،
ويقصُّرُ، دونَ مَا صنعَ، الْجِهَادُ
وما فعلَهُ عُبَادُ النَّصَارَى،
ولا شرعيَّةً صبَّأُوا وهاذُوا
يقرُّبُ جسمَهُ للنَّارِ عَمَدًا،
وذلك منهُ دِينٌ واجتِهادٌ^{٢٠٠}

[الطوبل]

إذا حرقَ الْهَنْدِيُّ، بالنَّارِ، نفَسَهُ،
فلم يبقَ تَحْضُّ للرَّبَابِ ولا عَظَمٌ
فهل هو خاشرٌ من ذكيٍّ ومنكِّرٍ،
وضَغْطَةٌ قَبْرٌ لا يَقُومُ لها نَظَمٌ^{٢٠١}
وَسْؤَالَهُ : إذا حرقَ الْهَنْدِيُّ نفَسَهُ بالنَّارِ فَلَا يَبْقَى مِنْهُ لَحْمٌ وَلَا عَظَمٌ، فَكَيْفَ لَهُ ضَغْطَ القَبْرِ وَسْؤَالُ
النَّكَرِ وَالْمَنْكَرِ وَلَيْسَ لَهُ جَسَدٌ وَلَا قَبْرٌ؟

^{١٩٨}) اللزوميات : ج ١ ، ص ٨٥ ، أروع : أسهل ، التَّاريَّح : المُشقة والشدة ، غبا : عاقبة .

^{١٩٩}) اللزوميات ، ج ١ ص ٩٦ ، ويقصُّر دونَ مَا صنعَ الجِهَادُ : امر ما لا يطاق ، صبئون : الصابئون هادوا : اليهود .

^{٢٠١}) اللزوميات ، ج ٢ ص ٢٢٨ ، نَحْضُ : لحم .

من المجنوس الزرادشتية، صنف يقال لهم: السيسانية، والبهافريدية، ورئيسهم يقال له: خواق، خرج أيام أبي مسلم. وكان زمزيغاً يعبد النيران، ثم ترك ذلك، ودعا المجنوس إلى ترك الزمزمة، ورفض عبادة النار، ووضع لهم كتاباً أمرهم فيه بإرسال الشعور، وحرم الأمهات والبنات والأخوات والخمر؛ وأمرهم باستقبال الشمس عند السجود على ركبة واحدة، وهوئاء يتباذلون الأموال ولا يأكلون الميطة، ولا يذبحون الحيوان حتى يهرم، ولعل أبو العلاء أشار إليهم بقوله:

[الطويل]

سألنا مجنوساً عن حقيقة دينها؛

فقالت: نعم لا ننكح الأخوات

وذلك في أصل التمجس جائزٌ.

ولكن عدّناه من الهدوات^{٢٠٣}

وقال أيضاً:

[الوافر]

بناتُ العَمِ تأباهَا النَّصَارَى،

وبالأخواتِ أعرَسَتِ المَجْنُوسُ^{٢٠٤}

فيشير في هذا البيت بأن النصارى لا يتزوج بنات عمّهم، والمجنوس يتزوج بأخواتهم. ومن المجنوس فرقة، يقال لهم: «الكيومرثية» أصحاب المقدم الأول «كيومرث»، وهوئاء أثبتوا أصلين: يزدان وأهرمن؛ فطبيعة يزدان هي النور وطبيعة أهرمن الظلم. وقد أشار أبو العلاء إلى قول الكيومرثية بقوله:

[السريع]

قالُ أَنَاسٌ : باطلٌ زَعْمُهُمْ :

فراقبُوا اللَّهُ وَلَا تَزَعْمُنْ

فَكَرَّ يَزْدَانُ ، عَلَى غِرَةٍ ،

فصيغَ مِنْ تَفْكِيرِهِ أَهْرُونْ^{٢٠٥}

^{٢٠٢}) أمة يبعدون الشمس أو النار وربما أطلق «المجنوس» على الساحر والحكيم والfilisوف والكلمة معربة عن: «ميغ كوش» بالفارسية ومعناها صغير الأذنين والمجنوسية كانت من ديانات الإيرانيين.

^{٢٠٣}) اللزوميات : ج ٢ ، ص ٦٦ ، الهدوات : ج الھفوۃ : الزلة .

^{٢٠٤}) اللزوميات ، ج ٢ ص ٢٩٤ .

^{٢٠٥}) اللزوميات ، ج ٢ ص ٢٨٥ ، وفي هذين البيتين إشارة إلى عقيدة الكيومرثيين فيقولون أن يزدان فكر في نفسه انه

المبحث السابع المتاجرة بالدين

قد سئم المعرّي تلاعب رجال الدين بعقول الناس واستخفافهم بها .
قال المعرّي :

[الطوبل]

أَفِيقُوا أَفِيقُوا يَا غُوَادٌ! إِنَّمَا
دِيَانَاتُكُمْ مَكْرٌ مِّنَ الْقَدَماءِ
أَرَادُوا بِهَا جَمْعَ الْحُطَامَ فَأَدْرَكُوا
وَبَادُوا وَمَا تُثْسِنُ اللَّوَمَاءِ^{٢٠٦}

فيخاطب الناس ويقول : انتهوا بغيكم فدياناتكم مكر القدماء الذين أرادوا بها جمع المال .
فهلوكوا وستهم لا تزال باقة .
وفي موضع آخر يعد المذاهب وسيلة معيشهم ، فيقول :

[الخفيف]

إِنَّمَا هَذِهِ الْمَذَاهِبُ أَسْبَا
بُ لِجَذِبِ الدُّنْيَا إِلَى الرَّؤْسَاءِ^{٢٠٧}

[البسيط]

وقال في موضع آخر مكرراً نفس المعنى :

فَاسْمَعْ كَلَامِيْ ، وَحاوَلْ أَنْ تَعِيشَ بِهِ ،
اسْتَغْفِرِ اللَّهِ ، وَاتْرُكْ مَا حَكِيَ لَهُمْ
فَالَّذِينَ قَدْ حَسَنُ ، حَتَّى صَارَ أَشْرَفُهُ

[البسيط]

وقال محذراً من احتيال بعضهم على الآخرين باسم الدين :

وَلَا تَطِيعُنَّ قَوْمًا ، مَا دِيَانَتُهُمْ

إِلَّا احْتِيَالٌ عَلَى أَخْذِ الْإِتاَواتِ

لو كان لي منازع كيف يكون وهذه الفكرة ردية، فحدث الظالم من هذه الفكرة وسمى أهرومن.

^{٢٠٨}) اللزوميات، ج ١ ص ٦٣ .

^{٢٠٩}) اللزوميات، ج ١ ص ٦٤ .

^{٢٠٨}) اللزوميات، ج ١ ص ١٣١ ، أبو الهذيل من مشاهير المعتزلة وهو محمد بن الهذيل العلاف شيخ المعتزلة ومقدمهم ومقرر طريقتهم والمناظر عليها اخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل عن واصل بن عطاء، وابن كلاب هو عبدالله بن محمد بن كلاب القطان توفي بعد سنة ٢٥٠ من الهجرة، خس: انحطط .

وإنما حملَ التوراةَ قارئها

٢١٠ كسبُ الفوائدِ، لا حبُّ التلواتِ

وقال عن الفقهاء وكتبهم واختلافهم في تأويل الأحاديث^{٢١١} :

[الوافر]

هي الدنيا، على ما نحن فيه،

معاشٌ يُمْتَرِى، ودمٌ يُتَجَّعَ

ليالي ما يمكّن من مقام،

ولا بيتٌ، بأبطحها، يحيّجَ

وما فَيْئَتْ وُلَادُ الأمر فيها

٢١٢ على الصفراء، تُصرُفُ أو تَشَحَّجَ

وقال في مكان آخر عن توارث الدين من الآباء:

[البسيط]

وأورثوا الدين تقليداً، كما وَجَدُوا

عاشوا، كما عاش آباء لهم سَافَوا،

٢١٣ ولا يُبَالُونَ، من غَيِّرِهِ، مَن سَجَدَوا

فما يُرَاوِونَ ما قالوا، وما سمعوا؛

وأيضاً قال في المتاجرة بالدين:

بِهِمْ، فَمُطْلِقُ مَعْشِرٍ، وَمَقِيدٍ

والنَّاسُ كَالْأَشْعَارِ يَنْطِقُ دَهْرُهُمْ

لَا يَكْنِبُوا، مَا فِي الْبَرِّيَّةِ جَيْدٌ

قَالُوا: فَلَانْ جَيْدٌ لصَدِيقِهِ،

٢١٤ وَتَقِيْهِمُ، بِصَلَاتِهِ، مَتَصِيدٍ

فَأَمِيرُهُمْ ذَالِّ إِمَارَةً بِالْخَنِيِّ،

وقوله المطلق والمقييد، إشارة إلى القوافي المطلقة والمقيدة في الشعر، إذ أنَّ القوافي إنما أن تكون مطلقة أو مقيدة.

فالمطلق من القوافي ما كان موصولاً، أو محزكاً، وهو على ستة أضرب: المطلق المجرد، والمطلق بخروج، والمطلق بردف وخروج، والمطلق المؤسس، والمطلق

٢١٠) اللزوميات، ج ١ ص ١٨٦ .

٢١١) التأويل من الاول أي الرجوع الى الاصل ومنه المؤثر للموضع الذي يرجع اليه وذلك هو رد الشيء إلى الغاية المراده منه عملاً كان أو فعلًا، ففي العلم، نحو: (و ما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم) وفي الفعل كقول الشاعر: وللنوي قبل يوم البين تأويل، وقوله تعالى: (هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله) أي بيانه الذي هو غايتها المقصودة منه (راغب الأصفهاني: المفردات، ص ٢٧).

٢١٢) اللزوميات: ج ١، ص ٢١٢، دم يتجه: يسفك، معاش يمترى: رزق يطلب، الاباطح: ضواحي مكة، الصفراء: خمر العنبر الأبيض، تصرف: شرب صرفاً، تشنج: ممزوج بالماء.

٢١٣) اللزوميات، ج ١ ص ٢٦١ .

٢١٤) اللزوميات، ج ١ ص ٢٧٧، الخني: الخيانة.

بتأسيس وخروج . ومعظم الشعر العربي، مطلق القافية .
أما المقيد من القوافي، فهو ما كان غير موصول أو متتحرك وهو على ثلاثة أوجه : المقيد المجرد ، والمقيد المردف ، والمقيد المؤسس .
ومثال القافية المطلقة :

[الطويل]

حمدُ إلَيْي بعْدَ عُرْوَةَ إِذْ نَجَا^{٢١٥}
خَرَّاً، وَبَعْضُ الشَّرِّ أَهُونُ مِنْ بَعْضٍ
كَمَا ذَكَرْنَا، فَإِنْ مُعَظَّمُ الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ، مَطْلُقُ الْقَافِيَّةِ .
أَمَا الْمُقِيَّدَةُ فَمُثُلُّ :

[مجزوء الكامل]

نَهِيَّةُ دُمُوعَكَ إِنْ مَنْ^{٢١٦}
يَعْتَرُّ بِالْحِدْثَانِ عَاجِزٌ
وَقَالَ عَنْ اضْمَحْلَالِ الدِّينِ فِي الْمَجَمِعِ، وَتَلَاعِبُ النَّاسَ بِالشَّرَائِعِ :

[مخلع البسيط]

قَدْ أَصْبَحَ الدِّينُ مَضْمَحَلًا،
وَغَيْرُتْ آيَةُ الدَّهْوَرِ
فَلَا زَكَاةُ، وَلَا صِيَامُ،
وَلَا صَلَاةُ، وَلَا طَهُورٌ
وَاعْتَاضَ، حَلَّ النِّكَاحُ، قَوْمٌ^{٢١٧}
بِنْسُوَّةٍ، مَا لَهَا مُهُورٌ

ويصف رجال الدين ، والقراء المتراثين ، فيقول :

[البسيط]

فَلَا يَعْرِنُكَ مِنْ قُرَائِنَا زُمْرٌ،
يُقَامِرُونَ بِهَا أَوْتُوهُ مِنْ حِكْمٍ،
بُيُّدِي التَّدِينَ، مُحتَالًا، ضَمَائِرُهُ
يَشِدُّو مَزَامِيرَ دَاؤِدٍ، وَيَفْضُلُهُ،
يَتَلَوَّنَ، فِي الظُّلْمِ، الْفُرْقَانَ وَالرُّمَرا
وَصَاحِبُ الظُّلْمِ مَقْمُورٌ إِذَا قَمَرَا
غَيْرُ الْجَمِيلِ، إِذَا مَا جَسْمُهُ ضَمَرَا^{٢١٨}
فِي النُّسُكِ، نَافِخُ مَزْمَارٍ لَهُ زَمَرَا

لقد كره المعري متاجرة الناس بالدين ، فهو ينصحهم ويحثّهم على فعل الخير ما

^{٢١٥}) البيت لأبي خراش الهذلي في ديوان الحماسة ، ولصفي الدين الحلي في ديوانه .

^{٢١٦}) البيت لعبد بن الأبرص في العين (نجز) .

^{٢١٧}) اللزوميات : ج ١ ، ص ٣٦٥ ، اعتراض : سأل العوض .

^{٢١٨}) اللزوميات ، ج ١ ص ٤١٠ يقامرون : يراهنون ، مقمور اذا قمرا : أي : الظالم خاسر مهما ربح في رهانه ، يشد ومزامير : أي يرقل مزامير داؤود وأقرب منه إلى التقى النافخ في المزمار أيًا كان .

استطاعوا إليه سبيلاً، ويرى أنَّ لا زاهد حقاً في الأرض، فيقول:

[الطوبل]

عليك بفعلِ الخيرِ، لو لم يكن لهُ،

من الفضلِ، إلَّا حُسْنُهُ في المسامعِ

لعمْرِكَ! ما في عالمِ الأرضِ زاهدٌ

^{٢١٩} يقيناً، ولا الرهبانُ أهلُ الصوامعِ

ويصف المعرّي خطيباً يقصد المنابر ويتحدث عن أحوال القيامة للناس وهو غير مؤمن بها، ويشير المعرّي بأسلوبه الخاص إلى رأيه في القيامة، وما يعتقده من حشر النفوس لا الأجساد، فيقول:

[الكاممل]

طَلَبَ الخَسَائِسَ، وارتقى فِي مِنْبَرٍ،

وَيَكُونُ غَيْرَ مُصَدِّقٍ بِقِيَامَةٍ،

وَوَجَدْتُ لِيلَ الْغَيْ، أَبْسَ مُرَدَّهَا

لَوْ قَامَ أَمَوَاتُ الْعَوَاصِمِ، وَحَدَّهَا،

فَخُذْ الَّذِي قَالَ التَّبِيَّبُ، وَعَشْ بِهِ،

ويقول أيضاً:

[الوافر]

رُوَيْدَكَ قَدْ غَرَّتْ، وَأَنْتَ حُرُّ،

يَحْرُمُ فِيكُمُ الصَّهَباءَ صُبْحًا،

^{٢٢٠} وَيَشْرُبُهَا، عَلَى عَمْدٍ، مَسَاءً

الخاتمة

أكثر المعرّي من الإشارات الدينية، فيما يختص بالعقيدة والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي والأديان الأخرى، في ثنایا ديوان «لزوم ما لا يلزم»، ويعده الذين من أهم المصادر التي استمد منها مادة ديوانه؛ ويمكن أن نقول من غير أن نغالي أنَّ الجزء الأكبر من هذا الديوان يتناول الدين بصورة مباشرة، أو غير مباشرة.

^{٢١٩}) اللزوميات، ج ٢، ص ٤٨٠.

^{٢٢٠}) اللزوميات، ج ٢، ص ٥٩٤، فيوضح بأنَّ الذي يتكلم عن يوم الحساب ويحذف الناس فنفشه لا يصدقه ويشير إلى الأجساد ويقول، إذا صحت هذه الامر (حشر الأجساد في القيامة) سكان، عواصم البلاد دون الآخرين يملؤون كل الممكنة.

^{٢٢١}) اللزوميات، ج ١، ص ٦، الصهباء: نوع من الخمر.

لم يخصّ المعرّي دينًا واحدًا باهتمامه، فقد ذكر جميع الأديان التي سمع بها حيث تناول الدين الإسلامي ومحنته، وأسهب في ذلك وذكر الفرق الإسلامية المختلفة؛ سنة وشيعة، وأملاك الفكرة الإسلامية كالمدرجة والمتعلقة، وغيرها من هذه المدارس الفكرية كما أنه ذكر الأنبياء عليهم السلام وتحدث بإسهاب عن البعث والنشور ويوم الحساب وضمن أبياته، الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة.

وقد كان كثير الإطلاع، واسع الثقافة في هذا المجال، ولو حاولنا حصر جميع إشاراته الدينية في هذا الديوان لصعب علينا الأمر إنما قلما تخلو قصيدة من مثل هذه الإشارات.

أما رجال الدين فقد أخذوا بنصيб وافر في الديوان، فقد كان المعرّي سيء الطن بهم، يكرههم ولا يرى فيهم خيراً إذ يطلبون في رأيه غرض الدنيا، ويجدون في المذاهب والأديان أسباباً لجز المال العرام، ويرى أن الأديان سبب إثارة الفتن والعدوان بين أصحابها، وأن الشريعة هي التي أباحت أعراض النساء في قوم الرجال قوم آخرين، يقول:

[البسيط]

إِنَّ الشَّرَاعَةَ أَلْقَتْ بَيْنَا إِحْنَأً
وَأُودِعْتَنَا أَفَانِينَ الْعَدَاوَاتِ

وَهُلْ أَبِيحتْ نِسَاءُ الْقَوْمِ عَنْ عُرُوضِ

للْغُرْبِ إِلَّا بِالْحُكَمِ النَّبُوَاتِ؟^{٢٣١}

ويحمل المعرّي حملة شعواء على الوعاظ المنافقين، الذين ينكرون على الناس شرب الخمر صباحاً، ويشربونها على عمد مساءً:

[الوافر]

رُوَيْدَكَ قَدْ غُرِّرْتَ، وَأَنْتَ حُرُّ،
يَحْرِمُ فِيكُمُ الصَّهَباءَ صُبْحًا،
بِصَاحِبِ حِيلَةٍ يَعْظِمُ النِّسَاءَ

وَيَشْرِبُهَا، عَلَى عَمْدٍ، مَسَاءً^{٢٣٢}

كما يرى أن تارك الصلاة، خير من يروم كيد الناس بصلاته:

[الطوبل]

إِذَا رَامَ كِيدًا، بِالصَّلَاةِ، مُقِيمُهَا

فَتَارِكُهَا، عَمْدًا، إِلَى اللَّهِ أَقْرَبُ^{٢٣٣}

ويرى أن أصحاب الأديان لم يتقيدوا بأوامر دينهم؛ فالمسلمون لم يسلموا من الشر، واليهود لم يتوبوا من الذنوب، والنصارى لم ينصروا دينهم. وبينادي المعرّي بأن الدين الصحيح هو إنصاف الناس جمِيعاً، واتباع الحق وأنَّ الخير نبذ الشر، وتطهير الصدور من الغُلُّ والحسد، ويرى أن ظلم درهم أشد عقاباً من إضاغة صلاة أو فطر يوم:

[الطوبل]

^{٢٣١}) اللزوميات : ج ١ م . س ، ص ١٨٦ ، الإحن : العداوة .

^{٢٣٢}) اللزوميات ، ج ١ ص ٦ ، الصهباء : الخمر سميت بلونها .

^{٢٣٣}) اللزوميات ، ج ١ ص ٨١ ، رام : أراد .

أشد عقاباً من صلةٍ أضعتها

^{٢٣٥} وصوم ل يومٍ واجبٍ، ظلمٌ درهم

فلا يرى توفيقاً للأنبياء في دعوتهم، ويعتقد بتحريف الأديان، بعد موت الأنبياء.
يختار المعرّي طريق التعلّق، ويجعل العقل «نبيه» في هذا الطريق ويفعل كلما أمر العقل العقل
به، هو مؤمن بالله دون شك ويرى بأن الدين هو الامان بالله والتقوى والأخلاق الحسنة.
تكلمنا عن بعض المشابهات بين آراء أبي العلاء وجماعة إخوان الصفا، كسيادة العقل.
وقد ذكر صاحب «ذكرى أبي العلاء» (ص ١٧٩) و«تجديده» (ص ١٥٠) أنَّ أبي العلاء كان يحضر
المجمع الخاص الفلسفـي الذي كان يتألـف يوم الجمعة بدار «عبدالسلام البصري»، وفيه يقول من
قصيدة بعث بها إليه :

[الطوبل]

تهيج أشواقـي عـروبةـ، أنهاـ

^{٢٣٦} إليك زـوـتـيـ عنـ حـضـورـ بمـجـمـعـ

ثم قال: (و هذا المجمع السري الذي أسماه، «إخوان الصفا» لشيوخ هذا اللفظ بين المسلمين في
ذلك العصر، ودلاته الخاصة على جماعة فلسفـية تشتـركـ فيـ الأـغـرـاضـ وـالـأـرـاءـ، وـذـكـرـ حـيـثـ يـقـولـ منـ
أـبـيـاتـ ثـلـاثـةـ :

[الكامل]

كم بـلـدـةـ فـارـقـهـاـ وـمـعاـشـرـ،

يـدـرـوـنـ، منـ أـسـفـيـ عـلـيـ، دـمـوعـاـ

وـإـذـاـ أـضـاعـتـنـيـ الـخـطـوبـ، فـلـنـ أـرـىـ،

لـوـدـادـ إـخـوـانـ الصـفـاءـ، مـضـيـعاـ

خـالـلـتـ تـؤـدـيـ الـأـصـادـيقـ لـلـتـوـيـ،

^{٢٣٧} فـمـتـىـ أـوـدـعـ خـلـيـ التـؤـدـيـعاـ؟

وتكلـمـ «ـطـهـ حـسـيـنـ»ـ عنـ هـذـهـ الـعـلـاقـةـ فيـ كـتـابـ آخرـ وـهـوـ «ـرسـائـلـ إـخـوـانـ الصـفـاءـ»ـ.

)^{٢٣٥} اللزوميات، ج ٢ ص ٣٢٩.

)^{٢٣٦} سقط الزند، ص ١٦٣.

)^{٢٣٧} سقط الزند، ص ٢٣٠.

الفصل الرابع

أبو العلاء ومنهجه في الحياة

التمهيد

لو ننظره نظرة عابرة إلى الفلاسفة طول التاريخ نشاهد بأنهم قسمان: الذين يعملون كما يتفكرون، والذين لا يعملون كما يتفكرون. وأيضاً إذا نظر نظرة إلى حياة أبي العلاء أو سيرته العملية، يبدوا أنه يوحد قوله وفعله. فيعيش كما يتفكر؛ فنظر أبو العلاء إلى كل شيء في الدنيا وإلى عاقبته وإلى تصرف الدنيا برفع الوضيع ووضع الرفيع وإسعاد الجاهل، وإشقاء العاقل، وإلى غلبة خيرها على شرها؛ ونحو ذلك من الأمور التي إذا تأملها العاقل استخف بالدنيا، ونقم عليها فأبغضها وأعرض من لذاتها اللاتي لا تلبث أن تزول وتبقى تبعاتها في الدنيا والآخرة، وقد أكثر في «اللزوميات» من تحقيير شأنها والبحث على الزهد فيها، وعدم الاغترار بها، ولنرى ألواناً مختلفة من ذلك، تتمثل في مثل قوله:

[الطويل]

وكيف أقضى ساعـة بـسرة،

^{٢٣٧} وأعلم أن المـوت من غـرمـائـي

فودع جميع اللذات لا يريد زينة الحياة لا المال ولا البنين، ولم يتزوج، فهو يدعى جميع أهل الأرض على هذه السيرة، ويسرهم بالسعادة إذا طرقوا هذا الطريق، وفي هذا الطريق إعتماده على العقل. هذا الإعتماد على العقل صار فيما بعد سمة رئيسية لعصر النهضة في أوروبا الذي كان تشتمل على القرنين الخامس عشر والسادس عشر من الميلاد.

لكن قل من شأن العقل شيئاً فشيئاً، وانحط على المكان الثاني بعد الإرادة في الفلسفة الوجودية. هناك مشابهات بين رؤية المعرّي و«شوبيهور» الفيلسوف الوجودي، وأعجبني الكلام عنها في هذا الفصل؛ وأيضاً كلمنا عن «أبيكور» الفيلسوف اليوناني الذي سيرته تشبه سيرة المعرّي في كثير من التواهي، مع أنه تبدل فلسفته إلى فلسفة أخرى في عصرنا التي أطلق عليها اسم «مذهب المفعنة» التي تبنّاه الفيلسوف «جرمي بنتام» و«جون استيوارت ميل»؛ وليس سوي نسخة معدلة من الأبيقرورية.

فاللذة عند بنتام هي الخير الوحيد، والألم هو الشر الأوحد». فهما يشتراكان مع أبيكور في القول، بأن السعادة هي الخير بالذات والسعادة ليست سوى اللذة.

كما نتكلّم أيضاً في نهاية الفصل عن آراء محبي ومبغضي أبي العلاء فيه.

^{٢٣٧}) اللزوميات، ج ١ ص ٢٦.

المبحث الأول

زهد أبي العلاء من خلال "اللزوميات"

الزهد في اللغة: ترك الشيء والإعراض عنه. وفي «اللسان»، الزهد: ضد الرغبة والحرص على الدنيا؛ وأما عند العلماء والمتصوفة فقد اختلفت كلمتهم فيه بسبب أحوالهم ومقاماتهم على أكثر من أربعين قولًا، فقيل: الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس، لأن لقاءهم من الدنيا وهو مرغوب فيه. وقيل: الزهد في الدنيا هو الزهد في الجوف، بقدر ما تملك من بطنك تملك من الدنيا، وقيل: الزهد في الدنيا أن تتغصن أهلها وتبعض ما فيها. وقيل: هو قصر الأمل. وقيل: هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال. وقيل: هو أن لا تفرح بوجود من الدنيا ولا تأسف على مفقود. وقيل: هو بغض المحمدة، وقيل ...

وإذا تصفحنا أقوال أبي العلاء في الزهد، تبين لنا أنه زاهد على كل الأقوال. فإن مثل قوله:

[البسيط]

بُعْدِي مِنَ النَّاسِ بِرُءَّةٍ مِنْ سَقَامِهِمْ،

^{٢٢٨} وَقَرْبُهُمْ، لِلْحِجْجِيِّ وَالدِّينِ أَدْوَاءٌ

وقال:

[الطويل]

طهارَةٌ مثليٌ فِي التَّبَاعُدِ عَنْكُمْ

^{٢٢٩} وَقُرْبُكُمْ يَجْنِي هُمُومِي وَأَذْنَاسِي

وقال:

[الطويل]

وَخَيْرُ بَلَادِ اللَّهِ مَا كَانَ خَالِيًّا

^{٢٣٠} مِنِ الْإِنْسِ، فَاسْكُنْ فِي الْقَفَارِ الْبَسَابِسِ

^{٢٢٨}) اللزوميات، ج ١ م . س ، ص ٢٣ ، براءة ، الحجji : العقل .

^{٢٢٩}) اللزوميات ، ج ٢ ص ٢٩٨ ، أدناس : المنكر والقيبح .

^{٢٣٠}) اللزوميات : ج ٢ ص ٢٩٨ ، البسابس : البيداء المفقرة .

يُمثّل زهده في الناس وكراهيته لهم، في مثل قوله:

[البسيط]

الحمد لله قد أصبحت في دعية،

^{٢٣١} أرضي القليل ولا أهتم بالقوت

وقال:

[الطويل]

ومن لم تبيئ الخطوب، فإنّه

^{٢٣٢} سيصيبحه من حادث الدهر صابع

يُمثّل قصر أمله في الحياة:

[البسيط]

يسعى الفتى لابتغاء الرزق، مجتهداً،

ولو أقام لوافاه الذي سمحت

بالسيف والرمح فوق الطرف والجمل

^{٢٣٣} به المقاصير، من نقص ومن كمل

وقال:

[المتقارب]

ويأتي، الفتى، رزقة وادعاً،

^{٢٣٤} ولو كان في الثني عن الفدوز

يُمثّل بعض الدنيا:

[الطويل]

وما سرني أني ابن ساسان أغتندي

^{٢٣٥} على الملك، في الإيوان، أصبح أو أمسى

يُمثّل حبه لل الفقر:

[الطويل]

أخشى عذاب الله ، والله عادل،

^{٢٣٦} وقد عشت عيش المستضام المعذب

يُمثّل أنه لا يفرح بمدح أحدٍ:

[السريع]

إن مدحوني، ساءني مذحهم،

^{٢٣٧} وخلت أني، في الثرى، سُخت

^{٢٣١} اللزوميات : ج ١ ص ٦٦ ، دعية : راحة.

^{٢٣٢} اللزوميات ، ج ١ ص ٨٦ .

^{٢٣٣} اللزوميات ، ج ٢ ص ٢١٤ .

^{٢٣٤} اللزوميات ، ج ١ ص ١٧١ : الثنيق : أرفع موضع في الجبل ، والجمع آنيات ونُيوق . الفدر : الوعل العاقل في الجبل .

^{٢٣٥} اللزوميات ، ج ٢ ص ٢٩٧ .

^{٢٣٦} اللزوميات ، ج ١ ص ٤٥ ، المستضام : المظلوم .

ويقول في الطعام:

[الطويل]

فلا تأكلن ما أخرج إماء، ظالماً،
وأبيض أماتٍ، أرادت صريحة
ولا تفجعن الطير، وهي غوافلٌ،
ودع ضرب النحل، الذي بكرت له،
فما أحرزته كي يكون لغيرها،
لأنهُ لشاني، قبل شيب المسائِح^{٢٣٨}
ولا جمَعْتُه للندى والمنائح
كواسبَ منْ أزهارِ نبتٍ فوائِح
بما وضعْتُ، فالظلمُ شُرُّ القبائِح
لأطفالها، دون الغوانِي الضرائِح
وكانت قوتناً منْ غريض الذبائح
فلا تأكلن ما أخرج إماء، ظالماً،
وأبيض أماتٍ، أرادت صريحة
ولا تفجعن الطير، وهي غوافلٌ،
ودع ضرب النحل، الذي بكرت له،
فما أحرزته كي يكون لغيرها،
لأنهُ لشاني، قبل شيب المسائِح^{٢٣٨}
مسحت يدي من كل هذا، فليتنى
وينقول في قناعته:

[الكامل]

لكن أقضى مُدّي بتقتعٍ،
يغنى، وأفرج بائليسير الأروج
هذا، ولستُ أَوْدُ أني قائمٌ
بالملاكِ، في ثوبِي أغْرِ متوجٍ^{٢٣٩}

(٢٣٧) اللزوميات، ج ١ ص ٦٢ . سخت: أمعنت .
(٢٣٨) اللزوميات، ج ١ ص ٩٨ ، فيقول لا تأكل السمك الذي أخرجه البحر وظلمه باخراجه ولا تأكل الحيوان المذبوح ولا تأخذ بيض الطيور فليست للغانين ولا تأخذ عسل النحل الذي جمعه من فوائح الزهور بالصوعبة ، فلانا ودعت كل هذه حتى أجد شاني قبل مشيبي .
(٢٣٩) اللزوميات، ج ١ ص ٧٨ ، اليسيير الأروج : عادي دون التكلف ، متوج : صاحب الناج .

المبحث الثاني

المرأة في حياة أبي العلاء

إنَّ أباالعلاء وصف في كلامه المرأة التي كانت في عصره بالحالة التي كان عليها كثير من النساء في ذلك العهد، فهو وصف للحالة الواقعة والحقيقة المؤلمة، ولم يصف المرأة في الأجيال السابقة أو للأحقه. ولا وصف امرأة تصوّرها في خياله. وقد كانت المرأة في عهده كما وصف، وفوق ما وصف. وهذا التاريخ ينطبق بها وقوع، والأحوال والصفات التي ذم بها المرأة ما كانت متخيلة، وإنما كانت واقعة. وكلامه في بعض المواطن يدل على وجود امرأة صالحة في ذلك العهد تحفظ نفسها، وزوجها، وأولادها، وتقوم بخدمة زوجها، وكل ما تقوم به المرأة العفيفة، الشريفة، الحصيفة الرأي، كما يأتي في قوله قريباً.

ومن استقرى في التاريخ ما كانت تفعله الجواري، والوصائف، والسيابا، والهدايا التي عجبت بها قصور الخلفاء، والملوك، والأمراء، والوزراء، وبيوت الأغنياء، والعمال، والحوانيت، وغيرهم وما كان لهؤلاء، وللنساء الأعجميات، وللنساء المشاعات من الأثر السيء في الأخلاق، وفي تربية الأولاد، وتوجيه الأزواج إلى ما يريدن، لا ينكر على أبي العلاء أقواله في هذه الأنواع، ولا تزاهي مسرفاً إلّا إذا حمل كلامه على عامة النساء، وهذا لا يريده أبو العلاء فلأنَّ المرأة التي تتصف بما ذكره من الصفات الذميمة، داخلة في كلامه والتي استطاعت أن تظهر أخلاقها وتحتفظ بعفافها لا يتناولها كلامه. يرى المعرّي المرأة فتنة ويحذر الرجال منه. يصوّره في صورة مخوفة أحياناً، فيقول:

[المتقارب]

عَرَوْسُكَ أَفْعَى، فَهَبْ قُرْبَهَا،

^{٢٤٠} وَخَفْ مِنْ سَلِيلِكَ، فَهُوَ الْحَنْشُ

وقال:

[المنسج]

إِنَّمَا الْخَوْدُ، فِي مَسَارِبِهَا،

^{٢٤١} كَرْبَةِ السَّمِّ فِي تَسْرِبِهَا

(٢٤٠) اللزوميات : ج ٢ ، ص ٣٢٩ ، هب قربها : لا تقربها ، السليل ، الولد ، الحنش : الأفعى .

(٢٤١) اللزوميات : ج ١ ، ص ٥٣ . الْخَوْدُ : الفتاة الحسنة الخلق الشابة ما لم تصر نصفاً ؛ وقيل : الجارية الناعمة ، والجمع خَوْدَاتٍ وخُودٌ .

وجعلها أسدًا فاتكًا في مثل قوله :

[البسيط]

خدر العروس، وإن كانت محبةً

^{٢٤٣} أدهى وأفقاك من عريسة الأسد

وجعلها مضيعة للشرف في مثل قوله :

[الوافر]

ألا إن النساء حبائل غي

^{٢٤٤} بهن يضيئن الشرف التليد

وجعلها علم ضلال وفارس فتنة، في مثل قوله :

[الوافر]

فوارس فتنية، أعلام غي

^{٢٤٥} آقينك بالأساور معلمات

يرى الجندي أن إفراط المعرّي في الغيرة على المرأة، سبب سوء ظنه بها، فيقول: «كان أبو العلاء مفترطاً في الغيرة على المرأة، بقدر ما كان مفترطاً في سوء الظن بها والريبة في أمرها. لما كان يسمعه ويعلمه من حالها وحال الرجل في عصره، حتى حمله ذلك على أن يعتقد أن بعض الفروض الدينية لا تجب عليها وبعض السنن لا تطلب منها، لما يترتب على ذلك من الفتنة».^{٢٤٥}
 فهو لا يرى الحجّ فرضاً عليها، حذراً من أشرار مكة، فيقول:

[الوافر]

أقيمي، لا أعدُ الحجّ فرضاً

على عجز النساء، ولا العذارى

ففي بطحاء مكة سرّ قوم،

^{٢٤٦} وليسوا بالخمام ولا العبارى

ويقول:

[الوافر]

ولكن جاءت الجمرات ترمي،

وأبصر العواة إلى يديها

وليس محمداً، فيما أنتهـ،

^{٢٤٧} ولا الله القدير بمحمديتها

ويرى صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في المسجد، لخلوّه من الريبة والتعرض لأهل الريبة،
فيقول:

(٢٤٢) اللزوميات : ج ١ ، ص ١٠٩ . والعريّسة والعريّس : الشجر الملتف ، وهو مأوى الأسد في خيسه .

(٢٤٣) اللزوميات : ج ١ ، ص ٩٧ .

(٢٤٤) اللزوميات : ج ١ ، ص ٦٨ .

(٢٤٥) الجندي : م . س ، ص ١٥٤٥ .

(٢٤٦) اللزوميات : ج ١ ، ص ٢٨ .

(٢٤٧) اللزوميات ، ج ٢ ، ص ٣٣٩ .

إذا ما رامتِ الصَّلَاوَاتِ حَوْدٌ

^{٢٤٨} يُطْنُ هنَاكَ أَفْضَلُ مَلْحَدِيهَا

وليس الرجل في اعتقاده أحسن حالاً من المرأة؛ بل هما غصنا شجرة، وجناحا طائر، وفرسا رهان يتباريان في الفتنة والشر؛ فهو يخاف من الرجل على المرأة، بقدر ما يخاف على الرجل منها، لأن الطينة الواحدة والطبع واحد، فهي تغوية كما يغويها، كما يشعر بذلك قوله:

[البسيط]

إذا أَمِنتَ عَلَى مَالٍ أَخْلَقَهُ،
فاحذَرْ أَخَاكَ، وَلَا تَأْمُنْ عَلَى الْحُرْمَ

^{٢٤٩} وليس، في الطبيع، مجبولٌ على الكرم

فنهى المرأة عن ذهابها إلى الحمام، وأمر بضربها إذا خرجت إلى العزاف أو المنجم، وأبدت زينتها؛ حيث قال:

[الوافر]

إذا ابْتَكَرْتَ إِلَى الْعَرَافِ، فَاعْرِفْ
مَكَانَ عَصَا تَصْكُّ بِهَا قَرَاهَا
وساُورُهَا، إِذَا أَبْدَثْ سِوارًاً،
وَحَدَّرْهَا الْمَنْجَمَ، فَهُوَ ذَئْبٌ،
تُشَوْقُهُ الضَّوَائِنُ أَنْ يَرَاهَا
فَإِنْ هِيَ لَمْ تُجِنِّهُ إِلَى قَبِيجٍ،
^{٢٥٠} تَحْلِبُهَا الْمَنَافِعَ، وَامْتَرَاهَا

وآخر تعليمها الغزل والنسيج على تعليمها القراءة والكتابة:

[الخفيف]

عَلِمُوهُنَّ الْعَرَلَ وَالنَّسْجَ وَالرَّدْ
نَّ، وَخَلُوا كِتَابَهُ وَقِرَاءَهُ
فصلاة الفتاة بالحمد والإخ

^{٢٥١} لاص، تجزي عن يوئس وبراء

وإذا لم يكن بد من تعليم الفتاة التلاوة، فليكن تعليمها من عجوز هرمة نقية، لا من فتاة فتنها فتية ولا من رجل شاب، أو كهل، أو شيخ فيه بقية تخشى معرتها وإن كان أعمى، لأن الطبيعة بصيرة، إلا إذا بلغ من الكبر عتيّاً؛ وهذا ما أشار إليه بقوله:

[الوافر]

^{٢٤٨}) اللزوميات ج ٢، ص ٣٣٩ ويروى البيت: * فِيْكُ الْبَيْتُ أَفْضَلُ مَسْجِدِيهَا * .

^{٢٤٩}) اللزوميات، ج ٢ ص ٢٤٩ .

^{٢٥٠}) اللزوميات، ج ٢ ص ٣٣٧ ، صك: ضرب ضرباً شديداً، القرى: الظهر، ساورة: وايثه، بارا المرأة: فارقها، البري: مفردتها برة وهو الخلخال، الضوان: الغنم، امترى: الناقة: احتلبه .

^{٢٥١}) اللزوميات، ج ١ ص ٢٥ ، الردن: تصد المتابع وردنت المرأة: غزلت على المردن وهو المغزل .

لِيَأْخُذنَ التَّلَاوَةَ عَنْ عَجُوزٍ،
 مِنَ الْلَّاَيْ فَغَرَّ مَهَمَّاتٍ
 يُسْبَحَنَ الْمَلِيكَ بِكُلِّ جُنْحٍ،
 وَيَرْكَعُنَ الصَّحْنَ مَتَّهَمَاتٍ
 فَمَا عَيْبٌ، عَلَى الْفَتَيَاتِ، لَهُنْ،
 إِذَا قَلَنَ الْمَرَادَ مُتَرْجِمَاتٍ
 وَلَا يُدْنَيْنَ مِنْ رَجُلٍ ضَرِيرٍ،
 يَلْقَئُنَ آيَّاً مَحْكَمَاتٍ
 سُوِيْ مِنْ كَانَ مَرْتَعِشًا يَدَاهُ،
 ٢٥٣ وَلَمْتَهُ مِنَ الْمُتَشَعِّمَاتٍ

وقد أتى في هذه القصيدة التي منها هذه الأبيات بما لم يأت به غيره، ووصف حال المرأة وصفاً وافياً واستثنى ما كمن في نفسها من الأهواء والنزعات، وبين المواطن التي يخاف منها أن تنفص عن العفاف، وتكون المرأة عرضة للخطر؛ وذكر أثر التسليم عليها وتزيينها، وأثر الخمرة والجارات، والذهب إلى المصلى وإتيان المنجم والمعلم وشهود الأعراس، وأثر الشباب والغنـي في نفسها، وبين ضرورة تزويجها وما يتربـب على تعدد الزوجات وزواج الشيخ المقلـل بالشابة ونحو ذلك مما يدل على أنه درس أحوال المرأة في عصره درساً متقدماً، واستقرى من أخلاقها وطبعها شيئاً كثيراً، كما قال فيها:

[الوافر]

فَهَذَا قَوْلُ مُخْتَبِرٍ شَفِيقٍ،
 ٢٥٤ وَنُصْحٌ لِلْحَيَاةِ وَلِلْمَمَاتِ
 وَيَقُولُ فِي مَكَانٍ آخَرَ:

[البسيط]

فَاللَّهُ إِنْ صَحَّ أَعْطَى النَّفْسَ فَتَرْتَهَا،
 ٢٥٥ حَتَّى تَمُوتُ، وَسَمَّى جِدَّهَا لَعِيَا
 وَأَيْضًا قَالَ:

[الكامل]

إِنْ صَحَّ عَقْلُكَ، فَالْتَّفَرَّدُ نِعْمَةٌ،
 ٢٥٦ وَنُوِيَ الْأَوَانِسُ غَايَةُ الْإِبَنَاسِ

(٢٥١) اللزوميات، ج ١ ص ٦٩ ، مهتمات : من القي مقدم أستانه ، المتشتممات : تبت على شكل الخلبي وهو أغلظ منه وأجل عوداً ، يكون في البقبيل ينبع أخضر ثم يبيض فإذا تيس ولها سئمة غليظة .

(٢٥٢) اللزوميات ، ج ١ ص ٦٩ .

(٢٥٣) اللزوميات ، ج ١ ص ٢٩ .

(٢٥٤) اللزوميات ، ج ٢ ص ٣٠٩ .

المبحث الثالث

النسل

كره أبي العلاء المرأة والنسل، وافتاته في ذمّهما والتنفير منها، أظهر لنا صوراً رائعة، ومعاني مبتكرة سدّ بها ثلّمة في الأدب العربي لم يستطع المتقّدون قبله أن يسدّوها، ولا عرف للحكماء والأدباء مثلها.

فهو يعتقد أنَّ الإنسان يقدم على الزواج بداعٍ طبيعيٍّ، تزيينه له العادة ولم يسقه إليه العقل كما يتثاءب الإنسان من غير قصد ولا اختيار إذا رأى غيره يتثاءب، أما هو فقد استطاع أن يغلب عقله على طبيعة، فلم يتأثر بتلك العدوى كما يشعر بذلك قوله :

[الطوبل]

تواصل حبل النسل ما بين آدم،
وبيني، ولم يوصل بلاهي باء
بعدوى، فما أعدتني الثوباء^{٢٥٦}
تثاءب عمرو، إذ تثاءب خالدُ.

ويعتقد أنَّ الناس لو نظروا إلى الدنيا بعين العقل كما نظر إليها، لأعرضوا عما فيها من زينة البنين والنساء وغيرهما :

[البسيط]

لو أنَّ كُلَّ نفوس الناس رائِيَةُ
كريأي نفسي، تناهٌ عن حزايها
وعطّلوا هذه الدُّنيا، فَمَا ولدوا،
ولا افتَنُوا، واستراحو من رزايها^{٢٥٧}

والعقل يفكّر قبل الإقدام على الشيء فيما يجلبه من خير وشرّ، وفيما يترقب عليه من نفع وضرّ. والأب لو فكر قبل النسل فيما يحتوي ولديه من خطوب، وأوصاب تلازمه من المهد إلى اللحد، ولا يردها عنه العرّافون ولا التدور، ولا يدفعها الأطباء ولا الرّاقون؛ وهو لا يستطيع أن يجلب له نفعاً، ولا أن يدفع عنه ضرّاً، لأمسك عن النسل وكفى نفسه مؤونة السهر وعناء التربية والمداواة وممضض الألم إذا شكاولده. ثم هو بعد ذلك كله ينشئه للأسقام والألام ويربيه للموت وإلى هذه يشير قوله :

[البسيط]

^{٢٥٦}) اللزوميات، ج ١ ص ٢٠ .

^{٢٥٧}) اللزوميات، ج ٢ ص ٣٣٧ ، رائِيَة : عاقلة ، حزى : الذل ، اقتني : اتّخذ لنفسه .

بِهِ حَلَّتْ، فَتَدْرِي أَيْنَ تُلْقِيهِ؟

وَمَا عَلِمْتَ بِأَنَّ الْعِيشَ يُشْقِيَهُ

بِهِ الْفَتَاهُ إِلَى شَمَطَاءٍ تَرْقِيهِ

عَنْهُ النَّذُورَ، لَعَلَّ اللَّهَ يُبَقِّيَهُ

إِلَى الطَّبِيبِ، يُدَاوِيهِ وَيَسْقِيَهُ

^{٢٥٨} بِقَرَاطٍ مَا كَانَ مِنْ مَوْتٍ يُوقِيَهُ

وَلَوْ تَفَكَّرَ الْعَاقِلُ فِيمَا يَجْلِبُهُ الْأَبْنَاءُ لِأَبْنَاهُمْ مِنَ الشَّرِّ وَمَا يَضْمُرُونَهُ لَهُمْ مِنَ الْخَدْيَعَةِ وَالْحَسْدِ، هَانُ عَلَيْهِ بُنُوهُ وَرَغْبَةُ عَنِ النَّسْلِ؛ أَذْ يَتَبَيَّنُ لَهُ أَنَّ الْوَلَدَ حَنْثَ يَفْتَكُ بِوَالِدِهِ، وَنَارُ تَحْرُقُ الْعُودَ الَّذِي خَرَجَتْ مِنْهُ وَعَبَءُ ثَقِيلٌ عَلَى أَبِيهِ، وَأَعْدَى عُدُوًّا لَهُ وَمَجْلِبَةً لِلْحَزْنِ وَالْبَخْلِ وَالْعَارِ، وَلِيُسَ الْذَّكْرُ خَيْرًا مِنَ الْأَنْثَى فِي شَيْءٍ مِنْ هَذَا كُلَّهُ. وَهَذِهِ جَمْلَةٌ مِنْ كَلَامِهِ تَشِيرُ إِلَى بَعْضِ مَا ذَكَرْنَا، وَسِيَّاتِي مَا يَشِيرُ إِلَى الْبَاقِي :

[الوافر]

لَقْدْ سَعَدَ الَّذِي أَمْسَى عَقِيمًا

يَوْمٌ طَرِيقَ حَنْفٍ مُسْتَقِيمًا

^{٢٥٩} وَإِنَّمَا أَنْ يُخْلِفُهُ يَتِيمًا

أَلَا تَفْكِرْتَ، قَبْلَ النَّسْلِ، فِي زَمَنٍ

تَرْجُو لَهُ مِنْ نَعِيمِ الدَّهْرِ مُمْتَنَعًا،

شَكَا الْأَذْيَ فَسَهَرَتِ اللَّيْلَ، وَابْتَكَرَتِ

وَأَمْمَهُ تَسَأَلُ الْعَرَافَ، قَاضِيَهُ

وَأَنَّتِ أَرْشَدُ مِنْهَا حِينَ تَحْمِلُهُ

وَلَوْ رَقَى الْطَّفَلُ عَيْسَى، أَوْ أُعِيدَ لَهُ

أَرَى وَلَدَ الْفَتَى عِبَّنَا عَلَيْهِ،

أَمَا شَاهَدْتَ كُلَّ أَبِي وَلِيِّدٍ،

فَإِنَّمَا أَنْ يُرَبِّيَهُ عَدُوًّا؟

وَقَالَ :

[الكامل]

ثُمَّ ابْنُهُ وَافَاهُ يَهْدِمُ مَا بَنَى

أَعْدَى عُدُوًّا لَبْنِ آدَمَ نَفْسُهُ

هَاتِيكَ تَأْمُرُهُ بِكُلِّ قَبِيْحَةٍ،

^{٢٦٠} وَدَعَاهُ ذَاكَ لَأَنْ يَقْضَنَ وَيَجْبُنَا

وَقَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأُولَادِكُمْ عَدُوًا لَكُمْ فَأَخْذُرُوهُمْ» [التغابن: ١٤]. وَجَاءَ فِيهِ أَيْضًا «إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأُولَادُكُمْ فِتْنَةٌ» [التغابن: ١٥].

فَصَاحِبُ الْمِيزَانَ (الْعَالِمُ الْطَّابِاطِبِيُّ) قَالَ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ :

«الْفِتْنَةُ مَا يَبْتَلِي وَيَعْتَنِي بِهِ، وَكُونُ الْأَمْوَالِ وَالْبَنِينَ فِتْنَةٌ إِنَّمَا هُوَ لِكُونِهِمَا زِينَةُ الْحَيَاةِ»

(٢٥٨) اللزومنيات، ج ٢ ص ٣٤٠، شمطاء : خالط بياض رأسه سواده ، يوقيه : يحققه .

(٢٥٩) اللزومنيات، ج ٢ ص ٢٤٢ ، يوْمٌ : يصعب ، حتف : الموت .

(٢٦٠) اللزومنيات، ج ٢ ص ٢٦٩ ، يضن : يدخل .

تحذب اليهما النفس إنجداباً فتختزن وتلهو بهما عما يهمها من أمر آخره وطاعة ربها، قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْأَيْمَنُ زَيْنَةُ الْحَيَاةِ أَذْلَنِي﴾ [الكهف: ٤٦].
 في «تفسير القمي» في رواية أبي الجارود عن أبي خضر عليه السلام في قوله تعالى: «إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ عَدُوًا لَّكُمْ فاحذروهُمْ» وذلك لأن الرجل إذا أراد الهجرة تعلق به ابنه وأمرأته، وقالوا: نشدك الله أن تذهب عنا فتضيع بعده فمنعهم من بطبع أهله فيقيم، فحذرهم الله أبناءهم ونساءهم، ونهاهم عن طاعتهم، ومنهم من يمضي ويذرهم ويقول: أما والله لئن لم تهاجروا معى، ثم جمع الله أن يتوق بحسن وصلة، فقال: «وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفُحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ».

أقول: وروى هذا المعنى في « الدر المنشور » عن عدة من أصحاب الجماعة عن ابن عباس وفي الدر المنشور في قوله تعالى: «إِنَّا أَمْوَالَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ فَتَنَّةٌ» عن ابن مردويه عن عبادة بن الصامت وعبدالله بن أبي أوفى عن النبي صلى الله عليه وسلم لكل أمة فتنه وفتنة أمتي أهلاً. أقول: وروى مثله أيضاً عنه، عن كعب بن عياض عنه صلى الله عليه وسلم [عن النبي صلى الله عليه وسلم] وفيه أخرج ابن أبي شيبة، وأحمد، وأبو داود، والترمذى، والناسى، وابن ماجة، والحاكم، وابن مردويه عن بريدة قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب، فأقبل الحسن والحسين عليهما قمبسان أحمران يمشيان ويغتران، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر، فحملهما واحداً من ذلك الشق وواحداً من ذلك الشق، ثم صعد المنبر وقال: صدق الله قال: «إِنَّا أَمْوَالَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ فَتَنَّةٌ» إِنِّي لَمَّا نظرت إلى هذين الغلامين، يمشيان ويغتران لم أصبر أن قطعت كلدي وزلت إليهما.
 أقول: «والرواية لا تخلو من شيء، وأثني تثال الفتنة من النبي صلى الله عليه وسلم وهو سيد الأنبياء المخلصين، معصوم مؤيد بروح القدس».
 ويقول أبو العلاء المعري:

[الكامل]

ولدٌ يكونُ حُرْوُجَهُ من ظَهَرٍ
 ۲۶۳

أعْدَى عَدُوٌ لَابْنِ آدَمَ، خَلْثَةٌ

وقال في كراحته الزواج والنسل :

فِكِّيَّتْ إِذَا أَصْبَحَتْ زَوْجًا مُؤْمِسِ
 نَظِيرٌ كِتَابِ الشَّاعِرِ الْمُتَلَمِّسِ
 ۲۶۴

خِصَاوَكَ خَيْرٌ مِنْ زَوْجِكَ حُرَّةٌ

وَإِنَّ كِتَابَ الْمَهْرِ، فِيمَا التَّمَسْتَهُ،

. ۳۱۰) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٩، ص . ۳۱۰
 ۳۱۱) اللزوميات: م. س، ص ١٠٨ .

فلا تُشَهِّدَنْ فِيهِ الشَّهُودُ، وَأَلْقِهِ

إِلَهُمْ، وَعُذْ كَالْعَائِرِ الْمُتَشَمِّسِ^{٢٦٤}

[الكامل]

ويرى الموت خيراً للمرأة من العرس:

إِنَّ الْأَوَانِسَ، أَنْ تَرُورَ قُبُورَهَا،

كَمْ نَالَ قَبْلَكَ، فِي طَعَامِكَ، مَنْ يَدِ

وَكَثِيرًا مَا صَرَحَ بِالنَّهِيِّ عَنِ الزَّوْجِ، فِي مَثُلِ قَوْلِهِ:

أَيَا سَارِحًا فِي الْجَوَّ، دُنْيَاكَ مَعَدِّنُ

فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَمِلِكْ وَشِيكَ فِرَاقِهَا،

وَالْقَائِكَ فِيهَا وَالدَّاَكَ، فَلَا تَضَعْ

وَفِي عَدْدِ الْزَّوْجَاتِ؛ يَقُولُ:

مَتَى تَشْرُكُ مَعَ امْرَأَةِ سَواهَا،

فَلَوْ يُرْجَى، مَعَ الشَّرَكَاءِ، خَيْرٌ،

وَيَقُولُ أَيْضًاً:

وَمِنْ جَمْعِ الضرَّاتِ يَطْلُبُ لَذَّةً^{٢٦٥}

وَيَقُولُ:

[الوافر]

فَقَدْ أَخْطَأَتِ فِي الرَّأْيِ التَّرِيكِ

مَا كَانَ إِلَّاهٌ بِلَا شَرِيكَ^{٢٦٦}

[الطوبل]

فَقَدْ بَاتَ، فِي الإِضْرَارِ، غَيْرَ سَدِيدٍ^{٢٦٧}

[الوافر]

(٢٦٤) اللزوميات: م. س، ص ٢٩٨، الخصاء: العقم، حره: العفيفه، الملومس: الفاجرة، الملتلمس: جرير بن عبد الله من ضبيعة بن ربيعة بن نزار شاعر جاهلي مقل مقلق. كان هو وأبن اخته طرفة بن العبد ينادمان عمرو بن هند ملك الحيرة، ثم هجواه فكتب لهما كتابين الى عامل البحرين يأمره بقتلهم و قال لهم: إني كتبت لكم بصلة فاذهبا لتقضاهما. فلما كانا ببعض الطريق، رأى الملتلمس غلاماً، فدفع صحيفه إليه وقال له: إقرأها فقرأها فإذا فيها يأمر عامله يقطع يدي الملتلمس ورجليه ودفعه حياً، فقال طرفة: إن في صحيفتك مثلما في صحيفتي فإني أن يقرأها وذهب إلى العامل فقتله وصارت صحيفه مثلاً ملن يحصل له الضرر من جهة النفع.

(٢٦٥) اللزوميات، ج ٢ ص ٢٩٨، اللوس: الذوق والأكل القليل.

(٢٦٦) اللزوميات، ج ١ ص ١٣٥، يفور: يزيد، عف: كن عفيفاً.

(٢٦٧) اللزوميات، ج ١ ص ١٨٩.

(٢٦٨) اللزوميات، ج ١ ص ١٠٦.

وواحدةٌ كفتاك ، فلا تجاوز

^{٣٦٨} إلى أخرى ، تجيء بهؤلئاتِ

فلا يزيد استبدال زوج بزوج أخرى ولو كانت عجوزاً، فيقول :

[الوافر]

إذا كانت لك امرأةٌ عجوزٌ

فلا تأخذ بها أبداً كعاباً

فإن كانت أقلَّ بهاءً وجهٍ ،

^{٣٦٩} فأجدَرُ أن تكون أقلَّ عاباً

تشبه آراء المتعري في المرأة ، بآراء الهنود؛ فهم يعتقدون بأنَّ طبيعة المرأة وسوسنة الرجال ،
ويحدُّرون العقلاء من النساء ، ويرون أن لا تحق المرأة ، في تحصيل العلوم ، خاصَّةً الفلسفة ، لأنَّها لا
 تستطيع هضمها .

فهي لا تستطيع أن يعيش في حرَّيَة ، بل يجب أن تكون تحت تكفل أبيه ، أو زوجه ، أو ابنه حتى
 الموت ، وتطبيع أمرهم .

يحتَّونها على التسريع في الزواج ، ويعدون ترك الزواج للمرأة وصمة عار ، ومع أنَّ أبي العلاء يحدُّر
 الرجال من الزواج ، يحثُّ المرأة على الزواج لصونها عن القبائح .

فيقول :

[الوافر]

وما حفِظَ الخريدةَ مثلَ بَعْلٍ

^{٣٧٠} تكونُ به من المُتحرماتِ

^{٣٧٨}) اللزوميات ، ج ١ ص ٦٩ ، المؤلمات : الصعوبات .

^{٣٧٩}) اللزوميات ، ج ١ ص ٤١ ، كعاباً : فتاة صغيرة السن .

^{٣٧٩}) اللزوميات ، ج ١ ص ٦٩ ، البعل : الزوج .

المبحث الرابع

الزهد العلائي والزهد الأبيقوري

ولد «أبيقور» الذي يُسمى اليوم بأبيكور أيضاً، في سنة ٣٤١ ق.م. ومات بعد سبعين عاماً. يقال بأنه في فلسفته كان يتبع «ديمقراتيس» فيلسوف كان يحسب العلم نتيجة الحس، والعالم مرتكباً عن الأجزاء التي لا تتجزأ.

المذهب الأبيقوري واحد من المذاهب الأربعة اليونانية؛ وحرّفوه فيما بعد كما فعلوا في كثير من المذاهب.

في هذا المعتقد (اللذة الفردية) اشتراكوا الكثير منهم أبيقور، وهو كان معجبًا به، وأدرك بأن مهمة الإنسان، هي درك اللذة ولهذا اشتهر أبيقور ومحاميه بالله و، واللّعب، والطرب، بين الناس ولا يزال تعتبر الحياة الالهية، حياة أبيقوريّة.

هذا الرأي العام في الأبيكوريين كان ناشئاً، عن عدم الغور في فلسفتهم؛ والحقيقة أنّ أبيقور كان مرتاضاً، لأنّ اللذة التي كان يتطلّبها أبيقور هي عبارة عن سرور النفس، وراحتها الدائمة، وليس الشهوات واللذات العابرة التي يتبعها الألم والصعوبة، وكان يرى بأنّ الحكيم يرجح اللذات المعنوية على التمتعات المادية، لأنّ دركها أسهل، والوصول إليها أمكن في كل الحالات والأوقات، فلا يحتاج إلى الأساليب لأنّها موجودة في نفس الإنسان.

اعترفوا الغربيون بهذه الحقيقة، ويكتب مؤلف (كليات فلسفة) : رأي أبيقور الذي يسمى أحياناً «مذهب اللذة» يعتبر اللذة، الخير الوحيد.

فلا يزال في اللغة الإنجليزية يطلق لفظ «أبيقور» على العيش، وهذا يبيّن أكثر هذه الفلسفة، لكنه لا يدلّ على الفلسفة التي كان يعتقد بها نفس «أبيقور» دلالةً تامةً.

في عصرنا هذا، يطلق «الأبيقوري» على الذي يفرط في الأكل وشرب الخمر، ولا يمكن له الوصول إلى اللذة والفرح إلا بالتّمتع من الأغذية الشهية، والمشروبات النادرة؛ والحال أنّ «أبيقور» ما عاش هكذا؛ فكان يكتفي بالطعام القليل، ومن المشروبات على الماء، وكان يعيش على نسك الزهد والإمساك.

فالفرق كبيرٌ والفارق شاسعٌ جداً، بين الأبيقورية الأصيلة والحديثة المنتسبة بها.
يُدخل «أبيقور» العقل في تحديد اللذة، وينحصرها في الإطار المسموح به العقل؛ على

حسب هذا القول، عدّة من اللذات الكاذبة، مقرونة بالألم والصعوبة، وهي متميزة عن اللذات الأصلية؛ فهو يختار هذه اللذات الأخيرة، فيقول: إن إرضاء الشهوة الجنسية إذا كان دون أي الحدود، فهو شرًّا لأنّه ملازم بالتعب والندامة، ويشابهه الإكثار من الأكل، وشرب الخمر، وطلب الشهرة أيضاً. والنتيجة، هي أنَّ «أبيكور» يدافع عن حياة يسوده العقل.

تبرز الحدود بين طلب اللذة في علم النفس، وعلم الأخلاق؛ طلب اللذة في علم النفس يؤدي إلى تمتع الناس بجميع اللذات، حتى لا يتحسروا بعدم الإنفصال عنها، لكنَّ في اللذة الأبيقورية، التمتع له قيود وشروط يحددها العقل. من البديهي أنَّ اللذة في رؤية علم النفس لا تلتزم بالأخلاق.

يرى «أبيكور» عدم إهتمام الآلهة بالإنسان، وعدم تدخلها في أيٍّ من شؤون حياة البشر (من الخير والشر)، ففيوجّه سهام نقده اللاذع نحو العقادن الخرافية مثل الكهانة، وادعاء علم الغيب؛ فيعتبرها شرًّا وفساداً.

في اعتقاده، طبيعته البشر مشتملة على ميله إلى تحصيل اللذة، والسرور الفردية؛ ويعطي جواز إلغاء القوانين كلّها، إلاً إذا أثبت الشارع بأنَّ القانون يؤدي إلى ترك اللذة، والمسرة للإنسان.

لا يرى بأنَّ كثرة المال تأتي باللذة، فعناصر اللذة عنده ثلاثة: الصداقة، والحرية، والتفكير.

ويرى بأنَّ الخوف من الآلهة والموت، يمنع الإنسان من التمتع بلذات الحياة، فيقول في الموت: مadam أنا موجود لا يوجد الموت، وبعد الموت أنا لست موجود فلماذا أخاف من الموت؟، وبهذا الكلام يظهر عدم خوفه من الموت.

يعتبر الزهد وسيلة للحياة المسرورة لغاية لها.

ما اهتمَّ الناس في عصر «أبيكور» بمذهبِه، لقدرة الدين (الآلهة) وإقبال المجتمع به، لكنَّ في العصر النهضة اهتمَّوا به، ومنحوه حيَاةً جديدةً.

المشتراكات بين «أبيكور» وأبي العلاء المعري:

١- سيادة العقل في الحياة

مع أنَّ «أبيكور» يرى أنَّ فلسفة الحياة هي التمتع باللذة، لكنَّه يجعل العقل مقياساً لإختيار هذه اللذات، وتعيين حدودها؛ والعقل عند أبي العلاء صاحب منزلة جليلة، كما

تكلمنا عنه بالتفصيل ^{٣٧١}.
فيفقول :

[الكامل]

ولو كان عقل النفس، في الجسم كاملاً
^{٣٧٢} لما أصررتُ، فيما يلُّم بها، غمّاً

فيشير في هذا البيت إلى منزلة العقل في حياة الإنسان، ويقول: إذا حاول الإنسان في طريق تطور عقله وإكماله، فلا تشغله الدنيا بمصالبها، ولا تحزنـه بحزنـها، وهذا عمود فلسفة «أبيكور». وقال في مكان آخر:

[الكامل]

وعقائِلَ الْأَلْبَابِ عَيْرُ أَوَامِرٍ
^{٣٧٣} بأذـةِ أَيْتَامِ، وَهَتَكِ عَقَائِلِ

وفي هذا البيت يشير أبو العلاء بأن العقل يصون صاحبه من الإرتكاب بالرذائل والقبائح، فيأتي بالخير لا لصاحبـه فحسب بل للمجتمع أيضاً.

٢- الزهد

قضى «أبيكور» أيام حياته في حديقته المشهورة، وانشغل بالتدريس والتعليم، وعاش عيشة الزهاد، وكان يقول: أنا أكتفي من اللذات المادية بخبز يسد جوعي، وما يرتفع عطشـي؛ فيعتبر هذا الزهد ضروريـاً للذاته المعنوية.

هذه القناعة والتزهد يذكرنا بالزهد العلائي - الذي تكلمنا عنه ^{٣٧٤} - فأبيكور يعتقد بأن المال يأتي بالخوف، ويسلب الهدوء من صاحبه لتنكسـه، وألاـ حتفاظـ به؛ كما قال أبو العلاء:

[البسيط]

وَكُثْرَةُ الْمَالِ سَاقْتُ لِلْفَتِي أَشَرَّاً
^{٣٧٥} كـالـذـيل عـَزـرـ، عـندـ المـشـيـ، ضـافـيـهـ

فيشبه أبو العلاء مـال الفتـي بـمؤـخرـة الثـوبـ التي تـعـثرـ الذـي لـبسـ الثـوبـ وـيسـبـ سـقطـهـ عـلىـ الأرضـ.

^{٣٧١}) راسل ، برتراند ، تاريخ فلسفة غرب ، ص ١٣٤ .

^{٣٧٢}) اللزوميات ، ج ٢ ، ص ٣٤٢ .

^{٣٧٣}) اللزوميات ، ج ٢ ، ص ٢١٢ .

^{٣٧٤}) انظر : المبحث الأول من هذا الفصل نفسه للمزيد من التوضيح .

^{٣٧٥}) اللزوميات ، ج ٢ ، ص ٣٤٠ الأـشـرـ: البـطـرـ وـهـوـ الـبـاطـلـ وـالـهـدـرـ .

ورأى أبيكور في الزواج نفس رأي أبي العلاء، وتكلمنا عنه^{٣٧٦} (الاحالة) فيقول أبيكور: «لا تتزوجوا ولا تتناسلوا حتى لا تصيروا عبداً للحياة وحظها». يرى الأبيكوريون بأن الزواج من زخارف الحياة، والذات الحسية كلها مصطنعة ورخيصة، والسعادة الحقيقة في الزهد والقناعة.

٣- الثورة

الثورة ضد التقاليد والرسومات الخاطئة، واعتبارهم شرّاً؛ ومنها الكهانة وأدعاء علم الغيب. فدرس أبو العلاء أحوال المنجمون، والذين يدعون علم الغيب، وكشف كثيراً من دخائلها، فنبين له أنها تتجز بالكذب، وتحتال على النساء، ومن في حكمهن من الرجال، وهي على منازع مختلفة؛ ففريق منها همه كسب المال، والآخر همه صاحبة الجمال، والثالث يسعى للكلا الأمرين، فينفتون في الكذب، وينسبون مزاعمهم إلى الكوكب تارةً، وإلى الجن أخرى، ويشاركون في ذلك العرافون، والمعزّمون، والكهان، وكتاب الأحزار، والخراء، ومن لف لففهم؛ فيقول:

[الكامل]

متكهنٌ، ومنجِّمٌ، ومعزِّمٌ،

^{٣٧٧} وَجَمِيعُ ذَلِكَ تَحْيَيْلٌ لِمَعَاشٍ

في سخر بهم، ويقول: إنهم تتکسبون بهذه المشاغل، ولا يصدقون في أقوالهم:

[الكامل]

قطَّعَ الطَّرِيقَ بِهَمَّتِهِ، وَنَظِيرَهِ،

^{٣٧٨} فِي الْمَصْرِ، فَعَلَّ مَنْجِّمٍ وَمَعَزِّمٍ

وفي هذا البيت يشبهه فعل المنجمين والمعزّمون، بفعل قطاع الطرق في الصحراء، فكلا هما يسرقان. وقال أيضاً في مكرهم لجلب النساء الجميلات:

[مجزوء الكامل]

كَمْ عَرَّ، صَاحِبَةُ الْجَمَّا

^{٣٧٩} لِ، مَنْجِّمٌ بِحَسَابِ جُمْلٍ

^{٣٧٦}) انظر : المبحث الثاني من هذا الفصل نفسه للمزيد من التوضيح .

^{٣٧٧}) اللزوميات : ج ٢، ص ٣٢٨ .

^{٣٧٨}) اللزوميات ، ج ٢ ص ٢٥٢ ، والمهمة : المفازة البعيدة أو البلد المقفر . والمعزّم : هو الذين يقرأ العزائم أو الرقى أو هي آيات من القرآن تقرأ على ذوي الآفات رجاء البرء .

المبحث الخامس

موازنة بين سيرة المعربي وسيرة الفيلسوف الوجودي «شوبنهاور»

أ- معنى الوجودية

الوجودية تيار فكريٌّ معاصرٌ؛ وهي مذهب محددٌ في الوجود، يعني أنَّ وجود الإنسان سابقٌ على ماهيته، فهي فلسفة تهتمُ بالوجود المشخص، وتجعله موضوع الفلسفة وتذكر موضوع الماهيات، أو التصورات العامة التي كانت موضع بحث فلسفات الماهية، ولذلك تختلف الوجودية عن جميع الفلسفات التي تبحث في الماهية.

والماهية هي تصوّر عامٌ، أو كليٌّ للوجود، أو الموجودات لأنَّها لا تتعلق بالأفراد، من حيث كونهم أشخاص، لكنَّها تتعلق بالتنوع ذاته الذي ينطوي تحته الأفراد.

وقد ذهب الفلسفة اليونانية، أمثال «سقراط»، و«أفلاطون»، و«أرسطو» إلى أنَّ موضوع الفلسفة، أو العلم هو الماهيات، أو المعاني العامة؛ ومن هنا انطلق «سقراط» إلى تعريف ماهية الفضيلة والحكمة، ثم جاء «أرسطو» وقرر أنَّه لاعلم بالكلي، لأنَّ الأفراد لا حصر لهم.

وفي ضوء مما سبق، يمكننا القول بأنَّ الفلسفة الوجودية هي ذلك التيار الفلسفى، الذى عارض الفلسفات التقليدية برمتها، فسبق الوجود على الماهية.

و«الوجودية» تعني أنَّ وجود الإنسان هو ما يفعله، ومن ثمَّ تصبح أفعاله هي التي تحدُّد وجوده وتكونه، وبالتالي قياس الفرد بأفعاله؛ ويصبح الوجود الإنساني هو ما يفعله الإنسان، وبأيِّ هذا المنهج في دراسة الإنسان على نقىض مذهب الماهويين، أو القائلين بــ الماهية؛ وهم الذين يفترضون أنَّ الوجود الإنساني ماهيةٌ سابقةٌ عليه، هي مصدر أفعاله ومقياس الحكم عليه، وتحديده.

ومع أنَّ «الوجودية» هي أحد المذاهب الفلسفية، إلا أنَّها في الوقت ذاته تُعدُّ من أقدمها، لأنَّها نشأت مع وجود الإنسان، والإحساس بالذات.

(٢٧٩) اللزميات، ج ٢، ص ٢٢٤، وحساب الجمل : طريقة رياضية عرفها المتقدون من العرب وغيرهم وتقوم الحروف فيها مقام الأرقام ويعطى كل حرف من حروف الأبجدية قيمة عددية ومن حساب قيم حروف الكلمة يستخرج بعض العلماء والصوفيين معانٍ لهذه الكلمات تعبّر عنها كلمات أخرى تساوي حروفها قيم حروف هذه الكلمة .

- للفلسفة المعاصرة خصائص وسمات، تتميز بها عن غيرها من الفلسفات القديمة، والمذاهب العقلية القائمة على أصول عقلية ثابتة؛ وسوف نحاول إجمال خصائص الفلسفة المعاصرة بصفة عامة.
- ١ - ترفض هذه الفلسفة الإتصال بالفلسفات العقلية المعروفة، في تاريخ الفلسفة؛ والتي شيدت أساق ومذاهب لأنّها ترفض الإنتماء إلى الفكر الفلسفى، ابتداءً من فكر اليونان وحتى العصر الحديث من حيث إنّه يتعارض بمذاهبه وأنساقه العقلية، مع بحثها الجديد عن جذور الوجود الإنساني، وعن الحقيقة الإنسانية والفكر.
- ٢ - ترفض الفلسفة المعاصرة - خاصة المتعلقة بالبحث في الوجود - أن يكون للفكر، أو الفيلسوف ثمة بدائية، أو نقطة بدأ لنفسه الفلسفى، وتدعى إلى الحرية المطلقة في إبداء الرأي، وما سوف يتبع ذلك من تحرر فكري، يقوم على الحرية المطلقة التي لا ترتبط بقيود، ولا تحديد بحدود، لأنّها حريةٌ جذريةٌ لا علاقة لها بمبادئ أو حقائق مسبقة.
- ٣ - الفلسفة المعاصرة (الوجودية) هي التحام فكر الإنسان، مع الوجود الذي يمثل منبع الحياة مجلِي الحقيقة، وأساس القيم، فهي فلسفة الإنسان مع الوجود في مواجهة الوجود أو - إذا جاز التعبير - هي فلسفة الإنسان على ما هو عليه في معاناته، وضجره وغثيانه من عبث الحياة، ولا معقولية الوجود، وهكذا تصبح هذه الفلسفة هي فلسفة الإنسان باعتباره موجود، لا باعتباره مفكراً.
- ٤ - لما كانت هذه الفلسفة الوجودية، تُنبع من وجود الإنسان، وترتكز عليه، وتنطلق منه؛ فقد انكر فلاسفتها أن يكون الإنسان مجرد شيء، ومن ثم فإنّها ترفض الإتجاه العقلي الجماعي الذي يطمس حياة الشخصية الذاتية الفردية، ويذهب بدورها في مجال الحياة الاجتماعية، كما تفگر أيضاً كل صور الحكم الإستبدادي الذي يقضي على حرية الفرد، وبالتالي على ذاته الموجدة.
- ٥ - لما كانت هذه الفلسفة ترتكز على الذات الإنسانية المشخصة، فقد ظهرت هذه الذات في طابع ديناميكي، فهي متحرّكة مؤثرة فعالة ومنفعلة، وتحيا في كفاح مع الوجود، ونضال مع الآخرين كي تثبت وجودها.
- ٦ - ترتب على الخاصية السالفة، أن تصبح الذات الإنسانية المتقدّمة بالحياة، هي أصل العلم، والقيم، والحقائق؛ لأنّها وإن كانت تتجرّد من ذاتها بصفة مؤقتة، إلاّ أنها لا تستطيع حال أحکامها أن تتجرّد من نفسها؛ من ثم تكون الأحكام الصادرة من الفرد، نتيجة تفاعل الذات مع الموضوع فلا وجود لمعرفة منفصلة عن الذات العارفة، وهذا

المنهج الوجودي في تحصيل المعرفة يتعارض مع نسق «ديكارت» العقلي الذي يجرّد الفكر من الأشخاص والذات، ويجعله موضوع عقلي بحث وعام، تتعامل معه العقول.

- ٧- يربط الفلسفه الوجوديون، القيم والمبادئ بالذات المتشخصة؛ ومن ثمّ فهم يرفضون القيم والمبادئ التي نادى بها الفلسفه، ورجال الدين من قبلهم، «كأفلاطون» و«أرسطو» و«ديكارت» و«كانت» و«هيجل».

- ٨- لما كانت الحقيقة الذاتية، هي أساس البحث عن الحقيقة، بالنسبة للذات عند الوجوديين، فلم يعد العلم في نظرهم هو المثل الأعلى، للمعرفة التي انصبت على دراسة الأدب وكتابته، فامتنجت الفلسفه بالأدب، وصيغت النظريات والمبادئ الفلسفية في قالب أدبي عاطفي، أخذ يشير إلى ذاتية الأديب الفيلسوف، ويعبر عن أزمة وجوده في أعمق معانها.

ومن ثمّ فنحن نجد أنّ أغلب المفكرين المعاصرين أدباء، أو مولعين بالأدب؛ لأنّ لما كانت فلسفاتهم، أو فهومهم يقترب من الذات، بقدر ما ينأى عن المذاهب والأساقع العقلية الجاهزة؛ فقد كان الأدب مجالاً خصباً لكتاباتهم التي عبرت خير تعبر عن مأساتهم الوجودية، وتفكيرهم الذاتي في أسلوب مفعم بالعاطفة والخيال، في سبيل التعبير عن تجربة الذات في معايشتها لمصيرها. ومن ثمّ فنحن نلمس من دراسة مناهج الفلسفه الوجودية، أنها لا تطلعنا على تنسيق لأفكارهم، أو تصنيف لأبوابها وفصولها، على ما نراه في الفلسفه العقلية التقليدية.

وعلى هذا النحو اختلفت نظرة الفيلسوف الوجودي، عن الفيلسوف التقليدي، فالأخير كان يذهب مذهبأً عقلياً واضحاً؛ فتذوب شخصيته في هذا الطريق، في حين أنّ الفيلسوف الوجودي محافظ على شخصيته، أو على بصمة فكرة الذاتية، حينما ينكر المذاهب العقلية ويرمي في أحضان عاطفته التي تعبر عن ذاته وشخصيته، وتكشف عن منهجه، وتميزه عن مناهج الآخرين من أقرانه. فالواضح في فهم الفلسفه المعاصرة، أنه ما من مفكّر بحث فيها، وإنّما إلى موقف عام أو كلي بقصد الحقيقة، لكنّ كلّ منهم إنما يعبر عن رؤية خاصة، واجتهد شخصي، ورؤيه ذاتيه بحثه؛ ومن ثمّ تعددت الفلسفات الوجودية بعد الفلسفه الوجوديين، ومن ثمّ أصبح من المتعدّر إيجاد نموذج شامل لخصائص الفلسفه جمِيعاً، أو إدراجهم تحت نسق واحد^{٢٨٠}.

^{٢٨٠}) انظر : عبد المنعم عباس ، راوية . بلز باسكال وفلسفه الإنسان . ص ٢٨٥ .

١- حول شوبنهاور

آترشوبنهاور (١٧٨٨-١٨٦٠) فيلسوف ألماني ممتاز، من كبار الفلسفه الوجودية، اشتهر بتشاؤمه المفرط؛ وهو من القائلين بعلو الإرادة على العقل، بل إنه ليرى أن العقل أداة من أدوات الإرادة (حب الحياة)، فالعقل عنده هيئات الناب والمخالف عند النمر والأسد.

ويسلط شوبنهاور فلسفته الكاملة في كتابه «العالم؛ إرادة وفكرة» وهو يرى أن الوجود شُرٌّ مطلقاً؛ لذلك تراه يعظم «البودية» كفلسفة حياة، بل إن قراءة كتابه ذلك لا ترك عند القارئ شكاً بأن الفيلسوف كان من عباد «العدم» ولذا فهو يعلى من شأن الإنتحار والمنتحررين، مع أنه لم يقدم على الإنتحار بل عاش حتى بلغ من العمر أرذله. وقراءة شوبنهاور متعدة ما بعدها متعدة، وهو أسهل من يقرأ من فلاسفة أوروبا في العصر الحديث.

فأبواه مات منتحرًا في عام ١٨٥٠، وأن سلوكيّة أمّه معه لم تكن بالموقع الحسن؛ حيث كانت من أروع من نبغ عصرها في كتابة القصة، وترفض أن يعلو أحد فوق شأنها الأدبي حتى لو كان وحيدها «أرث». فكانت تصبّ عليه جام قسوتها، خصوصاً بعد ما أخبرها الشاعر الألماني الكبير «غوفه» بعظمة عقلية ابنها في المستقبل، ثمّ أنك تقرأ خطاب هذه الأم الأديبة مع ابنها بهذه الإفتاحية: إنك عبء ثقيل لا يحتمل.

زد على ذلك سلسلة الحروب النابليونية على مدى عشرين عاماً، مختلفة الدمار والخراب. علاوة على الإضطرابات السياسية التي كانت تسود أوروبا كلّ العالم.

٢- المعرّي وشوبنهاور يصرخان: الحياة كلّها تعب يرى شوبنهاور الوجود كلّه شرّ، وفي ذلك يقول المعرّي:

[الطويل]

ألا إنما الدنيا نُخُوسٌ لأهْلِها

فما في زمانٍ أنتَ فيه سُعُودٌ^{٢٨١}

وشوبنهاور يرى بأنّ في كلّ فرد، حوض من الألم لا محيس له عنه؛ فحسب رأي شوبنهاور بأنه: يحلّ مكانه على الفور عناء آخر، وليس لدنيا من ذلك من مفرّ. إذن القاعدة الحقيقة للبشرية جموعاً، داخل هذا العالم، هو الألم المستديم وإذا تساءلنا

^{٢٨١}) اللزوميات، ج ١، ص ١٩٨ .

علام كلّ هذا التشاؤم المطير؟ نرى الجواب عند المعرّي، هو:

[الطویل]

نَهْرٌ، سِراغًاً، بَيْنَ عُدْمَيْنِ، مَا لَنَا

^{٢٨٣} بَابٌ، كَأَنَّا عَابِرُونَ عَلَى جَسْرٍ

وكذلك شوبنھور ينص على أنّ الحياة، تأرجح كالبندول إلى الأمام والخلف، بين الألم والأسأم. وفي كلتا الحالتين لأخير في هذا العالم سوى حياة باشّة عافرة.

٣- العقل بين المعرّي وشوبنھور

رغم أنّ المعرّي وشوبنھور مثاليات المذهب، إلا أنّ المعرّي، ذو ذبذبة غير مستقرّة تجاه العقل، عكس شوبنھور الذي يمتلك روّيّة فلسفية أكثر متانة منه؛ ومع ذلك فإنه يضع منزلة العقل بعد الإرادة على أية حال، فإنّ المعرّي نراه قارّة ينظر إلى العقل بأنه المرشد الصحيح لأصول المعرفة، حيث يقول:

[البسيط]

إذا تفگرتَ فکراً، لا يمازِجُهُ

^{٢٨٤} فسادُ عَقْلٍ صَحِيحٌ، هَانَ مَا صَعْبٌ

وأيضاً:

[البسيط]

ولو صفا العَقْلُ، ألقى الثقلَ حامِله

^{٢٨٥} عَنْهُ، وَلَمْ تَرَ في الْهِيجَاءِ مُعَتَّرًا كَا

وتارةً أخرى يمدّده، ويعلّي من شأن قدرته حتى يصل به إلى درجة النبوة في علم الغيب، وكأنه يساطر «الفارابي» و«ابن سينا» في نظرية النبوة؛ يقول المعرّي:

[الخفيف]

أَنِّيهَا الْغَرْ، إِنْ خُصِصْتَ بِعَقْلٍ

^{٢٨٦} فَاسْأَلْنَاهُ، فَكُلُّ عَقْلٍ نَبِيٌّ

أما شوبنھور، فالعقل عنده الأساس في البحث عن الحقيقة، وبهاجم الفلسفة الملادية متسائلاً: كيف نفسّر العقل بأنه مادة، ما دمنا لا نعلم المادة إلا بواسطة العقل؟ ثم لا يمكن أن نستدلّ عن كنه الحقيقة، بالبحث عن المادة ذاتها، وثم ننتقل إلى الفكر.

ومع ذلك فإنّ أهميّة العقل تعتبر ثانوية، قياساً إلى أهميّة الإرادة حسب تصوّر شوبنھور، لأنّ أغبي إنسان ينقلب إلى الذكاء الحاد إذا ما كانت المسألة المطروحة عليه، لبحث يمسّ رغباته مسألاً مباشراً.

(٢٨٢) *اللزوميات*، ج ١، ص ٢٤٥ . الباب: المكوث والبقاء والتمهل .

(٢٨٣) *اللزوميات*، ج ١، ص ١١٩ .

(٢٨٤) *اللزوميات*، ج ٢، ص ٢٢٩ .

(٢٨٥) *اللزوميات*، ج ٢، ص ٦٤٢ .

وإذا حاولنا أن نجعل العقل محلّ (الإرادة)، فهذا خطأً فاضحًّا؛ لأنّ العقل قد انتجته الطبيعة ليخدم إرادة الفرد علاوة على أنّ شخصية الإنسان، تشكّلها إرادته لا عقله. جملة القول عند شوبنهاور، أنّ الإرادة هي العنصر الوحيد الدائم الثابت، فالعلم، والطبيعة، والإنسان عنصرهم الحقيقي هي الإرادة.

٤- حكم الموت

إنّ نظرية كلا الفيلسوفين إلى الموت، بأنه نعيم؛ لكونه يقطع عنّا، عنة الألم والحزن بل أنه راحة أبدية، ورقاد يستريح فيه الإنسان حسبما يقول المعري:

[الخفيف]

صَجْعَةُ الْمَوْتِ رَقْدَةٌ يَسْتَرِيحُ الـ

^{٢٨٦} جِسْمٌ فِيهَا، وَالْعَيْشُ مِثْلُ السَّهَادِ

ويذهب المعري إلى أبعد من ذلك، إذ يمتنى أن ينقطع النسل ويموت، حتى وليد: [الطوبل]

وَلِيَتَ وَلِيَدًا مَا تَسْاعَةَ وَضِعِيَّهِ،

^{٢٨٧} وَلَمْ يَرْتِضِعْ مِنْ أُمِّهِ النُّفَسَاءِ

أما شوبنهاور وعلى الرغم من إعترافه بأنّ الموت مروع مفزح، بيد أنه يعتبر الموت أعظم النعم البشرية. حيث أنّ حبّ الحياة مسألة باطلة كاذبة، ويجب مقاومة إرادة النسل، والحدّ من انتشارها بين الناس. والسبب في ما يراه أنّ إشباع الغريزة الجنسية هو الذي يستوجب المنع، لأنّه أقوى ما يثبت شهوة الحياة.

٥- المرأة وأراءهما فيها

تكلمنا عن موقف أبي العلاء من المرأة بالتفصيل، ونعرّفك بموقف شوبنهاور، أيضًا: الأافت أنّ آراء الفيلسوف الألماني «آرثر شوبنهاور» الشديدة القسوة، في ما يخص النساء، تتبادر مع آرائه في ميادين أخرى. فحامل راية الإنفتاح الليبرالي، ورسول التسامح في القضايا الإجتماعية الأخرى، والذي نبذ سطوة المحرمات في مسائل مثل الإنتحار، ودان إساءة معاملة العبيد الأفارقة؛ ارتبط اسمه خصوصاً ببحثه عن «النساء» الذي عبر فيه عمّا سماه «الغباء التيوتوني - المسيحي» في

^{٢٨٦}) سقط الزند، ص ١٢٣ .

^{٢٨٧}) اللزوميات، ج ١ ، ص ٦٣ .

شؤون المرأة، والذى ينتهي إلى مرافعة مصلحة تعدد الزوجات، علمًا أن العمل يوجه في عينه إطاءين للنساء:

الأول: أنهن «أكثر واقعية من الرجال في إحكامهن».

والثاني: أنهن «أكثر تعاطفًا مع معاناة الآخرين». هذه الصفة الحميدة ظاهريًا، تحتسب في قاموس شوبنهاور ضعفًا، لا فضيلة إنسانية. في المحصلة، يتسع صدر شوبنهاور للإعجاب بأمرأة واحدة، هي «دام دوغويون» المتصوفة الفرنسية التي نصّح بالإطلاع على كتاباتها وسيرتها.

من كلامه في المرأة:

من طبيعة تكوينها، تستطيع أن ندرك أنها لم تخلق للقيام بجهد جسدي، أو عقلي كبير إنما تكفر عن خطيئة الحياة ليس بنشاطها، وإنما بمعاناتها؛ من خلال ألم الولادة، والإعتناء بالطفل، والخصوص للرجل الذي يجب أن تكون له الرفيق الصبور والمتسلى.

ويقول: يناسب المرأة أن تكون ممزضة، ومعلمة لطفولتنا المبكرة لأنها هي نفسها طفولية، سخيفة، قصيرة النظر وباختصار طفلة كبيرة، وحياتها كلها عبارة عن مرحلة متوسطة بين الطفل والرجل الذي يعتبر الكائن البشري الحقيقي.

وقال أيضًا: زُودت الطبيعة المرأة، بحقيقة المخلوقات بأدوات وأسلحة، تحتاجها لتأمين وجودها وبحجرَ استخدامها لها تصرف الطبيعة بنظامها الاقتصادي المعتمد تمامًا.

كلّ أنشى نملٌ تفقد أجنحتها بعد الزواج، حيث تصبح شيء زائد عن حاجتها، بل ومؤذيه لهمة رعاية الأسرة، كذلك المرأة تفقد جمالها بعد أول أو ثانٍ ولادة، ومن المحتمل نفس الأسباب.

وأيضاً قال: لا يمكن لأحد توقع أي شيء من النساء، إن كن لا يستطيعن إنجاز عمل فني واحد أصيل، وإبداعي عظيم، أو خلق أي شيء له قيمة خالدة، وسبب ذلك هو فقدانهن للتکفير الموضوعي. الحالات الشاذة والمنعزلة لا تغير من الحقيقة العامة: النساء، كانوا ولا يزالوا الجنس الثاني الدوني، يعيشن على لقب ورتبة أرواجهن، ويحفزن طموحاتهم الدينية.

فنكتفي بهذا الحد من أقواله في المرأة؛ فرأيه تشبه آراء المعرّي في المرأة، منها: أن طبيعة المرأة مفسدة، ومن الأفضل أن تبقى في بيتها، وأنها لا تستطيع أن تتعقل.

المبحث السادس

رأي معاصرٍ أبي العلاء فيه

اتفقَتْ كُلِّمَةِ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّ أَبَا الْعَلَاءِ عَالِمٌ لِغَوِيِّ، شَاعِرٌ حَكِيمٌ، ذِي فَطْنَةٍ؛ وَأَخْتَلَفُوا فِي عِقِيدَتِهِ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ الْوَاحِدَ لِيَمْدُحَ فَضْلَهُ وَعِلْمَهُ وَذِكْرَاهُ، ثُمَّ يَقْدِحُ فِي مُعْتَقَدِهِ وَنَحْلَتِهِ. وَمِنْهُمْ مَنْ اعْتَقَدَ عَلَى مَدْحَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ اقْتَصَرَ عَلَى ذَمَّهُ؛ وَهَذِهِ جَمْلَةٌ مِنْ أَقْوَالِهِمْ:

أَمَّا مَا قِيلَ فِي مَدْحَهُ فَكَثِيرٌ؛ مِنْهُ :

«أَنَّ شِيَخَ الْإِسْلَامِ عَلِيًّا بْنَ أَحْمَدَ الْهَكَارِيِّ، سُئِلَ عَنْهُ فَقَالَ: هُوَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ».^{١٨٩}
وَنَقْلُ «السَّلْفِيِّ» عَنْ «القاضِي أَبِي الْمَهْدِبِ عَبْدِالْمَنْعِمِ بْنِ أَحْمَدَ السَّرْوَجِيِّ»: «أَنَّهُ سَمِعَ أَخَاهُ الْقَاضِي أَبَا الْفَتْحِ، يَقُولُ: إِنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَبِي الْعَلَاءِ فِي الْمَعْرَةِ، ذَاتِ يَوْمٍ فِي خَلُوَةٍ، عَلَى غَيْرِ عِلْمِهِ. وَكَانَ يَتَرَدَّدُ إِلَيْهِ وَيَقْرَأُ عَلَيْهِ، فَسَمِعَهُ يَنْشُدُ:

[مُخْلِعُ الْبَسِيطِ]

كَمْ غُودِرْتُ عَادَةً كَعَابُ
وَعَمِرْتُ أُمُّهَا الْعَجَوزُ
أَخْرَرَهَا الْوَالِدَانِ خَوْفًا
وَالْقَبْرُ حِرْزٌ لَهَا حَرِيزٌ
يَجُوزُ أَنْ تُخْطِئَ الْمَنَائِيَا
وَالْخُلْدُ فِي الدَّهْرِ لَا يَجُوزُ

ثُمَّ تَأَوَّهُ مَرَاتٌ، وَتَلَا قَوْلُهُ تَعَالَى:

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَايَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ أَنَّاسٌ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ * وَمَا نُؤَخْرُهُ إِلَّا لِأَجْلٍ مَعْدُودٍ * يَوْمٌ يَأْتِ لَا تَكَلُّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيقٌ وَسَعِيدٌ) [هود: ١٠٣ - ١٠٥].

ثُمَّ صَاحَ وَبَكَى بَكَاءً شَدِيداً، وَطَرَحَ وَجْهَهُ عَلَى الْأَرْضِ زَمَانًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَمَسَحَ وَجْهَهُ وَقَالَ: سَبَحَانَ مَنْ تَكَلَّمَ بِهَذَا فِي الْقَدْمِ، سَبَحَانَ مَنْ هَذَا كَلَمُهُ. قَالَ: فَصَبَرْتَ سَاعَةً ثُمَّ سَلَّمْتَ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، وَقَالَ: مَتَى أَتَيْتَ؟ فَقَلَّتْ: سَاعَةً. ثُمَّ قَلَّتْ: يَا سِيدِي! أَرَى

^{١٨٩} ابن خلkan، وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ١، ص ٣٤٦.
^{٢٠٠} الأبيات للمعري في سير أعلام النبلاء (طبقة ٢٤). وللأمير الصناعي في ديوانه.

في وجهك أثر غيظ، فقال: لا يا أبا الفتح، بل أنشدت شيئاً من كلام
الخالق، فلتحقني ما ترى. فتحقققت صحة دينه، وفوة يقينه^{٢٩٩} .

وقال ابن خلكان: «كان متضلاعاً من فنون الأدب... وله التصانيف الكثيرة المشهورة، والرسائل
المنشورة... وحكي لي من وقف على المجلد الأول بعد المائة من كتاب «الهمزة والردد»، وقال: لا أعلم
ما كان يعوزه بعد هذا المجلد. وكان عالمة عصره وأخذ عنه الناس، وسار إليه الطلبة من الآفاق، وكاتبته
العلماء، والوزراء، وأهل الأقدار^{٣٠١} ».

وقال الصفدي: «كان آية في الذكاء المفرط، عجباً في الحافظة»، ثم ذكر قصة التبريزي وجاره
الأعمجي، وإعادة أبي العلاء ما دار بينهما باللغة الأذربيجانية. ثم قال: «وهذا أمر معجز، فإنه بلغنا
عن جماعة من الحفاظ، وما يحكي عن بديع الزمان الهمذاني، وابن الأنباري، وغيرهما؛ ما هو أمر
قريب من الإمكاني، لأن حفظ ما يفهمه الإنسان، ويعرف تراكيبه ومفرداته، سهل. وأماماً أنه يحفظ ما لم
يسمعه، ولا يعلم مفرداته ولا مركباته، وهو أقل ما يكون أربعين ألف سطر، من سؤال غائب من أهل
بلده سنين وجوابه. وكان إطلاعه على اللغة وشواهدها أمراً باهراً^{٣٠٢} ».

ونقل عن «الشيخ كمال الدين بن الزملکاني»، أنه قال في حقه: «هو جوهرة جاءت إلى الوجود
وذهبت^{٣٠٣} »....

وقال «السيوطى» فيه: «كان غزير الفضل، شائع الذكر، وافر العلم، غاية في الفهم، عالماً باللغة،
حاذقاً بال نحو، جيد الشعر، جزل الكلام؛ وشهرته تغنى عن صفتة. وأما حافظته^{٣٠٤} ...، ثم ذكر قصة
التربيزي وجاره.

وقال «البخارزى» فيه: «ضريرٌ، ما له في أنواع الأدب ضريرٌ^{٣٠٥} ...».

وقال «ابن الأثير» فيه: «علمه أشهر من أن يذكر^{٣٠٦} ...».

وقال «ياقوت»: «كان غزير العلم، شائع الذكر، وافر العلم، غاية في الفهم، عالماً

(٢٩٩) الجندي: م. س، ص ٥٠٢، منقول عن معاهد التنصيص ص ٦٧.

(٣٠٠) ابن خلكان، م. س، ج ١، ص ٣٥٠.

(٣٠١) الجندي: م. س، ص ٥٠٥.

(٣٠٢) م. ن، نفس المصدر، ص ٥٠٥.

(٣٠٣) السيوطى، بقى الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ص ١٣٦.

(٣٠٤) البخارزى، دمية القعر، ص ٥٠.

(٣٠٥) ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ٢٢٨.

باللغة، حاذقاً بالنحو، جيد الشعر، جزل الكلام، شهرته تغنى عن صفتة. وفضله ينطق بسجنته...» إلى أن قال: «وسمعه المرتضى فاستدناه، واختبره فوجده عالياً مشبعاً بالفطنة والذكاء، فأقبل عليه إقبالاً كثيراً...» ثم ذكر قصة التبريزى وجاره، وقال: وهذا غاية، ليس بعدها شيء في حسن الحفظ، وأماماً كثير الإحسان لقوله:

[الطول]

أسألت أني الدمع فوق أسيل

ومالت لِظُلْ ، بِالْعَرَاقِ ، ظَلِيلٌ^{٢٩٧}

وقال في «معاهد التنصيص»: «وكان إطلاعه على اللغة وشواهدها، أمراً باهراً... وتصانيفه كثيرة جداً وشعره كثير إلى الغاية، وأحسنها «سقط الزند»^{٢٩٨}.

وقال «الذهبي»: «ويقال عنه: إنه كان يحفظ كل ما يمر بسمعه... وكان عجبًا من الذكاء المفرط، والإطلاع الباهر على اللغة، وشواهدها»^{٢٩٩}.

وقال «الخطيب» في «تاريخ بغداد»: «كان حسن الشعر، جزل الكلام، فصيح اللسان، غزير الأدب، عالماً باللغة، حافظاً لها»^{٣٠٠}.

وقال «السماعي» في «الأنساب» و«القطفي» في «إنباء الرواية» مثل قول البغدادي.

وقال ابن الأباري في «نزهة الأباء»: «كان غزير الفضل، وافر الأدب، عالماً باللغة، حسن الشعر، جزل الكلام، وصنف تصانيف كثيرة، وأشعاراً جمة»^{٣٠١}.

وقال «ابن الجوزي» في «المنتظم»: «وله أشعار كثيرة، وسمع اللغة، وأمل فيها كتاباً وله بها معرفة تامة»^{٣٠٢}.

وقال «سبط ابن الجوزي» في «مرأة الزمان»: «سمع اللغة، وأمل فيها كتاباً وله بها معرفة تامة... ولا خلاف في سعة علم الرجل، وغزاره فضله، وصحة نسبه، وإنه أوحد زمانه، وله المصنفات الحسان»^{٣٠٣}.

وقال «أبو الفداء» في «المختصر»: «وكان عالماً لغوياً شاعراً»^{٣٠٤}.

^{٢٩٧}) سقط الزند ، ص ٢٢٠ .

^{٢٩٨}) الجندي ، م . س ، ص ٣٨٠ ، منقول عن ارشاد الاديب لياقوت .

^{٢٩٩}) طه حسين ، م . س ، ص ١٩١ ، منقول عن تاريخ الاسلام .

^{٣٠٠}) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد أو مدينة الاسلام ، ج ٤ ، ص ٢٤٠ .

^{٣٠١}) ابن الأباري ، نزهة الأباء ، ص ٤٢٥ .

^{٣٠٢}) ابن الجوزي ، المنتظم في أخبار الأمم ، ج ٨ ، ص ١٨٤ .

^{٣٠٣}) الجندي : م . س ، ص ٥٠٧ .

^{٣٠٤}) أبو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ص ٤٤٩ .

وأماماً ما قيل في ذمه، فكثيراً جداً؛ منه:

قال الذهبي فيه: «له رسالة الغفران في مجلدة، قد احتوت على مزدكا، واستخفاف... والذى يظهر أن الرجل مات متخيلاً، لم يحتم بدين من الأديان».^{٣٦}

وقال في «العبر»: «ولعله مات على الإسلام، وتاب من كفراته، وزال عنه الشك والإرتياح»؛ وقال غرس النعمة فيه: «كان يرمي بالإلحاد في شعره، وأشعاره دالة على ما يزن به».^{٣٧}

وقال ابن الأثير في ترجمته: «أكثر الناس يرمونه بالزندة»^{٣٨}، وفي شعره ما يدل على ذلك، ونقل قوله للقزويني: ما هجوت أحداً قطّ وقول القزويني: «هجوت الأنبياء، فتغير وجهه، وقال: ما أخاف أحداً سراك».^{٣٩}

وقال ابن خلkan، بعد أن مدحه: «ومكث مدة خمس وأربعين سنة، لا يأكل اللحم تديناً، لأنَّه كان يرى رأي الحكماء المتقدمين؛ وهم لا يأكلونه كيلاً يذبحوا الحيوان ففيه تعذيب له، ولا لا يرون الآيات مطلقاً في جميع الحيوانات وأوصى أن يكتب على قبره هذا البيت:

[مجزوء الكامل]

هذا جناه أبي علي

وما جئنيتُ على أحدٍ^{٤٠}

وهو أيضاً يتعلق باعتقاد الحكماء، فإنَّهم يقولون: إيجاد الولد، وإخراجه إلى هذا العالم جنائية عليه، لأنَّه يتعرض للحوادث والآفات».^{٤١}

وقال «أبو الحسن الباهري» (المتوفى سنة ٤٦٨هـ): «أبو العلاء ضرير، ماله في أنواع الأدب ضرير، ومكفوف في قميص الفضل ملفوف، ومحجوب خصمه الالد محجوب. وقد طال في ظلال الإسلام آناؤه. ولكنَّ ربما يترشح بالإلحاد إناؤه. وعندنا خبر بصره، والله أعلم ببصيرته، المطلع على سريرته. وإنَّما تحدثت الألسن باساعته، لكتابه الذي زعموا

(٣٦) الجندي: م. س، ص ٥٠٨.

(٣٧) م. ن، ص ٥٠٩.

(٣٨) الكفر باطنًا مع التظاهر بالإيمان. جمعه: زنادقة وزناديق (فارسية) وكانوا يقولون في المثل «من ممنطق، تزندق» أي من تعلم علم المنطق تهور في الزنادقة لأنَّه يتورط في الاقيسة والتنتائج مما يفسد القائد الدينية التي مدارها على التسلیم.

(٣٩) ابن الأثير: م. س، ج ٩، ص ٣٦٦.

(٤٠) الذهبي: سير أعلام النبلاء (الطبقة ٢٤).

(٤١) ابن خلkan، م. س، ج ١، ص ٤١.

أنه عارض به القرآن، وعنونه «بالفصول والغaiات». ومحاذاة السور والآيات، وأظهر من نفسه تلك الخيانة، وجذ تلك الهوسات كما يجذ العير الصليانة؛ حتى قال «القاضي أبو جعفر» قصيدةً، أولها:

[الكامل]

كلبٌ عَوَى مِعَرَّة النعمانِ
لَا خلا عَنْ رِبْقَةِ الإيمانِ
أَمْعَرَّةُ النُّعْمَانِ مَا انجَبَتِ إِذ
أَخْرَجْتِ مِنْكِ مَعْرَةَ الْعُمَيَانِ^{٣١١}

وذكر أنه لم يجد في ديوانه الذي سماه «سقوط الزند» ما يصلح لكتابه، فرجع إلى تعليقاته، فعثر بما أنشده «الشيخ إسماعيل الصابوني» عن أبي العلاء، وذكر ثلاثة أبيات من «لزوم ما لا يلزم»، وستة وعشرين بيتاً من «سقوط الزند». ولا أعلم يف استحسنها بعد أن لم يجد في السقط ما يصلح لكتابه. والظاهر أنه لم يعلم قيمتها الأدبية، حتى أرشفها إليها الصابوني^{٣١٢}.

وقال «ابن الجوزي» في «تاريخه»: «زنادقة الإسلام ثلاثة: ابن الروendi، والتوحيدى، وأبو العلاء المعرى؛ وشرهم على الإسلام التوحيدى لأنهما صرحا، وهو مجتمع ولم يصرح»^{٣١٣}.

وقال في «تبييس الإبليس»: «ومن زنادقة الإسلام، من لم يبرح على تعتره، ففاتته الدنيا والآخرة، مثل ابن الروendi، والمعرى... وأماماً أبو العلاء، فأشعاره ظاهرة الإلحاد، وكان يبالغ في عداوة الأنبياء ولم يزل متختطاً في تعتره، خائفاً من القتل إلى أن مات بخسارته»^{٣١٤}.

وقال «ياقوت»: «كان المعرى حماراً لا يفقه شيئاً، وإنما فالمراد بهذا بين» وقد صد هذا البيت لأبي العلاء:

[البسيط]

يَدْ بِخَمْسِ مَئِينِ عَسْجِدِ فُدِيَّتْ
مَا بِالْهَا قُطِعَتْ فِي رِبْعِ دِينَارٍ؟^{٣١٥}

وبعد أن أورد كثيراً من الأبيات الدالة على كفره تصريحاً، قال: «نقلت هذا كله من «تاريخ غرس النعمة». ثم قال: «قرأت في كتاب «فلك المعانى» أن كثيراً من الجهل بعد الموت ظلماً من الباري، ويستقبحه بما فيها من النعمة، والحكمة، والراحة، والمصلحة؛ وقد

(٣١) الصfdi ، الواقي بالوفيات (حرف الألف) والبيتان لأبي جعفر البجاني الزوزني .

(٣٢) البخاري : م . س ، ص ٥٠ .

(٣٣) الجندي : الجامع في أخبار أبي العلاء ، ص ٥٢٠ .

(٣٤) ابن الجوزي : تبييس الإبليس ، ص ١١٢ .

(٣٥) اللزوميات ، ج ١ ، ص ٣٤٦ .

قال أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرّي، مع تحذّله، ودعواه الطويلة العريضة، وشهرة نفسه بالحكمة، ومظاهرته:
[الكامل]

وَنَهَيْتُ عَنْ قَتْلِ الْفَقُوسِ تَعْمَدًا
وَبَعْثَتْ أَنْتَ لِقَبْضِهَا مَلْكِيْنِ
مَا كَانَ أَغْنَاهَا عَنِ الْحَالَيْنِ
٢١٦

وهذا كلام مجنون معتوه...، حتى سلط الله عليه «أبا نصر بن أبي عمران» داعي الدعاة بهصر، فقال له: أنا ذلك المريض رأياً، وعقلاً (إشارة إلى هذا البيت):
[الطويل]

عَدَوْتُ مَرِيضَ الْعُقْلِ وَرَأْيَ فَالْقَنِي
لِتُخْبِرَ أَنْبَاءِ الْعُقُولِ الصَّحَائِحِ
٢١٧

وقد أتيتك مستشفياً، فأشفني. وجرت بينهما مكاتبات كثيرة، أمر في آخرها بإحضاره حلب، ووعده على الإسلام خيراً من بيت آمال؛ فلما علم أبو العلاء أنه يحمل للقتل، أو الإسلام، سُمّ نفسه ٢١٨ ومات....».

وقال أبو الفداء في (تاریخه ج ٢ ص ١٧٦) : وَنَثَلْتُ عَنْهُ [أي عن أبي العلاء] أشعار وأقوال، علم بها فساد عقيدته، ونُسب إلى التمذهب بهذب الہنود، لتركه أكل اللحم خمساً وأربعين سنة، وكذلك البيض، واللبن، وكان يحرّم أيام الحيوان. وله مصنفات كثيرة أكثرها ركيكة، فهجرت لذلك؛ وكان يظهر الكفر، ويزعم أنّ لقوله باطننا، وأنه مسلم في الباطن. فمن شعره المؤذن بفساد عقيدته؛ قوله:

[المتقارب]

عَجِبْتُ لِكَسْرِيْ وَأَشْيَايِهِ
وَقُولَ النَّصَارَى إِلَهٌ يُضَامُ
وَقُولَ الْيَهُودِ إِلَهٌ يُحَبُّ
وَقُولُ أَنْوَا مِنْ أَقَاصِ الْبَلَادِ
فَوَاعْجِبَ مِنْ مَقَالَاتِهِمْ
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ :
وَغَسْلِ الْوَجْهِ بِبَوْلِ الْبَقَرِ
وَيُظْلِمُ حَيًّا وَلَا يُتَّصَرِّ
رَسِيسَ الدَّمَاءِ وَرِيحَ الْقَرَزِ
لِرْمَيِ الْجِمَارِ وَلَثِيمِ الْحَجَرِ
أَيْعُمِي عَنِ الْحَقِّ كُلُّ الْبَشَرِ
الْخَفِيف]

٢١٦) الذهبي ، سير أعلام النبلاء (الطبقة ٢٤).

٢١٧) الصفدي ، الوافي بالوفيات (حرف الألف).

٢١٨) الجندي : الجامع في أخبار أبي العلاء ، ص ٥٢٧ ، منقول عن إرشاد ألاريب إلى معرفة الأديب ج ١ .

زَعَمُوا أَنِّي سَأَبْعَثُ حَيَاً

بَعْدَ طُولِ الْمُقَامِ فِي الْأَرْمَاسِ

وَأَجُوزُ الْجَنَانَ أَرْتَعُ فِيهَا

بَيْنَ حُورٍ وَوَلْدَةِ أَكْيَاسِ

أَيِّ شَيْءٍ أَصَابَ عَقْلَكَ يَا

^{٢١٩} مِسْكِينٌ حَتَّى رُمِيتَ بِالْوَسْوَاسِ

وأمّا من المعاصرین؛ فامتدحه «عمر فروخ» وقال: «المعرّي أدیب نابغ، واسع الإطلاع والمعرفة، محبط بعلم اللغة وتاريخ الفكر وأحوال المجتمع، إحاطة تعیي أحياناً على المبصرین. ثم هو يجيد التهكم، ويحسن النقد. هو من الحكماء المشهورين».^{٢٢٠}

وأثنى عليه «جرجي زيدان» بقوله: «هو خاتمة شعراء العصر العباسي الثالث، كما كان شبيهه أبو الطيب المتنبี فاتحته... ونعم الفاتحة والخاتمة». وقال: «كان مطبوعاً على الشعر، قوي الحافظة إلى ما يفوق التصديق».^{٢٢١}.

ولعل «حتا الفاخوري» كان أكثر تعمقاً في شرح مذهب أبي العلاء: العقلي والحياتي والفلسفـي حين قال: «كان أبو العلاء إسماعيلي المذهب، عقليـيـ النـزـعـةـ، يقولـ بـإـيـامـةـ العـقـلـ، ويـهاـجـمـ التـحـجـرـ الفـكـريـ، والـرـثـاءـ الـبـشـرـيـ. ويـدـعـوـ إـلـىـ التـحرـرـ مـنـ قـيـودـ الشـكـلـ وـالـخـرـافـةـ وـالـتـقـلـيدـ، كـمـاـ يـدـعـوـ إـلـىـ تـحـكـيمـ العـقـلـ فـيـ أـمـورـ الدـيـنـ وـالـدـنـيـاـ».

وكان إلى ذلك صاحب مذهب صوفي عقلي، ينبع من عقیدته الإسماعيلية، ويحمله على نبذ الدنيا واحتقار الأباطيل، كما يحمله على التطلع الجريء إلى حقائق الوجود، والمصير».^{٢٢٢}

ولعل قائلًا يقول: ما السبب في تأليب الناس على تفكيره، والطعن في دينه؟ فنقول: من استقرى حياة أبي العلاء، وأمعن النظر فيما وهبه الله من الموهاب الفطرية والكسيبة، وما أتيح له من الحظوة عند الملوك والأمراء وأعيان الأمة؛ وجد أسباباً كثيرة للطعن فيه. من أعظمها الحسد، وتشدد العلماء في الدين، وحبّ الظهور، والولوع بالإغراب، واللؤم. فإن الله وهبABA العلاء من الفطنة، وقوّة الحافظة، وحصافة العقل، ودقة التفكير، وسعة الخيال، وغزارة القرىحة، وفيض الخاطر، وسعة العلم ما لم يهبه لكثير من الشعراء،

^{٢٢٢}) الجندي ، الجامع في أخبار أبي العلاء ٥٣٧ ، منقول عن تاريخ أبي الفداء .

^{٢٢٣}) تاريخ الأدب العربي ، ج ١ ، ص ١٢٤ .

^{٢٢٤}) زيدان ، جرجي . آداب اللغة العربية ، ج ٢ ، ص ٥٦٩-٥٧٠ .

^{٢٢٥}) فاخوري ، حتا . الجامع في تاريخ الأدب العربي ، ج ١ ، ص ٨٥١ .

والعلماء . وأتاه من العفاف والقناعة والشهم ، ما لا يؤته كثيراً منهم . ورزقه بسبب ذلك من الحظوة ، عند أعيان الدولة والأمة ما لم ينل معاشره كثير من العلماء والشعراء . ومنحه من سيرورة الذكر والشهرة ما لم يتح لغيره في عصره ؛ فكانت الملوك والأمراء وعظاماء الأمة ، يبالغون في إكرامه والإحتفاء به ، ويكلّفونه أن يصنّف لهم الكتب والرسائل . وقضية أخرى ، يجب الإهتمام بها ، هي أن أبي العلاء كان يعتقد كلّ عقل نبئي ، ولذلك كان يعول في أحكامه على العقل ، ويأبى أن يتركه سدى . وكان حراً في تفكيره ، جريئاً في إبداء آرائه ؛ فلا يماري ولا يداري ، وقد تصدّى في كلامه إلى كثير من الملل والنحل ، واعترض على كثيير مما يعتقده أهل كلّ ملة ، ووجه رؤساء المذاهب ، والنحل ، والملوك ، والأمراء ، والعلماء ، والشعراء بالنقد اللاذع والتهكم ، ولم يتخير لنقده قوله ليناً ، ولا سلك أسلوباً لطيفاً . والعلماء ، لا سيما الفقهاء منهم ، يسارعون إلى التكفير على الشبهة ، ويعكمون بالإلحاد على الظن ، ويضيقون الخناق على الباحث ، ولا يتحرّون في البحث والتحقيق ، وهم أsex الناس بالتكفير ، والرمي بالزندقة .

يجب أن لا ننسى أن تخطئة الناس في مزاعمهم ، وإنكار شيءٍ من معتقداتهم من شأنه ، أن يثير سخطهم ونقمتهم ، ويجعل صداقتهم عدواً ؛ وقد يبدأ قال الأول : «ما ترك لي قول الحق صديقاً» . وفي الأخير إذا نظر الإنسان ، نظر مدقق منصف فيما كتب في أبي العلاء ، رأى كثيراً منهم لم يستطع أن يفهم كلام أبي العلاء على وجه صحيح ، ولا أن يدرك مرامي كلامه الدقيقة ، وكثبياته اللطيفة ، وقد يأتي أحدهم بشيءٍ من كلام المعرّي ، على أنه حجّ له فيما يزعم ، فيكون حجّ عليه ؛ وقد يتصرّف في القول على وفق ما يريد ، لا على وفق ما يدلّ عليه اللّفظ والمقام .

ورأينا فريقاً آخر ، يلصق بأبي العلاء ما هو بريءٌ منه ، وآخر يحرّف كلامه عن موضعه ، وآخر يتقول عليه أقوالاً لا علم له بها ، يريد بذلك إهلاكه وتغيير نية إخوانه ، وقد قال «للمنازي»^{٢٢٢} : «حسدني قوم ، فكذبوا عليَّ وأساووا إليَّ». ومن هؤلاء كثير من تلامذته وأوليائه .

^{٢٢٢}) هو الشاعر أحمد بن يوسف المنازي ، المتوفى سنة ٤٣٧ هـ ، أنظر الوفيات والقطفي في إنباء الرواة .

و قد نقل ياقوت (ج ١ ص ١٧٩) وغيره، عن ابن العديم عن أبي اليسر المعري وهو شاكر بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن محمد أخي أبي العلاء: أنّ أبي العلاء كان يرمي من أهل الحسد له بالتعطيل، وتعمل تلامذته وغيرهم على لسانه الأشعار يضمنونها أقاويل الملحدة، قصداً لهلاكه، وايثاراً لإلقاء نفسه، فقال:

[السريع]

حاول إهوانِيَّ قومُ فما
واجهتهم إِلَّا بِإهوانِ
يُحَرِّشُونِي بِسَعَايَاتِهِمْ
فغيروا نيةَ إخوانِي
لو استطاعوا لوشوا بي إلى الـ
٢٢٤ مريخ في الشهِبِ وكِيوانِ

التقييم

بعد أن انتهينا من سمات عصر أبي العلاء؛ السياسية والإجتماعية والإقتصادية، وترجمته في الفصل الأول؛ ومن فلسنته، وفكته في الفصل الثاني؛ ومن «لزومياته» ومعتقداته الدينية فيها، في الفصل الثالث؛ ففي هذا الفصل عالجنا سيرته في الحياة التي رُكتناه الأساسية: هما الزهد، ودور المرأة في حياته.

فالسؤال المطروح هو، ما هو دور الزهد، والمرأة في حياة أبي العلاء؟
حاولنا الإجابة، من خلال عرض هذا الفصل. مع أنّ من الممكن، أن نحسب التجنب من المرأة قسمًاً من زهذه أيضًاً.

زهد أبي العلاء ليس إِلَّا الأكل القليل، وغمض العين من الشهوة، وهاتين الخصلتين من خصال البعد الحيواني في الإنسان؛ فهو على قدر بعده من هذه الحيوانية تقرّب من البعد الإنساني الحقيقي الذي ينفصله عن الحيوان، وهو العقل.

وچئنا بالزهد «الأبيكوري» الذي يشابه زهد أبي العلاء، وتفكير «شوينهور» الذي يشابه رؤية أبي العلاء، في الموت والحياة.

ونهايةً كان كلامنا، عن آراء معاصرى أبي العلاء فيه، ورأينا أنهم شاكين في قضاوتهم على ديانته، أو مبغضين عليه.

(٢٢٤) الصفدي ، الواقي بالوفيات ، (الألقاب).

كان أبو العلاء المعربي من أعظم الشعراء العربية، ولم يكن مجرد شاعرٍ كبيرٍ فرض إسمه على الأيام، ولكنه كان صاحب رؤية، صاحب فلسفة، وإن الحياة صعبة شاقة، ومن هنا فقد فرض على نفسه العزلة، وفرض على نفسه إلّا يتزوج حتى لا ينجذب ولدًا أو بنتًا تشقى بالحياة، والذين درسوا شعره وتعلّمّوه، عرّفوا فيه شاعرًا كبيرًا، من النادر أن تجود الأيام بهمّله.

شاعريةٌ عميقهٌ عريضةٌ تنبوع عن إنسان له ثقافته العريضة، صاغ كل ذلك شعراً جميلاً يؤسر العقل، ويستولي على القلوب؛ فهذه الرسالة محاولة لتبيين آراء أبي العلاء الدينية.

أبو العلاء المعربي يعتبر وحيد زمانه، ولغزاً معقد التفكير؛ نظراً لما تميّز به من توجه فلسفـي، إنقسم حوله الناس بين مؤيد، ومعرضـ، أو مرجـيـ بما قد يسقط عليه صفة الإلحاد والزنـدة.

فالكلام عن المعتقدات الدينية في ديوان «اللزوميات» لأبي العلاء المعربي، يلخصـ في:

١ - الأدب مرآة، تعكس صورة المجتمع فللمجتمع دورهـامـ في ثقافة الأديـبـ. المجتمع الذي عاشهـ أبو العلاءـ، استولـىـ عليهـ الفوضـىـ فيـ جميعـ النواحيـ، وليسـ منـ المتـوقـعـ أنـ نـرىـ أـدـبـهـ، مـفـعـومـ بـالـفـرـحـ، وـالـسـرـورـ، وـالـرـضاـ منـ الـحـكـامـ، وـالـكـبارـ، وـخـاصـةـ رـجـالـ الـدـيـنـ، الـذـيـنـ يـقـوـدـونـ مـعـقـدـاتـ الشـعـبـ الـإـسـلـامـيـ، وـيـزـعـمـونـ سـعـادـةـ النـاسـ رسـالـةـ، جـعـلـ اللـهـ عـلـىـ ذـمـتـهـ؛ وـأـبـوـ الـعـلـاءـ جـرـيـ ؟ـ فيـ بـيـانـ آـرـائـهـ، وـيـوـجـهـ سـهـامـ نـقـدـهـ الـلـاذـعـ نحوـ كـلـ مـنـ يـرـيدـ، فـهـوـ لـاـ يـسـتـثـنـيـ أـحـدـاـ. وـالـفـصـلـ الـأـوـلـ يـتـناـولـ أـوـضـاعـ الـمـجـتمـعـ، وـتـرـجمـةـ لـحـيـاةـ أـبـيـ الـعـلـاءـ مـنـ مـوـلـدـهـ، وـرـحـلـاتـهـ، وـآـثـارـهـ

٢ - يعتبر المـعـرـيـ، شـاعـرـًاـ فـيـلـسـوفـاـ، فـلـاـ شـكـ أـنـ ماـ أـتـىـ بـفـلـسـفـةـ كـفـلـسـفـةـ «ـسـقـرـاطـ»ـ، بلـ غـلـبـتـ شـاعـريـتـهـ عـلـىـ فـلـسـفـهـ، لـكـنـهـ فـيـ أـدـبـهـ جـاءـ بـفـلـسـفـةـ حـيـاةـ، تـسـطـيـعـ أـنـ تـفـضـيـ طـرـيقـ كـلـ مـحـبـيـ فـيـلـسـوفـ الـمـعـرـيـ؛ فـعـمـادـ هـذـهـ الـفـلـسـفـةـ، هـوـ الـعـقـلـ، وـيـرـىـ الـمـعـرـيـ أـنـ كـلـ مـنـ يـتـبعـ الـعـقـلـ فـنـجـيـ، وـمـنـ خـالـفـهـ فـهـلـكـ، وـالـمـعـرـيـ كـانـ وـاسـعـ الـإـطـلـاعـ الـمـتـنـوـعـ مـنـ الـيـونـانـيـ، وـالـهـنـدـيـ، وـالـحـكـمـةـ الـفـارـسـيـ، وـكـذـلـكـ الـدـيـنـاتـ الـمـخـتـلـفـةـ؛ وـهـذـاـ الـإـطـلـاعـ أـنـجـبـ بـعـمقـ ثـقـافـتـهـ، وـحـكـمـتـهـ، وـكـانـتـ جـمـاعـةـ إـخـوانـ الصـفـاـ تـشـابـهـ فـيـ آـرـائـهـ، وـمـنـهـ: كـلـاهـمـاـ مـاـ كـانـاـ مـعـقـدـيـنـ بـدـيـنـ خـاصـ، أـوـ مـذـهـبـ خـاصـ (ـعـلـىـ الـأـقـلـ فـيـ ظـاهـرـ الـأـمـرـ). كـلـاهـمـاـ كـانـاـ يـعـبـرـانـ عـنـ الـعـقـلـ، كـوـسـيـلـةـ لـلـوـصـولـ إـلـىـ السـعـادـةـ. وـالـأـخـيـرـ، أـنـ جـمـاعـةـ إـخـوانـ الصـفـاـ، كـانـواـ يـعـمـلـونـ فـيـ تـقـرـيبـ الـدـيـنـ مـنـ الـفـلـسـفـةـ؛ فـرـجـمـاـ أـنـجـزـ أـبـوـ الـعـلـاءـ هـذـاـ، فـيـ أـدـبـهـ.

والقضية الهامة في معالجة شخصية أبي العلاء وأثاره، هي القبول بالتشاؤم، ونفيه عن أبي العلاء، فابو العلاء يتكلّم عن واقع المجتمع، المجتمع الذي لا يرى خيراً فيه.

السؤال، هو أنَّ هل بيان الواقع يعتبر التشاؤم؟ قطعاً ليس هكذا، فالتشاؤم ليس له مكاناً في فكرة المعربي، بل هو يتبع عقله تماماً، وهذه القضايا مدرّسة في الفصل الثاني.

٣ - ديوان «اللزوميات» أهم آثار أبي العلاء الفلسفية، ففي هذا الديوان جاء بكثير من آرائه الحكمية، وتتكلّم عنها بالتفصيل، والتدقيق؛ فهذا الديوان مملوء بالمحسنات الفقظية، والمعنوية. من أهم هذه الآراء، آراء الدينية، وقد ذكر جميع الأديان المعروفة في اللزوميات، ونقد ما يسوق باسم الدين، ويروج. فالدين الصحيح عنده هو تقوى الله ، وخشيتها، سرًّا، وعلانيةً. ومراعاة حقوق الناس، وعدم ظلمهم، فالدين جزءٌ هامٌ من ثقافته، والفصل الثالث يتناول هذا الجزء من ثقافة المعربي.

٤ - مرافقة العمل بالعلم، هي أمر صعب، لا يقدر عليه، إلّا القليل، والمعربي منهم؛ فسيرته العملية في الحياة، هي نسخة فعلية لكلامه، الزهد، ورؤيته بالنسبة إلى المرأة، ركتا حياته؛ فزهده كان في عدم أكل الحيوان ترحّماً له، والقناعة بأقلّ القوت. رؤيته بالنسبة إلى المرأة، والحياة، أيضاً سبب في عدم تزوجه، وهذا أيضاً كان ترحّماً لولدِه، يدخله هو في هذه الدنيا، ويسبب شقاءه؛ فما ارتكب هذه الجناية إلى أحد؛ فزهده يشبه زهد أبييكور اليوناني، الذي سمي منهجه بمكتب اللذة؛ أبييكور يرى اللذة، هدف الحياة، لكنه لا يرى السعادة واللذة إلّا في ترك اللذات الدنيوية، ولما دية. وأيضاً شوبنهور، الفيلسوف الوجودي، فهو لا يرى خيراً في الدنيا، وما فيها، ويرجح الموت، والإنتشار، مع أنه نفسه، ما تجرأ على الانتحار، فهو كان معجبًا بالحكمة الهندية، كإعجاب أبي العلاء بها، فتطرق الفصل الرابع إلى الكلام عن سيرة أبي العلاء، ومقارنته بين حياته، وحياة كلّ من أبييكور، وشوبنهور، اللذان يشابهانه في سيرتهما.

فهذه الرسالة، تطرق إلى هذه المواضيع المذكور بين دفتيرها، والمكتوب على قدر طاقة باحثتها، ومن الممكن أنها ما استطاعت استيفاء الكلام كما من حقه. فلا يكلف الله نفساً إلّا وسعها. ومن الله التوفيق وعليه التكلان.

ملحّص الرسالة بالفارسية

دیباچه

أبو العلاء معرى، شاعر فيلسوف و حكيم عرب است، كه در سال ٣٦٣ ق در معزه سوريه دیده به جهان گشود. در همان اوان کودکی، يعني در سن چهارسالگی، روزگار، قسوتش را بر او فمایان ساخت، و بر اثر بیماری آبله بینائیش را از دست داد، و تا آخرین لحظه عمرش از این نعمت محروم ماند.

این نقص جسمانی تاثیری بر رشد فكري وي نداشت، ومانع از اين نشد كه دنياى حكمت وفلسفه از وجود حكيم معزه بي بهره چهاند.

او كه در خانواده اي اهل علم و ادب، زاده شده بود، از روزهای نخستین عمرش با کتاب و حکمت انس گرفت، و در نوجوانی به شوق دیدار کتابخانه ها، عازم سفر شد، و باز هم نابینایی مانع عشق و افراش به علم و حکمت نشد. شاید بتوان سفرش را به بغداد را مهمترین و سرنوشت ساز ترین سفر وي به شمار آورد. بغداد در آن زمان، مرکز سیاسی و نیز علمی جهان اسلام به شمار میرفت، و سران مذاهب و گروههای علمی در آنجا حضور داشتند.

از گفته أبو العلاء چنین بر می آيد كه قدموم وي را در بغداد گرامی داشتند، واو نیز از اقامتش در این شهر رضایت داشت.

اما پس از شنیدن خبر بیماری مادرش، به شوق دیدار دوباره وي، عازم دیار خویش می گردد، و زمانی به آنجا می رسد كه مادر از دنيا رفته است. وي دیگر نه به بغداد، ونه به هیچ شهر دیگری سفر نکرد، بلکه در خانه مقیم گشت و دوره زهد وي آغاز گردید.

با هیچ کس دیدار نمی کرد اما پس از مدتی، وبه توصیه دوستان و بستگان در خانه وي به روی دوستداران علم و حکمت گشوده شد، و آنان به شوق استماع سخنان

أبو العلاء از راههای دور ونژدیک، پای بر این خانه نهادند. از جمله شاگردان وی می توان به خطیب تبریزی اشاره کرد که رنج سفر را بر خود هموار نمود، واز تبریز به شوق دیدار معزی عازم معزه شد و سالها در محضر وی تلمذ نمود.

سرانجام وپس از اینکه أبو العلاء، عمری را مصروف تعلم و تعلیم حکمت و علم نموده بود، در سال ۴۶۷ هـ ق دیده از جهان فروبست، ووصیت نمود بر قبرش بنویسند: این جنایتی است که پدرم بر من نمود و من در حق هیچ کسی مرتکب نشدم.

فصل اول

پژوهشی در اوضاع عصر أبو العلاء و حیات وی

اولاً: اوضاع عصر أبو العلاء

نظر به اهمیت شرایط حاکم بر جامعه أبو العلاء اعم از شرایط سیاسی و اقتصادی و اجتماعی نخست خلاصه‌ای از اوضاع عصر معری را بیان می‌کنیم:

أ : اوضاع سیاسی

آنگونه که دکتر طه حسین بیان می‌کند می‌توان اوضاع سیاسی عصر عباسی را که أبو العلاء در برده‌ای از آن می‌زیسته است به دو قسم تقسیم نمود: اولاً، قبل از أبو العلاء وثانیاً، در زمان وی و بعد از آن. یا تقسیمی دیگر یعنی: قسم اول، عصر خلفا و قسم دوم، عصر ملوک (حکومتهای ملوک الطاویف)؛

دوره اول که دوره قوت خلفاست، قرون اولیه دوره عباسی است اما به مرور زمان و پس از اینکه خلفا به ایرانیان اعتماد نمودند، در پی نفوذ زیاد آنان در دستگاه حکومت درگیریهای بسیاری میان آنان در گرفت و سبب تضعیف عباسیان شد. پس از مدتی در زمان متعصم از آنجا که مادر وی ترک بود و نیز در پی بی اعتمادی وی به ایرانیان و حتی به عربها از ترکها در امور حکومت بهره گرفت.

پس از مدتی در پی قدرت گفتن بیش از حد ترکان، قدرت خلیفه رو به زوال رفت و در نهایت به کلی از میان رفت و بجای آن حکومتهای ملوک الطاویف در اقصی نقاط امپراتوری شکست خورده عباسی شکل گرفت که این عصر نیز به دو قسمت، یعنی: دیلمیان و سلجوقیان تقسیم می‌شد و أبو العلاء معری در عصر دیلمیان می‌زیست.

ب : اوضاع اجتماعی

طبعتاً اوضاع سیاسی عصر أبو العلاء که هرج و مرج بر آن مسلط بود، نمی‌تواند شرایط اجتماعی نیکویی را به دنبال داشته باشد و چنانکه گفته می‌شود: مردم بر دین

حاکمان خود هستند.

دربار فاسد عباسی فساد اجتماعی را به دنبال می آورد از دلایل دیگر این فساد اجتماعی می توان به این امور اشاره کرد:

- قدرت گرفتن غیر عربها و تلاش آنان برای فاسد کردن جامعه به قصد براندازی حکومت.
- سپردن امور حکومتی به کسانی که آشنایی و تخصص لازم را نداشتند، از جمله مغاربه آفریقایی یا رومی ها که به دنبال شهوترانی و دنیا طلبی بودند.
- کثرت کنیزان زیبا از ملیتهای گوناگون که بی حد و حصر، در اختیار مردان عرب بودند ورقابتهاي حاصلانه میان زنان و فرزندانشان با یكديگر (زلزل نظام خانواده).

ج: اوضاع اقتصادی

اقتصاد هر کشوری معلول سیاست آن کشور است. در نتیجه اوضاع اقتصادی عصر أبو العلاء ودر پی نابسامانی های سیاسی و اجتماعی، بیمار است ونیز از سوی دیگر بلایای طبیعی مثل زلزله و خشکسالی نیز مزید بر علت شده وقتی وغارت را افزایش داده است.

د: اوضاع فرهنگی

آنچه در این میان تعجب آور به نظر می رسد این است که اوضاع فرهنگی در عصر أبو العلاء، بر خلاف سیاست و اقتصاد بسیار شکوفاست ودر حقیقت دوران طلایی خود را می گذراند واز اسباب آن می توان اشاره کرد به :

- شکل گرفتن حکومتهای متعدد ملوک الطوایفی ورقابت آنان بر سر جلب توجه شاعران وادیبان.
- اهمیت یافتن سفرهای علمی وادبی و به دنبال آن نهضت ترجمه که تاثیر شگرفی بر فلسفه وسایر علوم داشت و انقلابی را در حیات دینی ایجاد کرد.

پس از ولادت أبو العلاء، پدرش برای وی کنیه أبو العلاء را برگزید که او بعدها بر این انتخاب می تازد و خود را أبو النزول می نامد و نیز نامش را که احمد است نمی پسندد و می گوید که در من چیزی که مستحق حمد باشد وجود ندارد.

نکته دوم پیرامون نایبینایی أبو العلاست که شاید بتوان آن را مهمترین پدیده زندگی وی دانست، این نقص بیش از آنکه بر زندگی علمی وی تأثیر بگذارد بر روح و روان او تأثیر گذاشت تا جایی که او از آن به عنوان زندان یاد می کند.

نکته سوم سفرهای أبو العلاست؛ سفرهای وی به حلب و انطاکیه و لاذقیه و طرابلس و صناء و بغداد بوده است که آخرین سفر وی یعنی سفرش به بغداد مهمترین آنهاست، تأثیرات علمی این سفرها بر افکار وی انکار ناپذیر است خصوصاً با توجه به اینکه نیت أبو العلاء از این سفرها نه مالی بوده است ونه برای بدست آوردن منصب، بلکه برای دیدار از کتابخانه ها و آشنایی با علماء و گروههای علمی بوده است که از آن جمله می توان به آشنایی وی با گروه اخوان الصفا در بغداد و نیز علمایی نظیر سید مرتضی اشاره نمود.

فصل دوم

پیرامون فلسفه أبو العلاء

در بررسی فلسفه أبو العلاء اولین سوالی که به ذهن خطور می کند این است که آیا می توان وی را در جرگه فیلسوفان به حساب آورد یا نه؟

طبعیتاً گفتارها پیرامون اثبات ویا رد این قضیه فراوان است؛ برخی شیوه شعری وی ونیز بیان اعتقادات فلسفی وی را پسندیده اند و او را تحسین نموده، فیلسوفی شاعر نامیده اند و برخی نیز بدلیل تکلف کلامی و پیچیدگی لغوی موجود در شعرش از فهم برخی لغات یا مفاهیم شعری وی عاجز بوده و این نقص خود را به پای ضعف شاعر نوشته اند و مفاهیم فلسفی موجود در شعرش را چیزی جز گفتارهای ناقص و پراکنده نمی دانند.

اما آنچه که بیانش در اینجا ضروری به نظر میرسد این است که أبو العلاء شاعری است که مبانی فلسفی اش را در قالب شعر ریخته است، فلسفه او فلسفه ای نظیر فلسفه ارسسطو نیست بلکه به حق می توان گفت: او فیلسوفی است که در حیاتش مدنیه فاضله ترسیم نمی کند بلکه با تفکر عمیق در پدیده های روزمره زندگی واقع تلخ موجود را درک کرده و برایش راه حل ارائه می دهد. پایه فلسفه وی اعتماد بر عقل است وی رجوع به عقل را راه حل هر مشکلی می داند و آن را نسخه ای برای علاج بیماری خلقی اجتماع فاسدش می داند.

آنچه که در بررسی آرای أبو العلاء از سوی اکثر نویسندهای پایه و اساس قرار گرفته، اثبات بدینی اöst. واقعیت این است که این لفظ اولین بار از سوی مستشرقین وارد آثار مکتوب پیرامون أبو العلاء شد و نویسندهای دیگر نیز از آنان پیروی نمودند.

اما به نظر می رسد که این نامگذاری برای وی خطأ بوده است و أبو العلاء تنها به جرم واقع بینی، بدین نامیده شده است. آنچه او در بیان خلق بد مردم روزگار خویش در فساد دینداران عصر خویش بر زبان می آورد، حقیقتی است انکار ناپذیر.

فصل سوم

معّرى واعتقادات دینی وی در دیوان «لزومیات»

اولاً: گفتاری پیرامون دیوان «لزومیات»

دیوان «لزومیات» دیوان اشعار فلسفی أبو العلاء معّرى است که مشتمل بر بیش از یازده هزار بیت است. مشخص نیست که أبو العلاء سرودن این دیوان را دقیقاً از چه زمانی آغاز کرد، اما می‌توان گفت که قسمت اعظم آن را بعد از بازگشت از بغداد سروده است.

در مقدمه ای که أبو العلاء بر این دیوان نوشته است تأکید کرده است که آنچه او سروده، چیزی جز رعایت صدق و دوری از کذب نیست و نیز تلاش بر تمجید خداوند و تذکر ناسکین و تنبیه غافلین و تحذیر از دنیا است.

در این مقدمه حروف قافیه و حرکات آن و نیز عیوب قافیه به تفصیل ذکر شده است که حاکی از تسلط کامل أبو العلاء بر علم قافیه است.

ترتیب لزومیات نیز بر حسب حروف الفباء و هر حرفی ابتدا با حرکات ضمه سپس فتحه سپس کسره و سپس سکون ذکر شده است.

اسلوب شعری وی در حقیقت بکارگیری جملات کوتاه و در نهایت بلاغت معنوی است، گرچه أبو العلاء گاهی برای اظهار ثروت لغویش کلمات غیر متداول را در اشعارش بکار برده است.

وی برای بیان حکمت‌هایش در بسیاری از ابیات از تشییهات واستعارات و کنایات بهره جسته و در این امر توفیق بسیاری کسب کرده است.

أ : دین

همانگونه که اشاره شد، تکیه فلسفه علایی بر عقل است. پر واضح است که چنین فیلسوفی دین را که از مهمترین پدیده های حیات بشری است را نیز از صافی عقل عبور می دهد. بیان این نکته ضروری به نظر می رسد که أبو العلاء منکر پیامبران وادیان نیست بلکه معتقد است که پیامبران در به سعادت رساندن بیش توقیقی حاصل ننموده اند و دلیل آن را طبع فاسد بشر می داند که به هیچ روی هدایت پذیر نیست. نکته دیگر این است که او همه ادیان را تحریف شده وغیر قابل استفاده می داند و معتقد است که بدفهمی در مورد دین در میان همه امتها بوجود آمده است ونیز او معتقد است که ادیان کتونی در دست بشر نه تنها او را به سعادت نمی رساند بلکه به سراشیبی سقوط نیز افکنده است.

آنچه مردم از آن به عنوان دین یاد می کنند، چیزی جز تقليد کورکورانه از سنتهای پیشینیان نیست که بسیاری از اصول آن باطل و ناصحیح است.

درباره مسیحیان: وی با مسیحیان واعتقادات آنان آشنایی کافی را داشت؛ در معره ونیز لاذقیه با آنان آشنا شد، عزلت راهبان مسیحی وزهدشان او را خوش آمده است ولی او تعظیم صلیب از سوی آنان را عملی زشت می داند و آن را ناشی از گمراهی آنان می داند ونیز اعتقادشان به تثیث (سه خدایی: پدر و پسر و روح القدس) را.

درباره یهودیان: وی تورات را سراسر جعل و تحریف و دروغ می داند.

درباره اسلام: او اسلام را بر دیگر ادیان ترجیح می دهد و شاید دلیلش این است که تا زمان وی تحریف بسیار کمتری نسبت به بقیه ادیان در آن صورت گرفته بوده و قصیده ای نیز در تمجید اسلام وحضرت محمد صلی الله علیه وسلم سروده است.

ب : توحید و معاد

ابو العلاء در وجود خدا هیچ شک و شبیهه ای به خود راه نمی دهد واعتقاد به خدای یکتا را از نشانه های عقل سليم می داند وخداؤند را حکیم و قدیم و خالق همه چیز می داند.

آنچه بیش از همه چیز حیرت أبو العلاء را بر انگیخته مبحث معاد است؛ او معتقد

است این قضیه پیچیدگی های زیادی دارد زیرا هیچ کسی نمی تواند نتیجه درستی درباره آن بیابد؛ برخی بر این عقیده اند که وی به معاد جسمانی اعتقاد ندارد و تنها به معاد روحانی معتقد است و خود او نیز این مطلب را ذکر می کند که اگر قرار باشد معاد جسمانی انجام پذیرد، تنها ساکنان شهرها کافیست که همه چا از انسانها پر شود و نیز در بحث سوزاندن اجساد توسط هنود بحث معاد جسمانی را زیر سوال برد، می گوید: وقتی این جسد تبدیل به خاکستر شود پس فشار قبر وسؤال نکیر و منکر چه می شود؟
او در مساله معاد متغیر است.

ج: دیدگاه وی درباره مذهب فاطمی

أبو العلاء هج گاه خود را پیرو مذهب خاص یا دین خاص ندانسته است اما شاید رابطه وی با جماعت اخوان الصفا بتواند برخی از زوایای اعتقادی وی را آشکار سازد.
جماعت اخوان الصفا، گروهی بودند که تمام همتشان را مصروف نزدیک کردن دین و فلسفه نمودند؛ آنان مجموعه ای را به نام «رسائل اخوان الصفا» منتشر کردند که ثروت علمی بزرگی است و در الأزهر فاطمی تدریس می شده است. اعضای این جماعت مجھول الهویه هستند.
أبو العلاء با این گروه در بغداد آشنا شد و مشابهات بسیاری میان أبو العلاء و این جماعت به چشم می خورد.

عده زیادی این جماعت را از فرقه «اسماعیلیه» دانسته اند که از جمله آنان می توان به «گلدزیهر» و «عارف تامر» اشاره نمود.
سیادت عقل، اعتقاد به معاد جسمانی، معتقد نبودن به فرقه یا دین خاصی، از جمله مشابهات أبو العلاء با آنان است.

مارون عبود نویسنده کتاب «أبو العلاء المعری؛ زوبعه الدهور» در صدد اثبات فاطمی بودن أبو العلاء بر آمده و می گوید که أبو العلاء از جماعت اخوان الصفا خواسته است که مقلد او شوند و دیوان لزومیات را به عنوان کتابی مشتمل بر اصول فلسفه خود برای آنان سروده است و دروزی های لبنان را مقلدان او می داند.

د: دیدگاهش درباره سایر مذاهب (اسلامی و غیر اسلامی)

معتزله: معتزله فرقه ای است که در سیادت عقل با أبو العلاء هم عقیده است اما أبو العلاء هیچ گاه خود را، از آنان ندانسته است.

شیعه: أبو العلاء از برخی اعتقادات شیعیان از جمله، زیارت قبر امام علی در کوفه و اختلاف آنان با اهل سنت را نمی پنیرد و می گوید، شیعیان حادثه غدیر خم را فضیلت خود میدانند و اهل سنت حادثه غار را (حضور ابوپکر در کنار پیامبر صلی الله علیه وسلم در غار هنگام هجرت به مدینه) و نیز اعتقاد شیعیان به ظهور حضرت مهدی را نمی پنیرد.

مرجته: فرقه ای هستند که قول را بر عمل مقدم می دانند و می گویند ایمان آوردن با زبان، مهمتر است از عدم ارتکاب به گناهان وأبو العلاء خود را از آنان به دور می داند و اعتقادات آنان را گمراهی می داند.

مذاهب هنود: از مهمترین این مذاهب می توان به بودا و پرها اشاره نمود؛ أبو العلاء سوزاندن اجساد توسط هندوها را بهتر از کافور مسلمانان می داند اما خودسوزی آنان را امری سخت و طاقت فرسا می داند.

مذهب مجوس: او به مذهب مجوسی که زرتشتیان یکی از فرقه های آن است نیز اشاره کرده و می گوید که مسیحیان از ازدواج با دختر عموهایشان دوری می کنند ولی مجوسی ها با خواهرانشان ازدواج می کنند و این را شایسته سرزنش می داند، همچنین این که آنان ادرار گاو را مقدس می دانند.

هـ: دیدگاه أبو العلاء درباره عالمان دین

آنچه معربی را آزار می دهد این است که عالمان دین در چهت سوء استفاده از دین، عقل مردم را بازیچه قرار می دهند.

او دین را وسیله امرار معاش آنان می داند و مردم را به پیروی از عقول سلیم خودشان توصیه می کند، طبعاً منظور نظر معربی آن دسته از عالمان دینند که دین را وسیله متع خود قرار داده اند و آن را در خدمت امیال خویش درآورده اند.

فصل چهارم

سیره عملی أبو العلاء معری

الف: زهد أبو العلاء

زهد به معانی رویگردانی از نعمتهای دنیوی ولذات آن است؛ زهد سیره ای است که أبو العلاء برای زندگی خویش برگزید، همانگونه که دیگران را نیز به پیروی از این سیره دعوت نموده، زهد در زندگی وی با دوری از مردم و ترک ازدواج و فرزندآوری و نیز اکتفا به حداقل غذا نمود پیدا کرد. گرچه وی بر خلاف میل خود نتوانست بطور کامل از مردم دوری کند و هر روزه بسیاری از طالبان علم واندیشه، در محضر درسش حاضر می شدند. او از غذاهای به لقمه ای نان وانجیر قناعت می نمود، هرگز گوشت نخورد و معتقد بود که ذبح حیوانات و خوردن گوشت آنان یا محصولاتشان نظیر (تخم مرغ و عسل) بر خلاف خواست آنان است. این دوره زندگی وی پس از بازگشتش از بغداد آغاز شد.

د: زن در دیدگاه أبو العلاء

به عقیده معری زن فته است و مرد باید از آن دوری کند. گاهی نیز صورت وحشتناکی از وی ترسیم می کند واو را به افعی یا حیوانی درنده شبیه می کند. واقعیت این است که أبو العلاء نیز مانند بسیاری از شعراء وادباء، واقعیات زمانه خویش را ترسیم نموده وزن دوره أبو العلاء (البته غالباً آنان) موجودی بوده است که سعی داشته با هر وسیله ممکن، مردان را مفتون خود ساخته واز آنان بهره جوید و نیز نباید فساد واباحی گری در دربار حکام و نیز در سطح جامعه را نادیده گرفت، در حالیکه زنان نقش مهمی در این فساد داشته اند.

اما زنان پاکدامن و عفیف نیز از دید أبو العلاء دور نمانده اند، آنگونه که مادرش را نمونه زنی عفیف می داند. وی توصیه می کند که زنان برای هیچ امری از خانه خارج

نشوند و حتی درباره امور دینی نیز تا جایی که می توانند خارج از خانه نروند و نیز آنان را به ازدواج توصیه می کند.

ج : فرزند آوری

أبو العلاء ازدواج و به دنبال آن، فرزند آوری را امری ناشی از تقلید آدمیان از یکدیگر می داند و آن را مرضی مسری می داند و می گوید که بدترین دشمنان انسان، اول خودش است و بعد فرزندش.

د : مقایسه ای میان أبو العلاء و شوپنهاور

آرتور شوپنهاور فیلسوف آلمانی قرن نوزدهم میلادی است که از پایه گذاران فلسفه اگزیستانسیالیزم به شمار می رود؛ او بر خلاف أبو العلاء از نعمت مادری مهربان برخوردار نبود و از زمان کودکی نوعی تنفر بر رفتار آن دو نسبت به هم حکمفرما بود، برخی این تنفر را ناشی از بی وفایی مادرش نسبت به پدر وی و درنتیجه، خودکشی پدر می دانند.

او تا اواخر عمرش نسبت به زنان، بدین ماند و ازدواج نکرد. به فلسفه هندی علاقه وافری داشت، او مانند أبو العلاء اکثر مردم را نادان و گمراه می پندشت وزندگی دنیا را امری سرشار از زجر و ناراحتی و مرگ را، نعمتی بس بزرگ می پندشت.

اما درباره عقل، باید گفت که با وجود منزلت عقل نزد شوپنهاور، او عقل را در مرتبه دوم اهمیت پس از اراده قرار می داد و آن را در خدمت اراده می دانست.

اما درباره زن، مشترکات زیادی میان آن دو وجود دارد؛ وی زن را موجودی فاقد خلاقیتهای هنری می داند و معتقد است که زن نمی تواند فعالیتهای عقلی یا عملی سخت را انجام دهد، او زن را جنس دوم می پندارد و معتقد است که او همیشه باید تحت امر یک مرد زندگی کند البته این عقاید با عقاید هندیان بسیار شباهت دارد.

ه : آراء معاصران أبو العلاء درباره وی

بررسی دیدگاه معاصران أبو العلاء از دو جنبه حائز اهمیت است: اول اینکه،

شخصیت وی تا چه اندازه میان فرهیختگان علمی و ادبی عصرش رخ نموده است، و دوم اینکه دلایل آنان در قبول یا رد شخصیت علمی وی چه بوده است.

علمان و نویسنده‌گان سرشناسی چون: یاقوت حموی و ابن خلکان و ابن اثیر و...، گرچه همه آنان بالاتفاق وی را حکیمی ادیب و شاعری لغت دان و در نهایت هوش و حافظه دانسته اند اما گاهی نیز به دلیل سوء فهم یا جو حاکم بر جامعه، یعنی متهم کردن فیلسوفان به زندقه، تهمت‌های نارواهی را بر وی نسبت داده اند.

شیخ الإسلام علی بن احمد الهکاری او را مسلمان دانسته اما ابن اثیر گفته است که بسیاری از مردوم او (أبو العلاء) را زندیق می دانند و ابن خلکان او را پیرو مذاهب هنود می داند و ابن جوزی نیز گفته است: زندیقان اسلام سه نفرند: ابن راوندی و توحیدی و أبو العلاء معری و أبو الفداء نیز او را فاسد العقیده می داند. اما از معاصرین: جرجی زیدان می گوید: مرحله سوم شعر عباسی با أبو العلاء معری خاتمه یافت آنگونه که با متنبی آغاز شد.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم
٢. أبو ريان، محمد علي. تاريخ الفلسفة اليونانية؛ الطبعة الأولى. القاهرة: دار الجامعات المصرية، ١٩٧٨ م.
٣. أبو الفداء، اسماعيل (١٢٧٣ - ١٣٣١ م). المختصر في أخبار البشر؛ لا طبعة. القاهرة: طبعة الآستانة، ١٣٨٦ ق.
٤. أدهم، علي. بين الفلسفة والأدب؛ الطبعة الأولى. القاهرة: دار المعارف المصرية، ١٩٧٨ م.
٥. أرسسطو. فنُ الشعر؛ ترجمة شكري عياد. لاطبعة. القاهرة: دار الكاتب العربي، لا تاريخ.
٦. إبراهيم حسن، حسن. تاريخ الإسلام السياسي الديني والإجتماعي؛ الطبعة التاسعة. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٨ م.
٧. ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن عبد الواحد الشيباني (١١٦٠-١٢٣٤ م). الكامل في التاريخ؛ لا طبعة. القاهرة: مطبعة بولاق، ١٢٩٠ ق.
٨. ابن الأنباري، محمد بن قاسم أبو البركات (١١٩١-١١٨١ م). نزهة الألباء في طبقات الأدباء؛ تحقيق محمد ابوالفضل ابراهيم. لا طبعة. الكويت: دار المطبوعات والنشر، لا تاريخ.
٩. ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف (١٤٦٩-١٤٠٩). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة؛ القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للنشر، لا تاريخ.
١٠. ابن جوزي، عبد الرحمن (١١٢١-١٢٠٠). المنظم في أخبار الأمم؛ طبعة حيدر آباد، ١٣٥٨ ق.
١١. ابن جوزي، عبد الرحمن (١١٢١-١٢٠٠). تلبيس إبليس؛ مطبعة النهضة بمصر، لا تاريخ.

١٢. ابن خلkan، شمس الدين أبو العباس (١٢١١-١٢٨٢). وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان؛ تحقيق إحسان عباس. لا طبعة. بيروت : دار الثقافة ، لاتاريخ.
١٣. ابن قبية، أبو أحمد عبدالله بن مسلم. (٨٢٨-٨٨٩). الشعر والشعراء؛ الطبعة الرابعة. بيروت : دار الثقافة، ١٩٨٠.
١٤. الإصفهاني، الراغب. مفردات؛ تحقيق نديم مرعشلي . المكتبة المترضوية، ١٩٧٢م.
١٥. الباخرزي، أبو الحسن علي (ت ٥٤٦٧). دمية القصر وعصرة أهل العصر؛ لا طبعة. حلب: المطبعة العلمية بحلب، ٥١٣٤٩ . ق.
١٦. بدوي، عبد الرحمن. الإنسانية والوجودية في الفكر العربي؛ الطبعة الأولى. الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٨٢ م.
١٧. بوخينسكي، جوزيف. مدخل الفكر الفلسفى؛ ترجمة محمود زقزوق. الطبعة الأولى. القاهرة: مكتبة الأنجلوالمصرية، ١٩٩١ م.
١٨. جماعة من الخصيّصين والأساتذة، المنجد في اللغة والأعلام؛ الطبعة الحادية والعشرون. بيروت : دارالمشرق، ١٩٧٣ م.
١٩. الجندي، محمد سليم. الجامع في أخبار أبي العلاء المعري وآثاره؛ علّق عليه وأشرف على طبعة: عبد الهادي الهاشم. الطبعة الثانية. بيروت : دارصادر، ١٩٩٢ م. ٣ أجزاء
٢٠. حسين، طه. تجديد ذكرى أبي العلاء؛ الطبعة الثالثة. مطبعة دارالمعارف بمصر ، لا تاريخ.
٢١. حسين، طه. ذكرى أبي العلاء؛ الطبعة الخامسة. مطبعة دارالمعارف بمصر ، لا تاريخ.
٢٢. حسين، طه. مع أبي العلاء في سجنه؛ الطبعة الخامسة. مطبعة دارالمعارف بمصر ، لا تاريخ.
٢٣. حسين، طه. مع أبي العلاء في سجنه؛ الطبعة الثالثة عشرة. مطبعة دارالمعارف بمصر ، لا تاريخ.
٢٤. حسين، طه. تعريف القدماء بأبي العلاء؛ لا طبعة. مكتبة دار الكتب المصرية، ١٩٩٤ م.
٢٥. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي. تاريخ بغداد أو مدينة السلام؛ لا طبعة. بيروت : دار الفكر، لا تاريخ.
٢٦. زيدان، جرجي. تاريخ آداب اللغة العربية؛ الطبعة الثانية. بيروت. دار ومكتبة الحياة، ١٩٧٨ م.

٢٧. السيوطى، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن (ت ٥٩١١). بغية الوعا في طبقات اللغويين والنحاة؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. الطبعة الثانية. بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩ م.
٢٨. شبل، مالك. الإسلام والعقل؛ الطبعة الأولى. باريس: مطبعة تيموس، ٢٠٠٧ م.
٢٩. شرف الدين، خليل. في سبيل الموسوعة الفلسفية؛ الطبعة الأولى. بيروت: دار ومكتبة الهلال، ٢٠٠٢ م.
٣٠. الشوابكة، محمد علي. معجم مصطلحات العروض والقافية؛ الأردن: دارالبشير عمان، ١٩٩١ م.
٣١. صبرى، أحمد. إخوان الصفا بين الفكر والسياسة؛ الطبعة الأولى. القاهرة: المكتبة المصرية، ٢٠٠٥ م.
٣٢. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك (١٣٦٢-١٢٩٦م) الوافى بالوفيات؛ الطبعة الثانية. دار النشر فرانز شتاينر بقىسبادن، ١٩٨١ م.
٣٣. ضيف، شوقي. تاريخ الأدب العربي؛ المكتبة الثانية. مطبعة دار المعارف بمصر، لا تاريخ.
٣٤. الطباطبائى، محمد حسين. الميزان في تفسير القرآن؛ الطبعة الثانية. قم: منشورات اسماعيليان، ١٣٩٤هـ. ق.
٣٥. الطبرى، محمد بن جرير (ت ٥٣١٠). تاريخ الرسل والملوك؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. الطبعة الرابعة. مطبعة دار المعارف بمصر، لا تاريخ.
٣٦. الطويل، توفيق. قصة النزاع بين الفلسفة والدين؛ لا طبعة. القاهرة: مكتبة الآداب بالجماهير، ١٩٤٧ م.
٣٧. عبود، مارون. أبو العلاء المعري زوجة الدهور؛ الطبعة الثالثة. بيروت: دار مارون عبود ١٩٧٠ م.
٣٨. عبد المنعم عباس، راوية. بليز باسكال وفلسفة الإنسان؛ الطبعة الأولى. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٩٦ م.
٣٩. عبد الحكيم القاضي، محمد عبد الرزاق عرفات. إتحاف الفضلاء برسائل أبي العلاء؛ الطبعة الأولى. القاهرة: دار الحديث، ١٩٨٩ م.
٤٠. عزمي، إسلام. إتجاهات في الفلسفة المعاصرة؛ الطبعة الثانية. الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٨٠ م.

٤١. عليان، أحمد محمد. جدلية العلاقة بين الفلسفة والأدب؛ الطبعة الأولى. بيروت: دار المنهل اللبناني، م٢٠٠٠.
٤٢. الفاخوري، حنا. الجامع في تاريخ الأدب العربي؛ لطبعه. بيروت: دار الجيل، لاتاريخ.
٤٣. فروخ، عمر. تاريخ الأدب العربي، الطبعة الخامسة. بيروت: دار العلم للملائين، ١٩٨٤ م.
٤٤. فروخ، عمر. أبو العلاء المعري الشاعر الحكيم؛ لا طبعة. بيروت: دار الشرق الجديد، ١٩٦٠ م.
٤٥. كنجيان، علي. مصادر ثقافة أبي العلاء المعري؛ الطبعة الأولى. القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ٢٠٠١ م.
٤٦. محمود، مصطفى. الأدب العربي وتاريخه؛ الطبعة الثانية. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٧٣ م.
٤٧. المعري، أبو العلاء أحمد بن عبدالله سليمان. ديوان لزوم ما لا يلزم؛ تحقيق وشرح: د. كمال اليازجي. الطبعة الثانية. بيروت: دار الجيل، ١٩٩٢ م.
٤٨. المعري، أبو العلاء أحمد بن عبدالله سليمان. ديوان سقط الزند؛ قدم له وضبطه وشرحه: د. صلاح الدين الهواري. الطبعة الأولى. بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٧ م.
٤٩. المعري، أبو العلاء أحمد بن عبدالله سليمان. الفصول والغaiات في تمجيد الله والموعظ؛ تحقيق محمود حسن زناتي. لا طبعة. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧ م.
٥٠. المعري، أبو العلاء أحمد بن عبدالله سليمان. رسالة الغفران؛ قدم له وشرحه د. مفید قمیحة. لا طبعة. بيروت: دار ومكتبة الهلال، ٢٠٠٠ م.
٥١. ياقوت الحموي، ابن عبدالله (١٢٢٩-١١٧٩ م). معجم البلدان؛ لا طبعة. بيروت: دار صادر، لا تاريخ.
٥٢. ياقوت الحموي، ابن عبدالله (١٢٢٩-١١٧٩ م). معجم الأدباء؛ الطبعة الثالثة. بيروت: دار صادر، ١٩٨٠ م.

المراجع الفارسية

۱. إخوان الصفا. رسائل إخوان الصفا؛ ترجمه: عبد المحمد آيتی. چاپ اول. تهران: نشر نی، ۵۱۳۸۲. ش.
۲. برن، ژان. فلسفه اپیکور؛ ترجمه: دکتر سید أبو القاسم پورحسینی. چاپ اول. تهران: شرکت سهامی کتابهای جیبی، ۵۱۳۵۷. ش.
۳. پاپکین، ریچارد و آروم استرول. کلیات فلسفه؛ ترجمه: دکتر سید جلال الدین مجتبوی. تهران: انتشارات حکمت، ۵۱۳۵۴. ش.
۴. دلاوری، أبو الفضل. اندیشه های سیاسی اخوان الصفا؛ چاپ اول. تهران: انتشارات مؤسسه فرهنگی مطبوعاتی ایران، ۵۱۳۸۴. ش.
۵. راسل، برتراند. تاریخ فلسفه غرب؛ ترجمه: نجف دریابندری. چاپ سوم. تهران: نشر پرواز، ۵۱۳۶۵. ش.
۶. سوتر، فرناندو. پرسش‌های زندگی، ترجمه: عباس مخبر. چاپ اول. تهران: طرح نو، ۵۱۳۸۴. ش.
۷. غفوری، علی. یادداشتهای درباره نیهیلیسم؛ چاپ اول. تهران: دفتر نشر فرهنگ اسلامی، ۵۱۳۹۷. ق.
۸. فروخ، عمر. عقاید فلسفی أبو العلاء؛ ترجمه: حسین خدیو جم. چاپ سوم. تهران: انتشارات علمی و فرهنگی، ۵۱۳۸۱. ش.

فهرس الشعر

الصفحة	البحر		البيت / القافية
		(الهمزة)	
٧٩	الطویل	دياناتکم مکر من القدماء	أفیقوا أفقیوا يا غواة فإما
٧٩	»	ویادوا ودامت سنة اللؤماء	أرادوا بها جمع الحظام فادرکوا
٦٦	الطویل	بنصح فإنا منهم براء	إذا قومنا لم يعبدوا الله وحده
٤٧	الطویل	بذاك ودين العالمين رباء	ارائیک فلیغفر لی الله زلتی
٩٤	الطویل	بعدوى فما أعدتني الثوباء	ثقاءب عمرو اذ ثقاءب خالد
٥٧	الطویل	تشد وتنأى عنهم القراء	أولوا الفضل في أوطانهم غرباء
٩٤	الطویل	وبیني ولم يصل بلدمي باء	تواصل حبل النسل ما بين آدم
١٠٨	الطویل	ولم يرتفع من أمّه النفساء	فلیت ولیداً مات ساعة وضعه
٨٦	الطویل	وأعلم أن الملوت من غرمائي	وكيف أقضى ساعة بمسرة
٥٨	الوافر	فشاهد صدق ذلك إذ تقاء	أرى جرع الحياة أمر شيء
٨٣، ٨٢	الوافر	بصاحب حيلة يعظ النساء	رويدک قد غترت وأنت غر
٨٧	البسیط	وقربهم للحجاج والدين أدواء	بعدي عن الناس براء من سقامهم
٦٣	مخلع	وقام في الأرض أنبياء	كم وعظ الواعظون متأ
٦٣	»	ولم يزل داؤک العباء	فانصرفوا والبلاء باق
٧٥	الخفیف	ناطق في الكتبة الخرساء	يرتجي الناس أن يقوم إمام
٧٥، ٤٣	»	مل مشيراً في صبحه والمتساء	كذب الظن لا إمام سوى العق
٧٥	»	لة عند المسير والإرساء	فإذا ما أطعنه جلب الرحم
٩٢	الخفیف	ص تغنى عن يونس وبراءة	فصالة الفتاة بالحمد والإخلا
٩٢	»	ن وخلى كتابة وقراءة	علموهن الغزل والتسبیح والرد
٧٩	الخفیف	لجلب الدنيا إلى الرؤساء	إنما هذه المذاهب أسباب
٤٦	الخفیف	لدهر إلا الشخص والأسماء	ويقال الكرام قولًا وما في الـ

(الباء)

٨٨	الطوبل	وقد عشت عيش المستظام المعذب	ألاخشى عذاب الله والله عادل
٨٣	الطوبل	فثاركها عمداً إلى الله أقرب	إذا رام كيداً بالصلة مقيمها
٩٨	الوافر	فلا تأخذ بها أبداً كعباً	إذا كانت لك امرأة عجوز
٩٨	«	فأجدرك أن تكون أقل عابراً	فإن كانت أقل بهاء وجهه
٥٨	الكامل	جرع تغادره كأمس الناضب	عمري غدير كل أنفاسي به
١٠٧، ٤٣	البسيط	فساد عقل صحيح هان ما صعباً	إذا تفكرت فكرأ لا يمازجه
٦٣	البسيط	فهل أحسن لكم طبع بتهنيب؟	جاء النبي بحق كي يهليكم
٦٦	البسيط	بادِ وكل إلى طبع له جنباً	استغفر الله الله لاري في فهو محتجب
١٧	البسيط	أن ليهني آخر النهر أصحابي	الحظ لي ولأهل الأرض كلهم
١٧	«	من نعيم جر إشحابي	وشقة غشيت وجهي بنضرته أبز بي
٧٩	البسيط	وسوف أعزز بعد اليوم طلائي	فاسمع كلامي وحاول أن تعيش به
٧٩	«	أبو الهندل وما قال ابن كلاب	استغفر الله واترك ما حكى لهم
٧٩	«	بازا لبازين أو كلبا لكلاب	فالدين قد خس حتى صار أشرفه
٧٦	البسيط	فيحكموا بين رفاض ونصاب	لم يثبتوا بقياس أصل دينهم
٦٥	البسيط	إلا نظير النصارى أعظموا الصلبان	وما أرى كل قوم ضل رسلهم
٩٠	المنسرح	كررة السم في تسربها	وإنما الخود في مساربها
٦٤	الخفيف	بالنصارى حتى أجلوا الصليبا	قدر نازل من الجو نادي
١٣	المتقارب	أفتلت امساكين مما وهب	إذا وهب الله لي نعمة

(التاء)

٥٣	السريع	نفوستنا تلك الأبيات	ذلت لما تصنع أيامنا
٨٨	السريع	وخلت ألي في الثرى سخت	إن مدحوني سامي مدحهم
٧٨	الطوبل	فقالت نعم لانتنك الأخوات	سألنا مجوساً عن حقيقة دينها
٧٨	«	ولكن عدناه من الهفوات	وذلك في أصل التمجس جائز
٢٣	البسيط	ولا المهنـب أبغـي النـيل تقوـتا	رحلت لم آتـ قـراـواـشـاًـ أـزاـولـهـ
٨٣	البسيط	وأودعـتناـ أـفـانـينـ العـداـواتـ	ـإـنـ الشـرـائـعـ لـقـتـ بـيـنـتـاـ إـحـناـ

الصفحة	البحر	البيت / القافية
٨٨	البسيط	أرضي القليل ولأهتم بالقوت
٧٩	البسيط	إلا احتيال على أخذ الإلوات
٧٩	»	كسب الفوائد لا حب التلوات
٦٦	مخلع البسيط	ولست من معاشر نفقة
٩١	الوافر	لقينك بالأساور معلمات
٩٣	الوافر	من الذي فخرن مهتمات
٩٣	»	ويركتن الضحى متألمات
٩٣	»	اذا قلن امراد متجممات
٩٣	»	يلقنهن آياً محكمات
٩٣	»	ولمته من المستغمات
٩٣	الوافر	ونصح للحياة وللممات
٩٨	»	إلى أخرى تجيء بهؤلات
٩٨	»	تكون به من الملتزمات
		الحمد لله قد أصبحت في دعوة ولا تطعن قوماً ما دينتهم وإنما حفل التوراة قارئها أثبت لي خالقاً حكيمًا فوارس فتنة أعلام غيّ ليأخذن الثلاؤة عن عجوز يسبحن مليك بكل جنح فما عيب على الفتيات لحن ولابددين من رجل ضرير سوى من كان مرتعشاً يداه فهذا قول مخبر شقيق وواحدة كفتك فلاتجاوز وما حفظ الخيرة مثل بعل

(الثاء)

٥٢	المتقارب	ويavnى بأقداره ما حدث	يدوم القديم إلى السماء
٥٢	»	ولكن قصاراه سكنى الجدث	وما أرحب الهرء في عيشه
١٦	الوافر	فلا تسأل عن الخبر النبیث	أراني في الثالثة من سجوني
١٦	»	وحبس الروح في الجسد الغبیث	لقدی ناظری ولزوم بيتي

(الجيم)

٤٢	الطوبل	ولا يرجون غير المهيمن راجع	خذوا في سبيل العقل تهدوا بهديه
٧٦	الوافر	غواة بين معتزل ومرجي	وجدت الناس في هرج ومرج
٨٠	»	معاش عتري ودم يخج	هي الدنيا على ما نحن فيها
٨٠	»	ولابيت بأبطحها يحتج	ليالي ما يمكّة من مقام
٨٠	»	على الصفراء تصرف أو تشجع	وما فشت ولاه الأمر فيها
٨٩	الكامل	يعني وأفرح باليسir الأروع	لكن أقضى مذني بتفقنع

الصفحة	البحر		البيت / القافية
٥٨	الكامل	درُّ طفا من فوق بحر مائج	سبحان من خلق التجموم كأنها
٢١	مجزوء الكامل	(الخاء) ما بين أحمد وابطيس والشيخ من حنق يصبح	في اللذقية فتنة هذا يعالج دلبة
٢١	«»	وذاك أروح من طول التباريح غباءً وأنذهب للنكراء والريح	فأعجب لتحرير أهل الهند ميتهم والنار أطيب من كافور ميتنا
٧٧	البسيط	سيصحبه من حادث الدهر صابع	من لم تبته الخطوب فإنه
٧٧	«»	لتخبر أبناء العقول الصائح	غدوت مريض العقل والرأي فالقني
٨٨	الطوبل	ولا تبغ قوتا من غريب النبائع	فلا تأكلن ما أخرج البحر ظالماً
٨٩	الطوبل	لأطفالها دون الغواي الصرائح	ولابضم أمات أرادت صريحه
٨٩	«»	بما وضعت فالظلم شر القبائح	ولا تفجعن الطير وهي غوافل
٨٩	«»	كوابس من أزهار بنت فواح	ودع ضرب النحل الذي بكرت له
٨٩	«»	ولا جمعته للندى ولماناج	فما أحرزته كي يكون لغيرها
٨٩	«»	أبهت لشاني قبل شب المسائج	مسحت يدي من كل هذا فليتنى
٦٥	السريع	(الخاء) يثبت لا ينسخ فيما نسخ	أحسن بهذا الشرع من ملة
١١٣،٤٥	مجزوء الكامل	(الدال) وما جنت على أحد	هذا جناء أبي علي
٥٨	الكامل	ولإذا رزقت عني فانت السيد	كن من تشاء مهجناً أو خالصاً
٦٥	الكامل	فمسيحكم عندي نظير محمد	لاتبدأوني بالعداوة عنكم
٨٠	الكامل	بهم فمطلق معشر ومقيد	والناس كالأشعار ينطق دهرهم
٨٠	«»	لأنكتبوا ما في البريةجيد	قالوا فلان جيد لصديقه
٨٠	«»	وتحيمهم بصلاته متصيد	فأميرهم نال الإمارة بالخني

الصفحة	البحر		البيت / القافية
٧٧	الوافر	ويقصر دون ما صنع الجهاد	يحرق نفسه الهندي خوفاً
٧٧	»	ولا شرعة صبئوا وهادوا	وما فعلته عباد النصارى
٧٧	»	وذلك منه دين واجهاد	يقرب جسمه للنار عمداً
٩١	الوافر	بهن يضيع الشرف التليد	ألا إن النساء حبال غيٌ
٨٠	البسيط	وأرثوا الدين تقليداً كما وجدوا	عاشوا كما عاش آباء لهم سلفوا
٨٠	»	ولا يبالغون من غي ملن سجدوا	فما يراغعون ما قالوا وما سمعوا
٩١	البسيط	أدهى وأفتك من عريسة الأسد	خدر العروس وإن كانت محيبة
٤٣	البسيط	فالعقل خطير مشير ضمه النادي	فشاور العقل واترك غيره هدرا
٦٤	مخلح البسيط	وتتأمل الذهر أنَّ يهودا	ترجو اليهود لمسيسع يأني
٦٤	»	من بعد ما ضيعوا العهودا	وكيف ترعى لهم عهود
٦٦	الطويل	فيما جاحد أشهد أثني غير جاحد	إذا كنت من فرط السفاه معطلاً
٦٧	الطويل	قديم فما هذا الحديث المؤلَّد	لنا خالق لا يهتئي العقل أنه
١٠٦	الطويل	فما من زمان أنت فيه سعود	ألا إنما الدنيا نحوس لأهلها
٥٥	الطويل	فنقد وأمَا خيره فوعود	عرفت سجايا النهر ألمَا شروره
٩٧	الطويل	فقد بات في الإضرار غير سديد	ومن جمع الضَّرَّارات يطلب لذة

		(الراء)	
١٩	الحقيقة	وهي للغادرين ناز سعير	حلب للولي جنة عدن
٦٤	الكامل	كنب من العلماء والأحبار	ضللت يهود، وإنما توراتها
١٧	الكامل	فمتى يكون الصبح والإسفرار؟	ولطالما صارت ليلاً عائماً
٤٦	الكامل	نجس ويفقد في الأيام الظاهر	وكذلك يدعى ظاهراً من كله
٩٦	الكامل	ولد يكون خروجه من ظهره	أعدى عدوًّا لابن آدم خلته
٦٩	الكامل	فيها وما لخيتها إصحاب	أما القيمة فالتنازع شائع
٦٩	»	يوما إلى ظلم المحار محار	قالت معاشر ما للؤلؤ عائم
٦٩	»	فيخور فيها لينا وبخار	وبدائع الله القدير كثيرة
٤٢	الكامل	فيه تدبُّر كلها وتدار	اللب قطب والذور له رحى
٧٥	الكامل	أخرى تعارضها بيوم الغار	شيع أجلت يوم خم وانشت

الصفحة	البحر	البيت / القافية
٤٧	الكامل	ومن البلية أن يسمى صادقاً
٤٤	البسيط	لويعقلون لهنوا أهل ميتهم
٥٩	البسيط	ولاحت النار كالشقراء يحبسها
٨١	مخلع البسيط	قد أصبح الذين مضمحلأ
٨١	«»	فلا زكاة ولا صيام
٨١	«»	وعاتض حل النكاح قوم
٨١	البسيط	فلا يقرنك من قرائنا زمر
٨١	«»	يقامرون بما أوتوا من حكم
٨١	«»	ييدي التدين محتالا ضمائره
٨١	«»	يشدو مزاعير داود ويفضلله
٨١	البسيط	يدُ بخمس مئين عسجد فديت
٤٣	الوافر	عليك العقل فافعل ما رأاه
٦٤	الوافر	ولا تقبل من التوراة حكمآ
٩١	الوافر	أقيمي لا أعد الحج فرضاً
٩١	«»	ففي بطحاء مكة شر قوم
٤٧	الطويل	ومن شيء الإنس العقوق وجاهل
٧٥	الطويل	وما صخ للمرء المحصل أته
٥٩	الطويل	ولو طار جبريل بقية عمره من الد
٦٠	الطويل	إذا آمن الإنسان بالله فليكن
١٠٧	الطويل	ثُمَّ سرعاً بين عدمين ما لنا
٩٧	الطويل	أيا سارحاً في الجوّ ذنياك معدن
٩٧	«»	فإن أنت لم تملك وشيك فراقها
٩٧	«»	وأنقاك فيها والداك فلا تضع
٨٨	المتقارب	وينأي الفتى رزقه وادعأ
١١٥	المتقارب	عجبت لكسرى وأشياعه
١١٥	«»	وقول النصارى إله يضام
١١٥	«»	وقول اليهود إله يحب

الصفحة	البحر		البيت / القافية
١١٥	«	لرمي الجمار ولثم العجوز	وَقَوْمٌ أَنْتَ مِنْ أَقَاصِي الْبَلَادِ
١١٥	«	أَعْمَى عَنِ الْحَقِّ كُلَّ الْبَشَرِ	فَوَاعْجَبًا مِنْ مَقَالَاتِهِمْ
١١٠	مخلع البسيط	(الله)، وعمرت أمها العجوز	كُمْ غُورِدَتْ غَادِهُ كَعَابِ
١١٠	«	والقبر حرز لها حريز	أَحْرَزَهَا الْوَالَدَانِ خَوْفًا
١١٠	«	والخلد في الدهر لا يجوز	يَجُوزُ أَنْ تَخْطُنَ الْمَنَابِيَا
٨١	مجزوء الكامل	يُبَكِّي عَلَى الْحَدَثَانِ عَاجِزٌ	نَهْنَهَ دَمَوْكَ إِنْ مَنْ
٤٣	الكامل	واحبس لسانك أن يقول مجازاً	فَاسْأَلْ حَجَّاكَ إِذْ أَرْدَتْ هَدَيَةً

١١٦	الحقيقة	(السنن)، بعد طول المقام في الأرماس	زعموا أئنْ سَبَعَثْ حَيَّاً
١١٦	«	بين حور وولدة أكياس	وَأَجْزُوزُ الْجَنَانِ أَرْتَعَ فِيهَا
١١٦	«	مسكين حتى رميته بالوسواس	أَنِّي شَيْءٌ أَصَابَ عَقْلَكَ يَا
٤٦	السريع	وما بها أظلم من ناسها	وَكُلْ حَيٌ فَوْقَهَا ظَالِمٌ
٦١	البسيط	فالنفس أكبر من يدعوه إيليس	إِنْ كَانَ إِلِيلِيسْ ذَا جَنِيدَ يَصُولُ بِهِمْ
٦٢	«	أنَّ النبوة قهوة وتدلisis	وَمَوْهُ النَّاسُ حَتَّى ظَنَ جَاهَلَهُمْ
٦٢	«	فيها استوى جبنة القوم والليس	جَاءَتْ مِنَ الْفَلَكِ الْعُلُويِّ حَادَّةً
٦٢	البسيط	إِلَى الْبَرِيَّةِ عِيَسَاهَا وَلَا مُوسَى	قَاتَلَ مَعَاشِرَ مَيْعَثَ إِلَهَكُمْ
٦٢	«	وصيروا لجميع الناس ناموساً	إِنَّمَا جَعَلُوا لِلنَّوْمِ مَأْكَلَةً
٦٢	«	حتى يعود حليف الغي مرموسًا	وَلَوْ قَدِرْتَ لِعَاقِبَتِ الظَّاغِنِ طَغَوْا
٦٢	الوافر	سطوراً عاد كاتبها بطبعنس	لَقَدْ طَالَ الْفَنَاءَ فَكُمْ يَعْانِي
٦٢	«	وجاء محمد بصلالة خمس	دُعَا مُوسَى فَزَالَ وَقَامَ عِيسَى
٦٢	«	وأودى الناس بين غد وأمس	وَقَيْلَ يَجِيءُ دِينَ بَعْدَ هَذَا
٦٢	«	فيينفع من تنسك بعد خمس	وَمَنْ لِي أَنْ يَعُودَ الدِّينَ عَضَّاً
٤٤	الوافر	فيينفذ أمرهم ويقال ساسة	يَسُوسُونَ الْأَمْرَ بِغَيْرِ عَقْلٍ
٧٨	الوافر	وبالأخوات أعرست المجروس	بَنَاتِ الْعَمِّ تَأْبِأُهَا التَّصَارِي

الصفحة	البحر	البيت / القافية
٨٨	الطويل	وما سرني أني ابن سasan أغتندي
٨٧	الطويل	طهارة مثلي في التباعد عنكم
٨٧	الطويل	وخير بلاد الله ما كان خالياً
٩٦	الطويل	خصاؤك خير من زواجك حرة
٩٦	«	وإن كتاب المهر فيما التمسه
٩٦	«	فلا تشهدن فيه الشهود وألقه
٧٣	الكامـل	والعقل يعجب والشرايع كلها
٩٣	الكامـل	إن صح عقلك فالفرد نعمة
٩٧	الكامـل	إـنـ الأـوانـسـ آـنـ تـزـورـ قـبـورـهـاـ
٩٧	«	كم نال قـبـلـكـ في طـعـامـكـ منـ يـدـ

(الشين)

٩٠	المتقارب	عروسك أفعى فهب قربها
١٠٢	الكامـل	مـنكـهـنـ وـمـنـجـمـ وـمـعـزـمـ

(الضاد)

٨١	الطويل	حمدت إلهي بعد عروة إذ نجا
----	--------	---------------------------

(الظاء)

٦١	الطويل	إذا كنت بالله المهيمن وانتقاً
----	--------	-------------------------------

(العين)

٢٣	البسيط	لا وضع للرجل إلاّ بعد اي ضاع
٢٤	«	يـاـ نـاقـ جـدـيـ فـقـدـ أـفـتـ أـنـادـكـ بـيـ
٢٤	«	إـذـ رـأـيـتـ ظـلـامـ اللـيلـ فـانـصـلـتـيـ
٢٤	«	وـلـ يـهـولـنـكـ سـيفـ لـلـصـبـاحـ بـداـ
٨٢	الطـوـيل	عـلـيـكـ بـفـعـلـ الخـيـرـ لـوـ مـيـكـنـ لـهـ

الصفحة	البحر		البيت / القافية
٨٢،٤٦	الطويل	يقيّناً ولا الرهبان أهل الصوامع	لعمرك ما في الأرض زاهد
٨٤	الكامل	ينذرون من أسف عليّ دموعاً	كم بلدة فارقها ومعاشر
١٦	البسيط	(الغُنْ) أبا قلان ولم ينسّ ولا بلغا	ومن عثرة القوم أن كنوا ولديهم
٣٥	الوافر	(الفاء) فلم أسأل متى يقع الكسوف	رددت إلى ملكي الخلق أمري
٣٥	الوافر	وعوج بالحمام الفيلسوف	فكם سلم الجھول من الملنابا
٥٦	الوافر	كثيرات البارج والزيوف	كأنّا في سجايانا نقود
٥٥	البسيط	من الأذى ويقوى سردها الحلف	أمسى النفاق دروعاً يستجنّ بها
٥٦	«»	مدى بعيداً مواش في السرى دلف	أهني زماني بأشفاس كما قطعت
٦٩	الكامل	رضوان بين يديه للإتحاف	نبذت مفاتيق الجنان وإنما
٢٣	الكامل	بكمـا وـلم أـسلـك طـريق العـافي	أوضعـت في طـرق التـشرف سـاميـاً
١٧	الطويل	(القاف) لأئـي ضـرـير لـاتـصـيء لـه الـطـرق	وـما بـي طـرق لـلمـسـير وـلا السـرى
٦٥	الطويل	سـجـودـك لـلـضـلـبـان فيـ كلـ شـارـق	وـحـسـبـك منـ عـارـ يـشبـ وـقـودـه
٤٧	الوافر	وـكـلـ النـاسـ شـائـهمـ النـفـاقـ	أـنـاقـ فيـ الـحـيـاةـ كـفـعلـ غـيرـي
٦٨	الكامل	إـنـ كانـ ثـمـ تـعـارـفـ وـتـلاقـ	يـاـ مـرحـباـ بـأـمـلوـتـ مـنـ مـنـتـظـرـ
٩٧	الوافر	(الكاف) فـقـدـ أـخـطـأـتـ فيـ الرـأـيـ التـرـيـكـ	مـتـىـ تـشـرـكـ معـ اـمـرـأـ سـواـهـاـ
٩٧،٥٨	الوافر	مـاـ كـانـ إـلـهـ بـلـاـ شـرـيـكـ	فـلـوـ يـرجـيـ معـ الشـرـكـاءـ خـيرـ
٧٠	الوافر	فـلـاـ تـبـكـواـ عـلـيـ وـلـاـ تـبـكـواـ	أـزـوـلـ وـلـيـسـ فيـ الـخـالـقـ شـكـ
٧٠،٦١	الوافر	وـصـلـواـ فيـ حـيـاتـكـمـ وـزـكـواـ	خـنـوـاـ سـيـريـ فـهـنـ لـكـمـ صـلـاحـ
٦٨	الطويل	وـحـقـ لـسـكـانـ الـبـرـيـةـ أـنـ يـبـكـواـ	ضـحـكـنـاـ وـكـانـ الضـحـكـ مـتـاـ سـفـاهـةـ

الصفحة	البحر	البيت / القافية
٦٨	»	زجاج ولكن لا يعاد له سبك بحطمنا رب الزمان كأننا
١٠٧	البسيط	عنه ونم تر في الهيجاء معتركا ولو صفا العقل ألقى ثقل حامله

		(اللام)	
٦	الطوبل	فلياتي القصوى ثلث ليلي	عمي العين يتلوه عمي الدين والهوى
٨	الطوبل	يراك ومن لي بالضحى في الأصالى	فليت الليلى سامحتني بناظر
٣	الطوبل	أقول له في اللحظ دينك أجزل	ومعترلى لم أوافقه ساعة
٣	»	من الجزل في القوال تلوي وتجرل	أزيد به من جزلة الظهر لم أرد
٤	الطوبل	إلى غيره حتى يهتبها النقل	يقولون إن الجسم تنقل روحه
٣	الطوبل	وليس العوالى في القنا كالسوافل	دعاكى إلى أعلى الأمور محمد
٣	»	وشهب الدجى من طالعات وأفل	حداكم على تعظيم من خلق الشخص
٣	»	أخأ الضعف من فرض له ونوافل	وأنزمكم ما ليس يعجز حمله
٣	»	وعاقب في قذف النساء الفواضل	وحث على تطهير جسم وملابس
٥	الطوبل	ولم أطبقن كاعب زانها الخالخل	كأني لم أركب جواداً لللة
١٢	الطوبل	ومالت لظل بالعراق ظليل	أسالت أقي الدمع فوق أسيل
٧	الكامن	هدى الأنام وزنل التنزيل...	يا ابن الذي بسانه وبيانه
٧	»	قلنا محمد من أبيه بديل	لولا انقطاع الوحي بعد محمد
٧، ١٨	الكامن	والسير عن حلب إليك رحيل	لبيت التحمل عن ذراك حلول
١٠١، ٤٣	الكامن	بأذابة أيتم وهتك عقائل	وعقائل الألباب غير أوامر
٨	الكامن	يصف الحساب لمة ليهولها	طلب الخسائص وارتقى في منبر
٨	»	أمسى يمثل في النفوس ذهولها	ويكون غير مصدق بقيامة
٨	»	ملاؤوا البلاد حزونها وسهولها	لو قام أموات العواصم وحدها
٨	»	ودع الغواة كذوبها وجهولها	فخذ الذي قال الليب وعش به
٦	الكامن	دين وأغفر دين لا عقل له	اثنان أهل الأرض ذو عقل بلا
١٠٢	مجزوء الكامن	ل منجم بحساب جمل	كم غر صاحبة الجما
٧٤	مجزوء الكامن	ي عن مقامكم بمعزل	أرجوا أو اعتزلوا فإلي
٦٣	البسيط	قان ينص وتوراة وإنجيل	دين وكفر وأنباء تقصّ وفر

الصفحة	البحر	البيت / القافية
٦٣	«»	في كل جيل أباطيل يدان بها
٨٨	البسيط	يسعى الفتى لابتغاء الرزق مجتهدا
٦١	البسيط	قد طال في العيش تقىيدي وإرسالي
٤٣	البسيط	من اهتم بيده ماء طالما تبلا
٤٦	الخفيف	من اهتم بيده ماء طالما تبلا
١٥	الوافر	وتباه إفان دهرك أبله
٧٤	الوافر	ولكن الصحيح أبو النزول
		وجير في لماذهب واعتزال

(الميم)		
٧	الطويل	إذا حرق الهندي بالنار نفسه
٧	«»	فهل هو خاש من نكير ومنكر
١٥	الطويل	وأحمد سمايني كيري وقلما
٤٢	الطويل	وقال أناس بما لأمر حقيقة
٧١	الطويل	عظيم لعمري أن يلم عظيم
٧١	«»	ولكتهم أهل الحفاظ والعلى
٨٤	الطويل	أشد عقاباً من صلة أضعتها
٤٤	الوافر	إذا افتكر الليب رأى أموراً
٥٩	الوافر	رأيت الحق لؤلؤة ثورات
٦٩	الوافر	سألت متى اللقاء فقيل حتى
٩٥	الوافر	أرى ولد الفتى عيناً عليه
٩٥	«»	اما شاهدت كل أبي وليد
١٠١،٤٣	الكامل	ولو كان عقل النفس في الجسم كاملاً
٩٥	«»	فإما أن يربئه عنوا
١٠٢	الكامل	قطع الطريق بهمه ونظيره
٥٩	الكامل	لو قال سيد غضا بعثت بملة
٩٢	البسيط	إذا أمنت على مال أخا ثقة
٩٢	«»	فالطبع في كل جيل طبع ملامه وليس

(النون)		
٥٤	الوافر	ولثاڭ العقوق من البنين
٥٣	الوافر	يدافعهن الصوام والأسنة
٦٦	الطويل	قبيح المنساعي حين يظلم دائن
٥٩	الطويل	فما صبرت للهوج تلك السفائن
٧٩	الطويل	اذا صار احد في القيامة كالعهين
٦٩	«»	مع الناس ألم يأبى الزحام فيستأني
٧٤	البسيط	إلا اصحاب دين في أذى عدنا
٧٨	السريع	فراقبوا الله ولا تزعن
١١٨	السريع	واجهتهم إلا بلهوان
٦٨	الكامل	ما كان أغناها عن الحالين
٩٥	الكامل	ثم ابنه وفاته بهم ما بني
٩٥	«»	ودعاه ذاك لئن يضن ويجبنا
١١٥	الكامل	وبعثت أنت تقتلها ملokin
١١٥	«»	ما كان أغناها عن الحالين
١١٤	الكامل	لما خلا عن رقة اليهان
١١٤	«»	أخرجت منك معرة العميان

(الواو)		
٥٧	الطويل	ممراً فهل أبصرت من مقر يحلو

(الهاء)		
٤٤	الوافر	تهاون بالمالذهب وازدرها
٦٥،٥٦	الوافر	توخته اليهود ليصلبوه
٦٥،٥٦	«»	لثلاً ينقصوه ويجدبوه
٦٤	الوافر	وأوقع بالخسار من اقتلها

الصفحة	البحر	وقال الآخرون بل افتراء	البيت / القافية
٦٧	الوافر	فلا يغتر بشيء موجدوه	الهك أوجد الأشياء جمعا
٩٣	الوافر	فكان عصا تصك بها قراها	إذا ابتكرت إلى العراف فاعرف
٩٣	»	وبارتها متى كشفت براها	وساورها إذا أبدت سوارا
٩٣	»	تشوقة الضوانن أن يراها	وحذرها المنجم فهو ذهب
٩٣	»	تحلبيها المنافع وامتراها	فإن هي لم تعجبه إلى قبيح
٩٤	البسيط	كريني نفسي تناولت عن خزابها	لو أن كل نفوس الناس رائية
٩٤	»	ولا افتتو واستراحوا من رزابها	وعطلوا هذه الدنيا فما ولدوا
٩٥	البسيط	به حلت، فتبرى أين تلقىه؟	ألا تفگرت، قبل النسل، في زمن
٩٥	»	وما علمت بأن العيش يشقىه	ترجو له من نعيم الدهر ممتنعا
٩٥	»	به الفتاة إلى شمطاء ترقى	شكا الذي فسهرت الليل وابتكرت
٩٥	»	عنه التنور لعل الله يقيقه	وأمه تسأل العراف قاضيه
٩٥	»	إلى الطيب يداويه ويسقيه	وأنت أرشد منها حين تحمله
٩٥	»	بقراط ما كان من موت يوقيه	ولو رقى الطفل عيسى أو أعيد له
٩٥	البسيط	به حلت فتبرى أين تلقىه	ألا تفگرت قبل النسل فقط زمن
١٠١	البسيط	كالدليل عُثْر عند المشي ضافيه	وكترة أهل صاغت للفتني أشرا
٧٥	الكامل	وفضاء ريتك صاغها وأنت بها	أفملاة الإسلام ينكر منكر

(الياء)

٧١	الخفيف	راض في كل منطق ولعلعاني	أحد الخمسة الذين هم الأشد
١٠٧،٤٢	الخفيف	فاسألهن فكل عقل نبي	أيها الغز إن خصصت بعقل
٩١	الوافر	وابصار الغواة إلى يديها	ولكن جاءت الجمرات ترمي
٩١	»	ولا الله القدير بهم مدحبيها	وليس محمد فيما أنته
٩٢	الوافر	يظن هناك أفضل ملحداتها	إذا ما رامت الصلوات خود
٤٧	الوافر	وليس لأهلها عرض نقى	نقاء لباسنا فيها كثير

- آدم: ٩٦، ٩٠، ٩٤.
 آل الإخشيد: ٩.
 آل سبكتكين: ٩.
 أبو حامد الإسپرائيوني: ٢٣.
 أبو الحسن الدلفي المصيحي: ١٧.
 أبو الخطاب العلاء بن حزم: ١٥.
 أبو داود: ٩٦، ٧٣.
 أبو سعد: ٦٩.
 أبو الفداء: ١١٢، ١١٦، ١١٥، ١٣٣.
 أبو القاسم التنوخي: ٢٤، ٢٣.
 أبو مسلم الخراساني: ٧.
 أبو الهذيل: ٧٩.
 أبيقور (أبيكور): ٨٦، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، الأيك والغضون: ٢٦.
 إبراهيم بن محمد صاحب الأمر: ٧.
 الأتراك: ٩، ٨، ٧، ٦.
 الأنجار: ٦٤.
 أحمد: ١٥، ٢١، ٢٣، ٢٤، ٣٢، ٤٠، ٩٦، ١١٠، ابن الجوزي: ١١٤، ١١٢.
 ابن خلكان: ١٣٣، ١٨.
 ابن الرواندي: ١١٤.
 ابن الزملکاني: ١١١.
 ابن ساسان: ٨٨.
 ابن سينا: ١٠٧، ٣٠.
 ابن عباس: ٩٦.

- ابن العديم: ١٨، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ١١٨.
 ابن كلاب: ٧٩.
 ابن ماجة: ٩٦.
 ابن مردوية: ٩٦.
 ابن الهبارية: ٢٥.
 إبليس: ٦١، ٦٢، ١١٤.
 إخوان الصفا: ٢٤، ٤٠-٣٨، ٧٠، ٧٢، ٧٣، ٨٤.
 بغداد: ٨، ٩، ١٨-١٥، ٢٠، ٣٨، ٤٠، ٤٣، ٥٢.
 برهما: ٧٧، ١٣٠.
 بريدة: ٩٦.
 البصرة: ٣٨.
 البغدادي (الخطيب): ١١٢، ١٥.
 الإسلام: ٨، ١٢، ٢١، ٢٢، ٥١، ٦٣، ٦٥، ١١٠.
 بقراط: ٩٥.
 بني أمية: ٧.
 بنى العباس: ٦.
 بهاء الدولة: ٢٢.
 البهافريدية: ٧٨.
 البهلوية: ٣٩.
 إباء الرواة: ١١٢، ١١٧.
 إنجليل: ٦٣.
 الإيوان: ٨٨.
 أسامة بن منقذ: ١٩.
 أوج التحرى: ١٩.
 أوروبا: ١٠٦.
 الباخري: ١١١، ١١٤.
 الباطنية: ٧٤.
 البحتري: ٢٦.
 بديع الزمان الهمذاني: ١١١.
 البديعي: ٢٠٦، ١٩.
 بوذا: ١٣٠، ٧٧.
 تكريت: ٩.
 تلبس الإبليس: ١١٤.
 توحيدى: ١١٤.
 تورات: ١٢٨.
 تضمين الآي: ٢٦.
 التعليمية: ٧٤.
 ترمذى: ٩٦، ٧٣.
 تجديد ذكرى أبي العلاء: ٦، ١٣، ٢٧، ٥٢، ٦٠.
 تحف إخوان الصفا: ٣٨.
 (ت)
- (ب)

- (د) توما الأكونيبي: ٣٠.
- دار العلم: ٢٢.
داعي الدعاة الفاطمي: ١٦.
دجلة: ٩.
الدر المنشور: ٩٦.
الدروز: ٧٢.
دير الفاروس: ٢١.
ديكارت: ١٠٥.
الجندى (سليم): ١٢، ١٨، ١٥، ٢٤، ٢٢-٢٠، ٢٥، ٢٢.
(ذ) ذكرى أبي العلاء: ٦، ١٣، ٦، ٣٨، ٢٧، ٥٢، ٦٠.
ذكرى حبيب: ٢٦.
الذهبى: ٢١، ٢٠، ١١٣، ١١٢، ٢٢، ٢١، ١١٥.
(ر) الراضة: ٧٦.
رسالة الغفران: ٢٦، ٤٥، ٣٨، ٦٠، ٨٤.
الروم: ٢٣، ٢١، ٢٠، ١٠.
حلب: ١٠، ١٨، ٢٠، ٢٢، ٢٣، ٢٥، ٣٨، ٣٩، ٦٤، ٤٦، ٢١.
(ز) زيان بن يسار: ٤٥.
الزرادشتية: ٧٨.
الزنقة: ١١٩، ١١٣.
زيدان (جرجي): ١١٦.
زيد بن علي: ٧٦.
- (ج) جامع الأوزان: ٢٦.
الجامع في أخبار أبي العلاء وآثاره: ٢٠، ٣٨.
جان فال: ٣٣.
الجريبة: ٧٥، ٧٤.
جرول: ٥٤، ٥٣.
الجزيرة: ٩.
الجندي (سليم): ١٢، ١٨، ١٥، ٢٤، ٢٢-٢٠، ٢٥، ٢٢.
(ح) الحاكم: ١٢-١٠، ١٢، ٧٣، ٧٢، ٧٠، ٩٦.
حسن (بن علي): ٢١.
حسين (بن علي): ١٠، ٧٦.
حسين (طه): ٦، ١٣، ٢٧، ٤٥، ٣٨، ٦٠، ٨٤.
الحملة الصليبية: ٧١.
الحموي (ياقوت): ٩، ١٥، ١٦.
(خ) خراسان: ٧، ٧٤.

- (س) الصاهل والشاجح: ٢٦.
 الصبح المبين: ١٩.
 الصحاح: ٤٥.
 الصفدي: ١٥، ١٦، ١٧، ٢٠، ٢١، ٦٨، ١١١، ١١٤، ١١٨، ١١٥.
 صنعاء: ١٢٥، ٢٢، ٨١.
 سقط الرند: ١٨، ١٩، ٢٣، ٢٤، ٣٦، ٣٧، ٥٣، ٦٩، ٧٩، الصليب: ٦٤.
 الساجحة: ٢٦.
 سقراط: ١١٩، ١٠٣.
 سجع الحمام: ٢٦.
 سجع السلطاني: ٢٦.
 سقراط: ١١٩.
 سقط الرند: ١٨، ١٩، ٢٣، ٢٤، ٣٦، ٣٧، ٥٣، ٦٩، ٧٩، الصليب: ٦٤.
 سمرقند: ٨.
 السمعاني: ١١٢.
 السوسيطائيين: ٤١.
 السيد عبدالله: ٧٢، ٧١.
 السيوطي: ١١١، ٢١، ٢٠.
 الشاذن: ٢٦.
 الشام: ٢٣، ٩.
 الشريف أبي أحمد الموسوي: ٦٩، ٢٣.
 الشريف المرتضى: ٢٤.
 شوبنهور: ٨٦، ١٠٣، ١٠٦، ١١٨، ١٠٩.
 الشوف: ٧٢، ٧١.
 الشيعة: ٧٦، ٧٥، ٧٤.
 الصابوني: ١١٤.
 عيسى: ٩٥، ٦٢، ٦٥.
 علي (ع): ١٣٠، ٧٦.
 العلوين: ٧١، ٣٩، ٩.
 عصر النهضة: ١٠٠.
 العرب: ١٠٢، ٦٨، ٤٥، ٣٦، ٢١، ١٨، ١٧، ١١، ٧، ٦٧.
 العراق: ٧٤، ٣٩، ٢٣، ١٠، ٩، ٧.
 العثماني: ٢٠.
 العبر: ١١٣.
 عبدالله بن أبي أوفى: ٩٦.
 عبدالله بن سعد: ١٨.
 عبدالله بن الصامت: ٩٦.
 عبدالله بن أبي الهيثم: ٢٦.
 عبد الله بن أبي الهيثم: ٩٦.
 عبد الله بن معاذ: ٣٨.
 عبد الله بن معاذ (مارون): ٧٢، ٧٠، ١٢٩.
 العباسية: ٦، ٧، ٨، ٩.
 (ع)
- (ش) الشاذن: ٢٦.
 الشام: ٢٣، ٩.
 الشريف أبي أحمد الموسوي: ٦٩، ٢٣.
 الشريف المرتضى: ٢٤.
 شوبنهور: ٨٦، ١٠٣، ١٠٦، ١١٨، ١٠٩.
 الشوف: ٧٢، ٧١.
 الشيعة: ٧٦، ٧٥، ٧٤.
 الصابوني: ١١٤.
 عيسى: ٩٥، ٦٢، ٦٥.
 علي (ع): ١٣٠، ٧٦.
 العلوين: ٧١، ٣٩، ٩.
 عصر النهضة: ١٠٠.
 العرب: ١٠٢، ٦٨، ٤٥، ٣٦، ٢١، ١٨، ١٧، ١١، ٧، ٦٧.
 العراق: ٧٤، ٣٩، ٢٣، ١٠، ٩، ٧.
 العثماني: ٢٠.
 العبر: ١١٣.
 عبدالله بن أبي أوفى: ٩٦.
 عبدالله بن سعد: ١٨.
 عبدالله بن الصامت: ٩٦.
 عبدالله بن أبي الهيثم: ٢٦.
 عبد الله بن أبي الهيثم: ٩٦.
 عبد الله بن معاذ: ٣٨.
 عبد الله بن معاذ (مارون): ٧٢، ٧٠، ١٢٩.
 العباسية: ٦، ٧، ٨، ٩.
 (ع)
- (ص) الصايني: ٩.
 سامراء: ٩.
 سجع الحمام: ٢٦.
 سجع السلطاني: ٢٦.
 سقراط: ١١٩.
 سقط الرند: ١٨، ١٩، ٢٣، ٢٤، ٣٦، ٣٧، ٥٣، ٦٩، ٧٩، الصليب: ٦٤.
 سمرقند: ٨.
 السمعاني: ١١٢.
 السوسيطائيين: ٤١.
 السيد عبدالله: ٧٢، ٧١.
 السيوطي: ١١١، ٢١، ٢٠.
 الشاذن: ٢٦.
 الشام: ٢٣، ٩.
 الشريف أبي أحمد الموسوي: ٦٩، ٢٣.
 الشريف المرتضى: ٢٤.
 شوبنهور: ٨٦، ١٠٣، ١٠٦، ١١٨، ١٠٩.
 الشوف: ٧٢، ٧١.
 الشيعة: ٧٦، ٧٥، ٧٤.
 الصابوني: ١١٤.
 عيسى: ٩٥، ٦٢، ٦٥.
 علي (ع): ١٣٠، ٧٦.
 العلوين: ٧١، ٣٩، ٩.
 عصر النهضة: ١٠٠.
 العرب: ١٠٢، ٦٨، ٤٥، ٣٦، ٢١، ١٨، ١٧، ١١، ٧، ٦٧.
 العراق: ٧٤، ٣٩، ٢٣، ١٠، ٩، ٧.
 العثماني: ٢٠.
 العبر: ١١٣.
 عبدالله بن أبي أوفى: ٩٦.
 عبدالله بن سعد: ١٨.
 عبدالله بن الصامت: ٩٦.
 عبدالله بن أبي الهيثم: ٢٦.
 عبد الله بن أبي الهيثم: ٩٦.
 عبد الله بن معاذ: ٣٨.
 عبد الله بن معاذ (مارون): ٧٢، ٧٠، ١٢٩.
 العباسية: ٦، ٧، ٨، ٩.
 (ع)

(غ) غرس النعمة: ١١٤، ١١٣.

(ف) الفاخوري (حتا): ١١٦.
الفارابي: ١٠٧.

فارس: ٩١، ٩.
الطاوسي: ١٠، ١٦، ٢٨، ٣٩، ٣٨، ٧١، ٧٢، ٧٠.

فرؤخ (عمر): ١١٦.
الفرس: ٥٩، ١٨، ٩-٧.

فرغانة: ٨.
فرغان: ٨١.

الفرنسية: ١٠٩.
الفصول والغايات: ١١٤، ٣٦، ٢٥.

فضائل الإمام علي بن أبي طالب: ٢٦.
الفضل بن الربيع: ٧.

الفضل بن سهل: ٧.
فلك المعانى: ١١٤.

(ق) القاضي أبو جعفر: ١١٤.
القاضي أبو الطيب: ٢٤.

القاضي أبو الفتح: ١١٠.
القاضي أبو المهدب السروجي: ١١٠.

القاضي التنوخي: ٢٤.
القاضي جلال الملك: ٢١.

القاموس: ٤٥.
القرامطة: ٣٩، ٣٤.

. ١١٣.

القطفي: ٢٠-٢٢، ٦٨، ١١٢، ١١٧.

(ك)

. ٢٢.

كسرى: ١١٥.

كعب بن عياض: ٩٦.

كفرطاب: ٢٠.

كنجيان (علي): ٩٦، ١٦.

. ٧٤.

الكوفة: ٧٦.

الكيسانية: ٧٤.

. ٧٨.

(ل)

. ٤١.

اللاذقية: ١٨، ٣٨، ٢١، ٢٠.

. ١٢٩، ٧٢، ٧١.

اللزوميات (الزوم ما لا يلزم): ١٥-١٧، ٣١، ٣٥، ٣٨.

٣٨، ٤٤-٤٢، ٤٦، ٥٢، ٤٧، ٥٤-٧٠، ٧٢-٩٨.

. ١٠١، ١٠٢، ١٠٦، ١٠٨-١١٤.

. ٨٧.

. ١٠٨.

(م)

. ٧، ٩.

ما وراء النهر: ٨، ٩.

. ٩٧.

المتنبي (أبو الطيب): ١١٦.

. ٦.



- (ن) المجوس: ٧٨.
- . محمد: ٦٥، ٧١، ١٢٨.
- . نزهة الألباء: ١١٢.
- . المختصر: ١١٢.
- . النسائي: ٩٦، ٧٣.
- . مدام دوغويون: ١٠٩.
- . النصاري: ٢١، ٧٣، ٧٨، ٨٣، ١١٥.
- . مرآة الزمان: ١١٢.
- . نصرانية: ٦٤، ٣٥.
- . المرجئة: ٧٤-٧٦، ٨٣.
- . النصيرية: ٣٩.
- . مرجئة الجبرية: ٧٥.
- . نكت الهميان: ٦٨.
- . مرجئة الخالصة: ٧٥.
- (ه) مرجئة الخارج: ٧٥.
- . الهكاري: ١١٠.
- . مرجئة القدرية: ٧٥.
- . الهند: ٩، ٧٦، ٧٧.
- . المرداسية: ٩.
- . هوميروس: ٣٢.
- . المزدكية: ٧٤.
- . هيجل: ١٠٥.
- . المسيح: ٦٤، ٢١.
- . مصر: ١٠-٨، ١٤، ٣٩، ١١٥.
- . المعترز: ٨، ٣٨، ٤١، ٧٦، ٧٤، ٧٣، ٧٩، ٨٣.
- . المعزلة: ٧.
- (و) المعتصم بن الرشيد: ٧.
- . معزة النعمان: ٩، ٧١، ١١٤.
- . اليونانية: ١٣، ٣٠، ٣٨، ٤٠-٣٨، ٦٩، ٩٩، ١١٩.
- . مكّة: ٣٩، ٧٥، ٨٠، ٩١.
- . اليهود: ٢١، ٦٣، ٦٤، ٧٣، ٧٧، ٨٣.
- . مكتبة سابور بن أردشير: ٢٢.
- . يهودية: ٣٥.
- . الملحدة: ٧٤، ١١٨.
- . ملقى السبيل: ٣٦، ٥٢.
- . الملل والنحل: ٥٠، ٧٤، ٧٥، ١١٧.
- . المنازي: ١١٧.
- . المنتظم: ١١٢.
- . موسى: ٦٣، ٧٢.
- . الميزان (تفسير): ٩٦، ٩٥.

المحتويات

الفصل الأول

أبو العلاء المعري دراسة في عصره وحياته

٦	المبحث الأول : عصر المعري وبيئته
١٥	المبحث الثاني : حياة المعري وسيرته
١٨	١ - رحلة إلى حلب
١٩	٢ - رحلة إلى أنطاكية
٢٠	٣ - رحلة إلى اللاذقية
٢١	٤ - رحلة إلى طرابلس وصنائع
٢٢	٥ - رحلة إلى بغداد

الفصل الثاني

الفلسفة العلائية؛ من أين وإلى أين ؟

٣٠	التمهيد
٣٢	المبحث الأول : الفلسفة وعلاقتها بالأدب
٣٥	المبحث الثاني : هل أبو العلاء فيلسوف ؟
٣٨	المبحث الثالث : مصادر فلسفة أبي العلاء
٤٥	المبحث الرابع : هل أبو العلاء متشائم ؟

الفصل الثالث

ديوان "لزوم ما لا يلزم"؛ دراسة وتحليل

٥٠	التمهيد : الحياة الدينية في عصر أبي العلاء
٥٢	المبحث الأول : ديوان «لزوم ما لا يلزم»؛ دراسة وتحليل
٥٦	١ - ترتيب «اللزوميات»
٥٧	٢ - الأسلوب واللغة
٥٧	٣ - قوة التأليف والطلاؤة والإنسجام
٥٨	٤ - نماذج من التشبيه والإستعارة والكلناء
٦٠	المبحث الثاني : أبو العلاء ومعتقداته الدينية في ديوان «اللزوميات»

٦٣	- رأيه في اليهود
٦٤	- رأيه في النصارى
٦٥	- رأيه في الإسلام
٦٦	المبحث الثالث : موقف أبي العلاء من الإيمان بالله
٦٨	المبحث الرابع : رأيه في المعاد
٧٠	المبحث الخامس : موقف أبي العلاء من المذهب الفاطمي
٧٣	المبحث السادس : موقف أبي العلاء من المذاهب الأخرى
٧٣	١ - المعتزلة
٧٤	٢ - الشيعة
٧٥	٣ - المرجئة
٧٦	٤ - الرافضة :
٧٩	المبحث السابع : المتأخرة بالدين

الفصل الرابع

أبو العلاء ومنهجه في الحياة

٨٦	التمهيد
٨٧	المبحث الأول : زهد أبي العلاء من خلال «اللزميات»
٩٠	المبحث الثاني: المرأة في حياة أبي العلاء
٩٤	المبحث الثالث : النسل
٩٩	المبحث الرابع : الزهد العلائي والزهد الأبيقيوري
١٠٣	المبحث الخامس : موازنة بين سيرة المعربي وسيرة الفيلسوف الوجودي «شوبنهاور»
١٠٦	١- حول شوبنهاور
١٠٦	٢- المعربي وشوبنهاور يصرخان: الحياة كلها تعب
١٠٧	٣ - العقل بين المعربي وشوبنهاور
١٠٨	٤ - حكمة الموت
١٠٨	٥ - المرأة وأرائهم فيها
١١٠	المبحث السادس : رأي معاصرى أبي العلاء فيه
١٢١	ملخص الرسالة بالفارسية ديباچه
١٣٤	المصادر والمراجع
١٣٩	فهرس الشعر
١٥٢	فهرس الأعلام